



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي عشر من القرآن الكريم (سورة النساء من الآية ١٤٨ إلى سورة المائدة من الآية ١-٢٦)

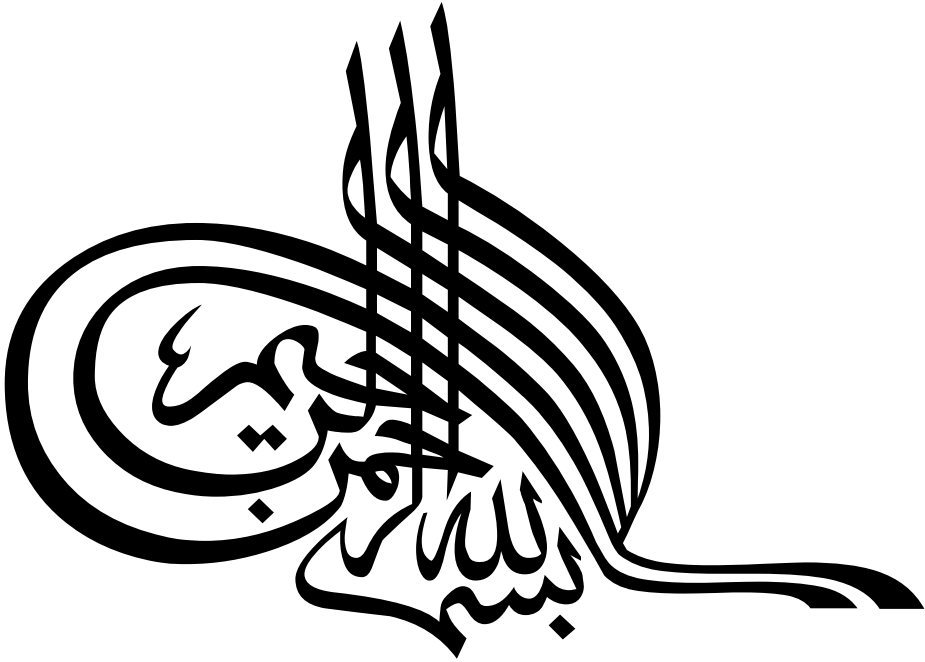
إعداد الطالبة
سمية جبر دويدار
الرقم الجامعي

٢٢٠١١٠٠٥٦

إشراف الدكتور
صبحي رشيد اليازجي

خطة بحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[محمد: ٢٤]

الإهداء

أهدي هذا البحث المتواضع إلى:

أبي الغالي وقرّة عيني، الذي لم يألُ جهداً في تربيّتي وتعليمي وتوجيهي.

إلى روح أُمّي الغالية، فرحمة الله تعالى عليها.

إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها، وعانى الصعاب لأصل إلى ما

أنا فيه، زوجي الحبيب، الذي علمني الصمود مهما تبدلت الظروف.

إلى الشموع التي أنارت لي الطريق، وكانوا يتنازلون عن حقوقهم لإرضائي، أبنائي

وبناتي جمعة وأحمد وعلي ومحمد ومصعب وسلوى وآلاء وضحي وسندس، وأخص

بالذكر آلاء التي وقفت بجانبني، ولم تدخر جهداً في مسانديتي ومساعدتي جزاها الله خيراً.

ولا أنسى زوجات أولادي، وأحفادي حفظهم الله.

إلى إخوتي وأخواتي الأعراء، وأولادهم وزوجاتهم حفظهم الله جميعاً.

إلى كل من علمني حرفاً، فأصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي.

إلى جامعتي الإسلامية الغراء ... وإلى علمائنا الأجلاء.

إلى مشرفي الفاضل الذي بذل كل جهد ليخرج البحث بأبهى صورة.

إلى أرواح الشهداء الذين سطروا بدمائهم الزكية أروع ملاحم الفداء.

إلى الجرحى الذين سألت دماؤهم لتغسل عاراً لحق الأمة.

إلى الأسرى البواسل الذين سطروا بأمعانهم الخاوية أروع ملاحم البطولة والفداء.

إلى شعب فلسطين الصامد المرابط الذي عانى من الحصار، لا لجريمة ارتكبها، سوى

أنه تمسك بدينه وأصر على عقيدته.

إلى كل طالب علم محب لكتاب الله - تعالى - عامل به سائر على هداه.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي لا يطيب اللسان إلا بذكره وشكره، ولا يطيب القلب إلا بخشيته، ولا يطيب الليل والنهار إلا بعبادته وطاعته، والشكر له على إحسانه وتوفيقه، ثم الشكر لصاحب الخلق العظيم صلوات الله عليه وسلامه، ثم الشكر لمن صحبه وتبعه وحمل رسالته وسار على هديه.

واعترافاً لأهل الفضل لفضلهم، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وامتثالاً لقوله ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (١).

فامتناناً لنعمة ربي، واتباعاً لسنة نبيي ﷺ أتقدم بخالص الشكر لأستاذي الجليل، وشيخي فضيلة الدكتور / صبحي رشيد اليازجي حفظه الله ورعاه، الذي لم يوفر جهداً في نصحي وإرشادي وتقويم بحثي على طول فترة إشرافه عليّ.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الفاضل المناقشين لهذا البحث:

الدكتور: وليد محمد العامودي ... حفظه الله

الدكتور: مروان محمد أبو راس ... حفظه الله

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهد ووقت رغم أعبائهما الكثيرة، أسأل الله تعالى أن ينفعني بملاحظتهما التي يبديانها لي؛ لتحسين هذا البحث ليخرج في أجمل حُلّة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور زكريا إبراهيم الزميلي الذي تكرم بترجمة ملخص رسالتي إلى اللغة الإنجليزية، وللاستاذ عبد الله أبو موسى (أبو عامر) الذي قام بطباعة هذا البحث؛ ليصل به إلى المستوى الراقي بطباعته وتنسيقه.

ولا يفوتني أن أسجل شكري وامتناني إلى الجامعة الإسلامية الغراء، التي فتحت لي أبوابها للدراسة فيها، ممثلة برئيس الجامعة وعميد كلية أصول الدين، وأساتذتي الكرام، وأعضاء الهيئة التدريسية، وكذلك عمادة الدراسات العليا، جعلهم الله منارة للعلم والعلماء.

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، ح (١٩٥٤)، ٣٣٩/٤، قال الترمذي: حسن صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله نستفتح خزائن علمه، ونطرق أبواب حكمته، ويحمد الله نستقبل مواطن فضله، ونرجو المزيد من غيوث رحمته، وبالصلاة والسلام على رسول الله نتزود بخير زاد التقوى في صحبتنا لكتاب الله الذي نزل به الروح الأمين على قلبه هدى ورحمة للعالمين، فكشف به ظلمات الجهل وأسباب العذاب وأمط به عن نفائس العلوم وذخائرها الحجاب، وكشف به عن حقائق الدين، وأسراره ومحاسنه النقاب، وأخلص به العبادة للعزیز الوهاب، وفتح به لنيل مآرب الدارين الباب، وأغلق باتباعه والعمل به دون الشر جميع الأبواب، تحيي بوابل علومه القلوب النيرة أعظم مما تحيي الأرض بوابل السحاب، ويتميز بتدبير آياته الخطأ من الصواب، والقشور من اللباب، وتجل ألفاظه ومعانيه، وأحكامه، وأخباره عن الوصمة والعار ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

لا شك أن علم التفسير، بل وكافة علوم القرآن الكريم من أفضل العلوم على الإطلاق لتعلقها بكلام الله تعالى، ألا وهو القرآن الكريم وتكمن أهمية هذا العلم في أنه يحقق المقاصد الأساسية للقرآن الكريم في حياة المسلمين، فالمتدبر في هذا الكتاب العظيم يجد أنه لا توجد فيه آية بدون معنى أو فائدة أو حكمة أو تشريع سواء استطعنا معرفتها والاهتداء إليها أم لا، فهو كلام الله تعالى المعجز الذي لا يخلق على كثرة الرد ولا تتقضي عجائبه.

لذلك فقد أنزل الله - تعالى - كتابه الخالد معجزة النبي ﷺ إلى يوم القيامة أنزله عليه هداية للبشر، وإخراجاً لهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإسلام والهداية، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، وقد حث الله - تعالى - عباده المؤمنين على تدبر القرآن، وفهم آياته ومعانيه وتفسيره، وتعلم علومه، والغوص في أعماقه للكشف عن آلائه المكنونة فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] فهو كلام الله تعالى

المعجز، فكل سورة في كتاب الله تعالى تحتوي على الكثير من المقاصد والأهداف التي تمثل منهج حياة للمسلمين في مجالاتها الدعوية، والحركية، والإصلاحية، تشخص مشاكلهم وهمومهم، وتقدم العلاج الشافي لتلك المشاكل والهموم، بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية، لذلك كانت رسالتي: (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي عشر من القرآن الكريم "سورة النساء من الآية ١٤٨ إلى الآية ٢٦ من سورة المائدة") .

أولاً: أسباب اختيار موضوع البحث:

- ١- ابتغاء مرضاة الله - تعالى - وخدمة كتابه الكريم.
- ٢- إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة في كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً.

- ٣- رغبة مني في التدبر والتفكير والتأمل في آيات القرآن الكريم.
- ٤- إبراز لما تناولته سورة النساء، وسورة المائدة من موضوعات متنوعة مختلفة، في التربية الإيمانية، وتصحيح المفهوم الإسلامي عند الأمة، وذلك من خلال ربطها بواقعها المعاصر.
- ٥- زيادة الخبرة وعمق التعامل مع المنهج القرآني من خلال الدراسة التحليلية لأهداف السور.

ثانياً: أهمية موضوع البحث:

- ١- يعد علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها، لأنه يتعلق بأشرف الكتب، ألا وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ، وجعله معجزته الخالدة إلى يوم القيامة.
- ٢- يقدم القرآن الكريم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، والعمل على حل المشاكل المعاصرة .
- ٣- التعرف على مقاصد وأهداف الآيات والسور هو المنهج الأسلم الذي يوضح كيفية كون كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً، وقد بلغ الكمال في لفظه ونظمه ومعناه، وتكون معه المناسبات، والوحدة الموضوعية في السورة، كالبناء المرصوص من خلال وحدة بنائها وترابطها.
- ٤- بيان المقاصد والأهداف للآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.
- ٥- الدراسة التحليلية تصقل شخصية الإنسان المسلم، وتبني قدراته في فهم آيات الله تعالى فهماً دقيقاً يؤهله للتأصيل، والاستنباط.

ثالثاً: أهداف البحث:

- ١- إظهار المقاصد والأهداف الأساسية لسورتي النساء من آية ١٤٨ إلى آخرها، والمائدة من آية ١-٢٦ .
- ٢- بيان بعض جوانب الإعجاز، أو وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، وذلك من خلال الدراسة التحليلية والوحدة الموضوعية لآيات الدراسة .
- ٣- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي محكم يتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد، والأهداف المستنبطة من آيات الدراسة.
- ٤- صقل الخبرة الذاتية للباحثة بالدراسة التحليلية المتعمقة الدقيقة لآيات الدراسة .

رابعاً: منهجية الباحثة من خلال بحثها:

- ١- استخدمت الباحثة المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة لسورتي النساء والمائدة، وبيان أسماء السورة، وفضلها، وترتيبها، ومكان وزمان نزولها، ومحورها الرئيسي، كما ستقوم الباحثة بتقسيم آيات سورة النساء من آية (١٤٨) حتى آخر السورة، ومن آية (١-٢٦ من سورة المائدة) إلى مباحث مختلفة، جاعلة لكل مبحث آياته المناسبة له،

حسب موضوع آيات المبحث نفسه، وقمت بمحاولة تحديد واكتشاف ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد، وأهداف وتحليلها، والاستشهاد لهذه الأهداف والمقاصد بالمنهج التحليلي بما فيه من أدوات متعددة ، تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن، وعلم اللغة، وإعجاز القرآن والسنة المطهرة وغيرها، كذلك ربط هذه المقاصد، والأهداف بواقع الأمة، وحالها المعاصر بما يساهم في حل مشاكلها التي تعاني منها .

٢- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة، وليس في حواشي الصفحات، بهدف التخفيف عن الحواشي.

٣- تخريج الأحاديث المستشهد بها في البحث تخريجاً علمياً، مع بيان حكم العلماء عليها إلا إذا كان في الصحيحين.

٤- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث.

٥- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها و ذلك حسب المتبع في طريقة البحث العلمي.

٦- الترجمة للشخصيات والأعلام المغمورة في البحث.

٧- اكتفيت في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة، وأترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع، إلا في أول مرة وذلك تخفيفاً عن الحاشية.

٨- عند إحالة القارئ إلى فكرة، أو جزئية، أو حديث قد سبق ذكره في البحث أقول: سبق الإشارة إليه .

٩- عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب طريق وأسهله .

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، والبحث عبر شبكة الإنترنت، وسؤال الإخوة المختصين لم أعثر على أية رسالة علمية سواء كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه قد تناولت هذا الموضوع .

تناولت هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد، والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم، وكان نصيبي في هذه الدراسة (سورة النساء من الآية ١٤٨ من سورة النساء حتى الآية ٢٦ من سورة المائدة).

سادساً: خطة البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث سابقة الذكر، وضعت هذه الخطة، والتي تتكون من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، ومجموعة فهارس، وبيان ذلك فيما يلي:

المقدمة: وتشتمل على العناصر الآتية:

- ١- أسباب اختيار موضوع البحث.
- ٢- أهمية موضوع البحث .
- ٣- أهداف البحث .
- ٤- منهجية الباحث في بحثه .
- ٥- الدراسات السابقة للبحث .
- ٦- خطة البحث .

التمهيد

تعريف عام بسورتي النساء والمائدة، مناسباتهما، وبيان مقاصدهما وأهدافهما

ويتكون من أربعة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف العام بسورة النساء.**
- المبحث الثاني: المناسبة في سورة النساء.**
- المبحث الثالث: تعريف مقاصد وأهداف السورة القرآنية.**
- المبحث الرابع: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السورة القرآنية.**

المبحث الأول

التعريف العام بسورة النساء

ويشتمل على خمسة مطالب:

- المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.**
- المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.**
- المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها.**
- المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.**
- المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.**

المبحث الثاني

المناسبة في سورة النساء

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.**
- المطلب الثاني: المناسبة الداخلية في سورة النساء.**
- المطلب الثالث: المناسبة الخارجية في سورة النساء.**

المبحث الثالث

تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين الأهداف والمقاصد.

المطلب الرابع: أهداف ومقاصد السورة القرآنية.

المبحث الرابع

المقصود بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السور القرآنية

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الهدف من الدراسة التحليلية للسورة.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النساء

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول : مقاصد وأهداف سورة النساء من آية (١٤٨-١٢٦).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النساء من الآية (١٦٢-١٧٦).

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة النساء من آية (١٤٨-١٢٦)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: الجهر بالسوء والعتق عنه، وإبداء الخير واخفاؤه.

المقطع الثاني: الكفر والإيمان وجزاء كل من الفريقين.

المقطع الثالث: مواقف اليهود المتعنتة، وتنوع العذاب لهم.

المقطع الرابع: ادعاء اليهود قتل عيسى بن مريم وصلبه.

المقطع الخامس: بيان عاقبة ظلم اليهود، وأخذهم الربا، وثواب المؤمنين منهم.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة النساء من آية (١٣٦-١٧٦)

ويشتمل على سبعة مقاطع:

- المقطع الأول: وحدة الرسالات السماوية، ومهمة الأنبياء المرسلين.
- المقطع الثاني: ضلال الكافرين وصددهم عن سبيل الله تعالى.
- المقطع الثالث: دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- للناس كافة.
- المقطع الرابع: الغلو في الدين والقول بألوهية عيسى بن مريم.
- المقطع الخامس: عقوبة المستكبرين في الأرض.
- المقطع السادس: دعوة الناس إلى الإيمان بالنور المبين.
- المقطع السابع: حكم الكلاله وبعض أحكام المواريث.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المائدة من الآية (١-٢٦).

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة المائدة.

- المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١-٥).
- المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (٦-١١).
- المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١٢-٢٦).

المبحث الأول

تعريف عام بسورة المائدة

ويشتمل على ستة مطالب:

- المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه السورة.
- المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكية أو مدنية.
- المطلب الثالث: مكان وزمان نزول السورة.
- المطلب الرابع: فضائل السورة وجو نزولها.
- المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة.
- المطلب السادس: مناسبة سورة المائدة لما قبلها وبعدها.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١-٥)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

- المقطع الأول: الوفاء بالعقود، ومنع الاعتداء والتعاون على الخير، وتعظيم شعائر الله تعالى.
- المقطع الثاني: أنواع المحرمات من الأطعمة، وبيان إكمال الدين.

المقطع الثالث: أنواع الحلال من الأطعمة، وأحكام الصيد والنكاح.

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (٦-١١)

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أحكام الصلاة، وتطهير العباد، وإتمام النعمة عليهم.

المطلب الثاني: القوامة على البشرية بالعدل والتذكير بنعم الله ﷻ.

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١٢-٢٦).

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عهد الله -تعالى- على اليهود والنصارى، ونقضهم له، وبيان بعض الأحكام.

المطلب الثاني: بيان معتقدات اليهود والنصارى، والرد عليهم.

المطلب الثالث: تذكير موسى -عليه السلام- قومه بنعمة الله و مطالبتهم بدخول الأرض المقدسة.

الخاتمة : وتشتمل الخاتمة على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة: وتشتمل على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

التمهيد

تعريف عام بسورة النساء، مناسباتها،

وبيان مقاصدها وأهدافها

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف العام بسورة النساء.

المبحث الثاني: المناسبة في سورة النساء.

المبحث الثالث: تعريف مقاصد وأهداف السورة القرآنية.

المبحث الرابع: التعريف بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد

السورة القرآنية.

المبحث الأول

التعريف العام بسورة النساء

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكيتها أو مدنيته.

المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب الأول

أسماء السورة ووجه التسمية

تعتبر سورة النساء من السبع الطوال، لطولها على سائر سور القرآن، حيث قال ﷺ: " أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَثْنَيْنِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفْصَلِ " (١).

وقد أطلق عليها اسمان هما:

١- سورة النساء: سميت بهذا الاسم في كلام السلف، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ " (٢)، وكذلك سميت في المصاحف، وكتب السنة، والتفسير بهذا الاسم.

٢- سورة النساء الكبرى: وجاء في كتاب "بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي" (٣) أن هذه السورة تسمى سورة "النساء الكبرى" واسم سورة "الطلاق" النساء الصغرى (٤).

وجه التسمية:

سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة، تحتوي على العديد من الأحكام الشرعية التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وهي تعنى بجانب التشريع، كما هو الحال في السور المدنية، تحدثت السورة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة، والبيت والأسرة، والدولة والمجتمع، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها، كانت تبحث حول موضوع "النساء"، ولهذا سميت سورة "النساء"، تكريماً لهن، ولدورهن في الأمة الإسلامية، ولقد بين ذلك الصابوني في تفسيره حيث قال: "سميت

(١) شعب الإيمان، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ح (٢٤٨٤)، ٤٨٧/٢، حسنه الألباني انظر: السلسلة الصحيحة للألباني، ٤٦٩/٣. السور التي تعرف بالمتين هي ما ولي السبع الطوال، وإنما سميت بمتين لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية، أو تقاربها، والمتاني: آيات سورة الفاتحة سماها مثاني؛ لأنها تنثي في كل صلاة، وفي كل ركعة، أما المفصل: فهو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مفصلاً لقصورها وكثر الفصول فيها. انظر: (غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ٢٤٣/١).

(٢) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب القرآن، باب تأليف القرآن، ح (٤٩٩٣)، ١٨٥/٦.

(٣) الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، الإمام قاضي القضاة مجد الدين، أبو الطاهر الفيروزآبادي، ابن شيخ الإسلام سراج الدين يعقوب، شافعي المذهب، له تصانيف متعددة منها: القاموس المحيط والقاموس الوسيط، (ت: ٨١٧هـ)، انظر: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١٢٦/٧.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، ١٦٩/١.

سورة النساء: لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهنّ بدرجة كبيرة، لم توجد في غيرها من السور، ولذلك أطلق عليها "سورة النساء الكبرى" في مقابله "سورة النساء الصغرى" التي عرفت في القرآن بسورة الطلاق^(١).

قال البقاعي^(٢): وسميت بذلك "لأن السبب الأعظم في الاجتماع، والتواصل، مادة الأرحام العاطفة التي مدارها "النساء"؛ لأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد، وهو ما دعت إليه السورتان قبلها"^(٣).

وسورة "النساء" تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح بها جميع النواحي من حيث الموضوعات التالية: الأسرة، المال، أسس الجماعة الإسلامية، مصادر التشريع، ألوان التمرد على التشريع، أسس الاستقرار الداخلي، مكافحة الآراء، شبه الضارة، وترويج هذا كله بالدعوة إلى الإيمان بمحمد ﷺ وما جاء به من هداية ونور"^(٤)، وقال الشيخ كشك في تفسيره: سميت بذلك: "ليبيان المناكحات، وعدد النساء، وحكم الصداق"^(٥).

[وقد تتبعت كلمة "النساء" ومشتقاتها في السورة، فوجدت أنها وردت في السورة بلفظ "النساء" عشرين مرة، مما يعادل ١١% من عدد آيات السورة البالغة ١٧٦ آية، أما مجموع الآيات التي تتحدث عن "النساء" باللفظ الصريح وغير الصريح فقد بلغت ١٧% من عدد آيات السورة الكلي، وبطرح العدد الإجمالي ١٧% من العدد الصريح فيكون الناتج ٦، وهو عدد حروف كلمة "النساء" التي سميت بها السور] والله تعالى أعلم^(٦).

وفي ذلك دليل دافع لكل الأباطيل، وداحض لكل الشبه التي تثار حول حقوق المرأة في الإسلام، وتدعى زوراً وبهتاناً أن الإسلام قد هضم حقوقها، فهل هناك دليل لاحتزام المرأة ورفع شأنها واحترام حقوقها في الإسلام، أعظم من ورود سورة من سور القرآن الكريم، تعنى ببيان أحكامهن وحقوقهن ويطلق عليها اسم "سورة النساء"، وهي من السور الطوال، لتكون بمثابة إقرار

(١) صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، ٢٣٥/١.

(٢) البقاعي: إبراهيم بن عمر حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ، أديب أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة وتوفي بدمشق، ومن كتبه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصرع التصوف، انظر: الأعلام للزركلي، ٥٦/٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ٢٠٣/٢.

(٤) تفسير القرآن الكريم، الإمام الأكبر محمود شلتوت، ص ٦٦٩.

(٥) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١/٧٦٤.

(٦) نقلاً عن رسالة الطالب عزات أحمد السويركي، تفسير القرآن العظيم من خلال القراءات العشر المتواترة - تطبيقاً على سورتي النساء والمائدة، إشراف د. مروان محمد أبو راس، ص ٦٥.

خالد لا تطاله اتهامات المبطلين والمتهمين للإسلام.

يقول الإمام الأكبر محمود شلتوت (١): "ولم تكن هاتان السورتان فقط "النساء والطلاق" هما كل ما عرض فيه القرآن لشأن النساء، بل عرض لهن في أكثر من عشر سور، وإن لم تسم بهذا الاسم فقد عرض لهن في سورة "البقرة، المائدة، النور، الأحزاب، المجادلة، الممتحنة، وسورة التحريم" (٢).

وترى الباحثة أن سبب تسمية سورة النساء، بسورة النساء الكبرى، أو الطولى؛ لأنها توسعت وفصلت وتنوعت في كثير من حقوق وأحكام النساء، وأما سبب تسمية سورة الطلاق بسورة النساء الصغرى أو القصوى؛ لأنها تحدثت عن أحوال الزوجين من جانب واحد، وهو أحكام الطلاق، وما ينتج عنه من عدة ونفقة ومسكن وأجر المرضعة، والله أعلى وأعلم.

المطلب الثاني

ترتيب السورة، عدد آياتها، مكيتها أو مدنيتهما

أولاً: ترتيب سورة النساء:

هي السورة الرابعة من القرآن الكريم من حيث ترتيب السور في المصحف، وهي أطول سور القرآن بعد سورة البقرة، وأما ترتيبها من حيث النزول: فقد نزلت سورة "النساء" بعد سورة الممتحنة (٣).

ثانياً: عدد آيات سورة النساء:

[عدد آياتها عند الشاميين مائة وسبع وسبعون آية، وعند الكوفيين مائة وستة وسبعون، وعند الباقيين مائة وخمس وسبعون، والمختلف فيه منها آيتان إحداهما: ﴿أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، وثانيهما: ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧٣]، الكوفيون يثبتون الأولى آية والشاميون يثبتون الثانية أيضاً، والباقيون يقولون هما بعض آية (٤). عدد كلماتها: ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة، وعدد حروفها: ستة عشر ألفاً وثلاثون حرفاً (٥).

(١) محمود شلتوت: فقيه، مفسر مصري، ولد في مدينة بني منصور بالبحرية سنة ١٣١٠هـ-١٨٩٣م، تخرج بالأزهر ١٩١٨م، كان داعية إصلاح، كان من أعضاء كبار العلماء ١٩٤١م، وهو من أعضاء المجمع اللغوي ١٩٤٦م، ثم شيخاً بالأزهر ١٩٥٨م، له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، كان خطيباً موهوباً جهير الصوت، توفي- ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، انظر: الأعلام، للزركلي، ١٧٣/٧.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، الإمام الأكبر محمود شلتوت، ص ١٦٢-١٦٥ بتصرف.

(٣) انظر: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، للرازي ٧٠٥/٩، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، إبراهيم ٢٠٤/٤.

(٤) روح المعاني، شهاب الدين الألوسي، ٣٨٩/٢.

(٥) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٧٦٤/١، وبصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٦٩/١.

ثالثاً: مكية أم مدنية:

وقد أجمع العلماء على مدنية سورة النساء، واستثنى بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وزعم النحاس^(١) أنها مكية مستنداً إلى قوله تعالى للآية السابقة فقد نزلت بمكة اتفاقاً في شأن مفتاح الكعبة، وتعقبه السيوطي، بأن ذلك مستند وإيه، لأنه لا يلزم من نزول آية، أو آيات بمكة من سورة طويلة نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكية، خصوصاً أن الأرجح أن ما نزل بعد الهجرة مدني، وبالرجوع لضوابط المكي والمدني، كما بين الدكتور فضل عباس: أن ما نزل بعد الهجرة فهو مدني وإن نزل في مكة^(٢).

والدليل على مدنية سورة النساء ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "مَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ"^(٣)، ولا خلاف أن النبي ﷺ إنما بنى بها بالمدينة^(٤).
إن السورة نزلت بعد زواجه ﷺ من عائشة رضي الله عنها في المدينة بعد الهجرة.
اتفاق جميع المفسرين على أنها مدنية، والقليل من قال: إنها مكية، فالأولى أن يؤخذ برأي الكثرة والمتفق عليه، ورد رأي القلة.

المطلب الثالث

فضل سورة النساء وجو نزولها

أولاً: فضل سورة النساء:

وقد ورد في فضل السورة أحاديث عدة منها:

* عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "إن في سورة النساء خمس آيات ما يسرنى أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، و﴿إِنْ مَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، و﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

(١) النحاس: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، كان من الفضلاء، وهو مصري ومفسر وأديب، وتوفي بمصر يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة. انظر: وفيات

الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ١/٩٩-١٠٠، والأعلام، للزركلي ١/٢٠٨.

(٢) انظر: إتيان البرهان في علوم القرآن، للدكتور فضل عباس، ١/٣٨٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب القرآن، باب تأليف القرآن، ح (٤٩٩٣)، ٦/١٨٥.

(٤) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر البقاعي ٢/٨٦.

فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿النساء: ٦٤﴾ ، ثم قال: هذا إسناد صحيح، إن كان عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود سمع من أبيه، وقد اختلف في ذلك، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] (١).

* ومن أهم ما ورد في فضلها حث بعض الصحابة ﷺ على تعلمها؛ وذلك لأنها اشتملت على آيات علم الفرائض؛ حيث روي عن عمر بن الخطاب ﷺ «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةَ النَّسَاءِ، وَسُورَةَ الْمَائِدَةِ، وَسُورَةَ الْحَجِّ، وَسُورَةَ النُّورِ، فَإِنَّ فِيهِنَّ الْفَرَائِضَ» (٢).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: "مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأَوَّلَ فَهُوَ حَبْرٌ" (٣).

* ومن فضائل السورة أيضاً: عن عمرو بن مرة قال: "قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: اقْرَأْ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ وَأَنْزِلْ؟ قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا] ﴿النساء: ٤١﴾ قَالَ: «أَمْسِكْ» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَفَانِ" (٤).

وإن المنتبِع لهذه الأحاديث جميعها يجد أنها تركز على مدى عظمة هذه السورة وأهميتها، وإن دل ذلك فإنما يدل على ما تحتويه هذه السورة من معانٍ وأحكامٍ تفيد الأمة والمجتمع المسلم، والحث على العمل بما فيها.

وكذلك السورة تمتعت بفضائل كثيرة؛ حيث بينت حقوق النساء والأيتام، فشرعت لهم حقوقهم كاملة، وكانت أيضاً الدرع الواقي لمشاكل وتشتت الأسرة، فقد تفننت هذه السورة في تنظيم ومعالجة البيت المسلم، والحفاظ عليه وعلى أمنه.

وأيضاً كان لها دور بارز في الدعوة إلى الله ﷻ، وإعلاء كلمته، وتحقيق عزة المؤمن وكرامته، عن طريق الجهاد في سبيل الله تعالى، وكشف فضائح المنافقين ومخططاتهم ومكائد اليهود.

(١) المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، باب تفسير سورة النساء، ٣٠٥/٢، وقال: هذا إسناد صحيح، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، ح (٣٤٩٣)، ٤٢٩/٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب مسند الصديقة عائشة، ح (٢٤٤٤٣)، ٥٠١/٤٠، أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٨٥/٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، ح (٤٥٨٢)، ٤٥/٦.

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه سورة النساء:

بعد هجرة النبي ﷺ وإقامته الدولة الإسلامية في المدينة المنورة أخذ أعداء الله، وأصحاب المنهج الجاهلي يخططون للإطاحة بالدولة الإسلامية، ولكن كان أمر الدولة الإسلامية في كل يوم يزداد رفعة، ولقد كان بداية نزول سورة "النساء" في السنة الثالثة للهجرة، وامتد نزولها إلى السنة الثامنة للهجرة، وخلال هذه السنوات كانت الدولة الإسلامية كل يوم في صعود وانتصار، لذلك لو نظرنا إلى فواصل سورة "النساء" نجد أن معظمها تتناغم مع هذه المرحلة حيث إن معظم فواصلها جاءت على حرف الألف الذي يدل على الارتقاء والصعود والشموخ، إلا إنه وفي بعض الأحيان كانت تمر على المسلمين أوقات عصيبة، مثل حصار الأحزاب للمدينة المنورة حيث أصاب المسلمين ألوانٌ من العذاب من شدة الجوع والخوف، فكانت بعض فواصل هذه السورة تشير إلى هذه المرحلة العصيبة التي تحتاج من المسلمين إلى الصبر والتحمل، فكانت بعض فواصل السورة أحياناً تنتهي بالميم، وفي أخرى تنتهي بالواو، فحرف الميم فيه انطباق الشفتين، وحرف الواو من حروف العلة الذي يستخدمه المريض عند تألمه، وكلا الحرفين يبين مدى المعاناة والألم الذي أصاب المسلمين، ثم بعد ذلك يأتي صلح الحديبية الذي هو بمثابة نصر للإسلام^(١).

المطلب الرابع

المحور الأساسي للسورة

لكل سورة من القرآن الكريم شخصيتها الخاصة، وبصمتها التي تميزها عن غيرها، ومحورها الذي تلتقي عنده جميع موضوعاتها، فلو وقفنا على سورة "النساء" نجد أنها تعمل على محو الجاهلية بكل تصوراتها، وترسي في المقابل المنهج الرباني الذي يكشف عن مساوئ الجاهلية، ثم إنها تعمل على التعريف بأعداء هذا المجتمع سواء كانوا من أهل الكتاب، أو كانوا من المنافقين، كما أن السورة تكشف جاهدة عن مخططاتهم ومكائدهم. ونستطيع القول بأن محور السورة هو: بناء الفرد والأسرة والمجتمع وفق المنهج الإسلامي، ونبذ المجتمع الجاهلي بتصويراته الخاطئة^(٢).

والذي أطلق عليه الإمام الأكبر محمود شلتوت (ألوان من التمرد على التشريع)^(٣)، من حيث أكل أموال الناس بالباطل، كمال اليتامى، والزوجة، وكذلك المواريث، فإن ذلك يورث الحقد ويفضي إلى التقاتل، وكذلك إبطال ظاهرة التبني، وطى صفحاتها؛ لأنه لا يصلح لمؤمن بالله واليوم

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥٥٤/١، بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٥٥/١، بتصرف.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، الإمام الأكبر محمود شلتوت، ص ١٦١.

الآخر أن يفعله.

وبصورة عامة فسورة "النساء" جاءت لتعالج الاستقرار الداخلي والاستقرار الخارجي، فالاستقرار الداخلي أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال في ظل تشريع قوي عادل صادر عن حكيم خبير، بنزعات النفوس واتجاهاتها، بعيد عن تحكيم الأهواء والشهوات، والاستقرار الخارجي أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطراً عليها، والعدو الذي يطمع فيها، وسورة "النساء" تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح هذه النواحي جميعاً^(١).

المطلب الخامس

الأهداف العامة لسورة النساء

من أعظم أهداف هذه السورة المباركة:

أولاً: الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران، والكتاب الذي هدت إليه سورة البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة، فإنه لما تقرر أمر الكتاب الجامع الذي هو الطريق، ومثبت الأساس الحاصل الذي هو التوحيد، احتيج إلى الاجتماع على ذلك، فجاءت هذه السورة داعية إلى التواصل والتعاطف والتراحم^(٢).

ثانياً: تعرضت السورة لموضوع المرأة والعناية بشأن النساء وتنظيم الأسرة، والزواج، فصانته كرامة المرأة، وحفظت كيانها، ودعت إلى إنصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها، كما تناولت السورة الكريمة، تنظيم العلاقات الزوجية، وبينت أنها ليست علاقة جسد، وإنما علاقة إنسانية، لذلك فقد تناولت السورة الكريمة حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها الرجل لإصلاح الحياة الزوجية، عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين، ثم بينت معنى قوامة الرجل، وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، إنما هي قوامة نصح وتأديب^(٣).

ثالثاً: تقرير أصول التصور الإسلامي في تنظيم شؤون المجتمع والإصلاح الداخلي، ببيان حد الإيمان وشرط الإسلام، بياناً حاسماً جازماً يكشف عن طبيعة النظام الإسلامي، ومنهج المسلمين في الطاعة والاتباع والتلقي من الله وحده ﷻ والتحاكم إلى منهج الله ﷻ، وإتباع أحكام رسوله ﷺ وطاقته، وأداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل، وبيان أصول التكافل

(١) تفسير القرآن الكريم، الإمام الأكبر محمود شلتوت، ص ١٦٨، ١٦٩ بتصرف.

(٢) انظر: نظم الدرر، للبقاعي، ٢/٢٠٥.

(٣) صفوة التفسير، للصابوني، ١/٢٣٦ بتصرف.

الاجتماعي، الذي يبدأ من الأسرة، ثم يمتد ليشمل المحتاجين والضعاف في الجماعة كلها، وبيان ضرورة صيانة المجتمع والمحافظة على بنائه الداخلي، بالتوقف عن تداول الإشاعات، والتحذير من التعرض للمؤمنين بالسوء والقتل^(١).

رابعاً: تقرير بعض أصول التصور الإسلامي في العلاقات الدولية والأمن الخارجي، وذلك ببيان قواعد المعاملات الدولية بين معسكر الإيمان، وشتى المعسكرات الخارجية سواء المناوئة له أو المهادنة أو المعاهدة، مع بيان أصول قواعد الحدود المنظمة للعلاقات الإنسانية، واعتماد مبدأ الجهاد لحماية الجماعة المسلمة، واستنقاذاً للضعفاء من المؤمنين، وتخليصاً للناس من شرور الظالمين، مع بيان ضرورة الإعداد المتواصل لمكافحة الأعداء، وقد رأينا الآيات تذهب بعيداً عن هذا المجال، وذلك بأمر النبي ﷺ بالجهاد، ولم يجد إلا نفسه بعد تحريض المؤمنين^(٢).

خامساً: كشف مخططات وأهداف أهل الكتاب، ومزايهم الخبيثة تجاه الجماعة المسلمة، وبيان مكرهم وكيدهم، واعتبارهم خطراً كبيراً وعدواً للمسلمين، وتهديدهم بسوء المصير مع بيان مواقفهم التي أدت إلى اتخاذ هذا الموقف منهم، مثل: موقف اليهود من رسل الله، وموقف النصارى من عيسى عليه السلام، وضلالاتهم بعد ما جاءهم الحق من ربهم^(٣).

سادساً: توجيه أنظار المسلمين إلى الخطر الداخلي الكبير الذي يمثله المنافقون، فهم نبتة السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها؛ لأنها تنخر في جسد الجماعة المسلمة، وهي بمثابة خنجر مسموم في خاصرة الأمة، لذا تحدثت الآيات عن بعض صفاتهم، محذرة المسلمين من الوقوع فيها، منها الولاء لغير الجماعة المسلمة، والتهاون والتراخي في دينهم مجاملة أو مراعاة للعلاقات الاجتماعية^(٤).

سابعاً: حثت السورة على التوبة، ودعت إليها كوسيلة للتطهر، ودليل إلى تكامل الشخصية واستعادة الثقة بالنفس، والشعور بالأمن والاطمئنان .

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦١٥/٢، ٦١٦ بتصرف.

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، ٤٥/١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤٥/١

(٤) انظر: المرجع السابق، ٤٥/١.

المبحث الثاني

المناسبة في سورة النساء

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: المناسبة الداخلية في سورة النساء.

المطلب الثالث: المناسبة الخارجية في سورة النساء.

المطلب الأول

تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف المناسبة في اللغة:

المناسبات جمع مناسبة والمناسبة في اللغة المشابهة والمشكلة والمقاربة، ومنه النسب القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه ممن بينهم مناسبة أي رابطة تربط بينهم وهي القرابة^(١). ويقول ابن فارس: "النون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها اتصال فلان، والنسب الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض"^(٢).

ويقول ابن منظور: "ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة"^(٣).

أما عند الأصوليين: "المناسبة في اللغة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت على مقارنة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم"^(٤). وعند البلغاء: "التناسب الترتيب للمعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر"^(٥).

ثانياً: تعريف المناسبة في الاصطلاح:

هي بيان "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"^(٦).

ويقول الإمام البقاعي في تعريف المناسبة: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"^(٧).

ويقول الإمام الزركشي^(٨): "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"^(٩).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٤٢٣/٥، والصاحح، تاج اللغة، وصاحح العربية، لإسماعيل بن

حماد الجوهري، ٢٢٤/١، وأساس البلاغة، للإمام جار الله الزمخشري، ص ٦٢٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٢٤/٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٧٥٦/١.

(٤) أصول الفقه، للإمام محمد أبو زهرة، ص ٢٤١.

(٥) المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، ص ٤٣٠.

(٦) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٩٧.

(٧) نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، للبقاعي، ٦/١.

(٨) الزركشي: محمد بن عبد اله بن بهادر، أبو عبد الله المصري الزركشي، كان فقيهاً، أصولياً، مفسراً، له مؤلفات

نافعة، (ت: ٧٩٤هـ)، انظر: طبقات المفسرين، الداوودي، ١٥٧/٢.

(٩) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ٦٢/١.

ويقول الدكتور مصطفى مسلم: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه وفي كتاب الله تعني ارتباط السور بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها" (١).

فبالنظر في المعاني اللغوية والاصطلاحية للمناسبة ترى الباحثة أن المعنى اللغوي متوافق مع المعنى الاصطلاحي للمناسبة، فالآية وأختها جارتان شقيقتان، يربط بينهما رباط دقيق، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، فمن الممكن أن يكون بينهما التضاد أو التباعد في المعنى، والمهم أن هناك صلة وربطاً يربط بين الآيتين، سواء توصل إليه العلماء أو لا، فقد يظهر أحياناً ويختفي أحياناً أخرى، وهذا مجال لتسابق الباحثين.

المطلب الثاني

المناسبة الداخلية في سورة النساء

أولاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

سورة النساء مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه سورة آل عمران، والكتاب الذي هدت إليه سورة البقرة لأجل الدين الذي جمعه الفاتحة تحذيراً مما أراده شاس بن قيس رجل من يهود "بني قينقاع" وأنظاره من الفرقة، ولما كان مقصودها الاجتماع "على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد"، وكان السبب الأعظم في التواصل عيادة الأرحام العاطف على مدارها النساء؛ ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد (٢).

وكذلك السورة تتعلق بقضايا مهمة تخص النساء، فمن هذه القضايا: الحث على صلة الأرحام، والإباحة في تعدد الزوجات، وعند غياب العدل بينهن الاقتصار على واحدة، وإعطاؤهن صدقاتهن نحلة، والعدل في تقسيم الميراث بينهن وبين الذكور، ثم ذكر عقوبة النساء اللاتي يأتين الفاحشة وقبول توبتهن، ثم التحذير من أخذ حقوقهن بالقوة بغير حق، والحث على مصاحبتهن بالمعروف، وإعطائهن حقوقهن في المهر كاملة من غير نقصان، ثم بين ما يحل للزوج منهن، والمحرمات بالقرابة أو الصهر، وجواز التزوج بالأمة في حال عدم القدرة على الزواج من الحرة، ثم بين عَلَيْكُمْ حال النساء الصالحات المطيعات، وحال الناشزات المتمردات، ثم الاستعانة بالأهل حال الشقاق بين الزوجين، والحث على الصلح بينهم، والإحسان بالمعروف في يتامى النساء (٣).

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ص ٥٨.

(٢) انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، ٨٨/٢، ٨٩.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٩/٦.

ثانياً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها:

يقول سيد قطب: "وهكذا تختم السورة التي بدأت بعلاقات الأسرة وتكافلها الاجتماعي، وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية في ثناياها ... تختم بتكملة أحكام الكلاله، وهي قول أبي بكر رضي الله عنه، وهو قول الجماعة: ما ليس فيها ولد ولا والد" (١).

قال الرازي في مناسبة سورة النساء أولها لآخرها: "واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان قدرة الله تعالى، فإنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، وهذا دل على سعة القدرة وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلالة والعزة" (٢).

المطلب الثالث

المناسبة الخارجية في سورة النساء

أولاً: المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمة ما قبلها:

آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به، وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع، يسمى في الشعر تشابه الأطراف (٣)، وقوم يسمونه بالتسبيغ (٤).

ثانياً: المناسبة بين مضمون سورة النساء ومضمون ما قبلها (سورة آل عمران):

١- سورة آل عمران اختتمت بالأمر بالتقوى، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وافتتحت سورة النساء بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] (٥)، وهذا من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من البديع يسمى: تشابه الأطراف (٦).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٩/٦.

(٢) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الغماري، ١٢٢/٢١.

(٣) ولا يضر في ذلك كون الخطاب الأول بـ (يا أيها الذين آمنوا) والخطاب الثاني بـ (يا أيها الناس) كما لا يخفى.

(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي، ٣٨٩/٢.

(٥) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٧٦٤/١.

(٦) تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، ص ٧٦.

٢- ذكرت غزوة أحد في سورة آل عمران مستوفاة بالتفصيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ يَقُولُ لِلمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢١-١٢٦] ، وذكر في هذه السورة (النساء) ذيلها فقط لتلك الغزوة، قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ نَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨] ^(١).

٣- سورة آل عمران ذكرت فيها الغزوة التي بعد أحد، وحمراء الأسد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وأشير إليها هنا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] ^(٢).

٤- ذكر في سورة آل عمران قصة خلق عيسى عليه السلام بلا أب، وأقيمت له الحجة بآدم، وفي ذلك تبرئة لأمه خلافاً لما زعم اليهود، وتقرير لعبوديته، خلافاً لما ادعته النصارى، وذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً، فرد على اليهود بقوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]، وعلى النصارى بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] إلى قوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢] ^(٣).

٥- إنه لما كانت الدعوة إلى أمهات الفضائل: العلم والشجاعة والعدل والعفة، وكانت آل عمران داعية إلى اثنتين منها، وهما العلم والشجاعة، كما أشير إلى ذلك في غير آية ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]، جاءت سورة "النساء" داعية إلى الفضيلتين الباقيتين، وهما العفة والعدل، مع تأكيد الخصلتين الأخريين حسبما تدعوا إليه المناسبة، والشواهد في ذلك أكبر

(١) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١/٧٦٤.

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ص ٧١.

(٣) انظر: تناسق الدرر، للسيوطي، ص ٧٧، وانظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، ص ٧٢.

من أن تحصي، منها: ﴿وَأَتُوا اليتامى أموالهم﴾ [النساء: ٢] ، ﴿وَأَتُوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ [النساء: ٤] ، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ، أما العدل ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ [النساء: ١١] ، ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاستَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً﴾ [النساء: ١٥] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] (١) .

٦- إنه لما ذكر في آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمَطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ، رد هنا على من زعم قتله بقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] (٢) .

٧- إنه لما قال في آل عمران ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤] ، فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها "النساء" على نسق ما وقعت في الآية ليعلم ما أحل الله من ذلك، فيقتصر عليه، وما حرم فلا يتعدى إليه لميل النفس إليه (٣) .

٨- إنه لما قال في آل عمران في المتشابهة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] ، قال هنا ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢] (٤) .

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٢/٢٠٥.

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، ص ٧٢.

(٣) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، ص ٧٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٧٢.

وبهذه الأوجه يعرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها؛ لأن المذكور هنا ذيل لما ذكر هناك، وتابع فكان الأنسب فيه التأخير، ومن أمعن نظره وجد كثيراً مما ذكر في هذه السورة مفصلاً لما ذكر فيما قبلها، فحينئذ يظهر مزيد الارتباط وغاية الاحتباك^(١).

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، للبقاعي، ٢/٢٠٥.

المبحث الثالث

تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين الأهداف والمقاصد.

المطلب الرابع: أهداف ومقاصد السورة القرآنية.

المطلب الأول

تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً

تعريف الأهداف لغة:

هَدَفٌ: من أَهَدَفْتُ ودنوت منك والاستقبال والانتصاب، من انتصب الأمر؛ أي استوى واعتدل، يقال أَهَدَفَ لي الشيء؛ أي قَرَّبوا؛ فهو مستهدف؛ وفي حديث أبي بكر: قال له ابنه عبد الرحمن: "لقد أَهَدَفْتَ لي يوم بدر فَضِفْتُ^(١) عنك"؛ (**هَدَفٌ** والجمع أهداف، ومنه سمي الغرض هَدَفًا وهو المُنْتَضِلُ فيه بالسهم، ما وضع في الهدف ليرمى والغرض: الهدف ويسمى القرطاس غرضاً وهدفاً على الاستعارة)^(٢).

الأهداف اصطلاحاً:

للأهداف عدة تعريفات اصطلاحية منها:

- ١- هي الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع: [هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفسدات]^(٣).
- ٢- فالأهداف هي الغايات والرغبات التي تسعى لتحقيقها، منذ نقطة البداية، لأي مخطط أو منهج عاجلة كانت الأهداف، أم آجلة، واضحة أم خفية، معلومة أم مجهولة^(٤).

التعريف الشامل:

"هي السعي الحثيث لتحقيق المصالح التي تعود على العباد في الدنيا والآخرة، مستخدماً في ذلك كافة الوسائل المشروعة، ضمن خطة مدروسة للوصول إلى نتائج مرجوة ومشرفة" فمثلاً المسلم مأمور بالصلاة وهي فرض عليه، فتكون الصلاة مقصداً، والوضوء لها هدف حتى يستطيع القيام بها.

الخلاصة:

إن الأهداف محصورة في عموم السلوكيات البشرية التي تتناسب والقدرات الشخصية، المكونة من الأبعاد العقلية والوجدانية والسلوكية والأخلاقية والاجتماعية، بحيث تتجاوز مع

(١) ضفت: من ضاف على الشيء ضَوْفاً: عدل، وضفت: عدلت، انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٧٥/٢،

وانظر: غريب الحديث والأثر، لابن قتيبة الدينوري، ٤٩٣/٢.

(٢) انظر: تاج العروس من جوهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ٦١٧٤/١.

(٣) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، ص ٧٩.

(٤) الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم، ص ١٤ بتصرف.

الأهداف القرآنية، والتي لا تتحقق إلا من خلال الالتزام بشرع الله تعالى، المرجعية الأساس للمسلمين، فالإسلام ينظر إلى هذه الأبعاد على أنها المحور والمركز لتحقيق الأهداف القرآنية وخاصة: الفكرية والإيمانية، حتى تسلم النفس من الهوى والشيطان، من خلال ضبط الشهوات، لنلا تنجح إلى السوء، وتسعى لسمو النفس بفكرها وحسن إيمانها، لتكون بداية لتحقيق المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني

تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

إن الوقوف على مقاصد الشريعة ومعرفة عللها وأحكامها، والتي هي جزء من المقاصد القرآنية، يجعل النفس تطمئن بمباشرة اليقين والاستبصار، بعيداً عن أي ظن، لأن مصدرها العليم الخبير، فبين المقصد من خلق الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الداريات:٥٦] وبما أن العبادة قائمة على وجود الإنسان وبقائه حياً، وبالتالي، فالمقاصد القرآنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم متعلق بالله وتوحيده، وقسم متعلق بمن سيوحد الله ويعبده، وقسم متعلق بمكان الإنسان واستمرار حياته وما يضمن سلامته، ولكي تتحقق لدى الإنسان المقاصد الثلاثة لا بد من الالتزام بشعائر الإسلام والعمل الجاد بالعقيدة الصحيحة، ليس شعاراً يرفع، لا ليخدم أهدافاً سياسية واقتصادية أو فكرية، أو مصالح ذاتية فحسب، وإنما قائم على مجموع مصالح الإنسان عموماً، فلا بد من توافق وترابط المقاصد القرآنية بدرجاتها الثلاث بعضها ببعض وهي: الضرورية، والمتمثلة بحفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، والحاجيات التي ترضى المقاصد الخمسة، ومن ثم المصالح التحسينية التي تكمل الضروريات والحاجيات^(١).

تعريف المقاصد لغة:

قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا فَهُوَ قَاصِدٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]، أي علي الله تبيين الطريق المستقيم، وطريق قاصد سهل مستقيم وسر قاصد سهل قريب وفي التنزيل العزيز: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة:٤٢]، أي غير شاق والقصد قَصْدُكَ وَقَصْدُكَ أي تجاهك، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتدر يقال فلان مقتصد في النفقة^(١).

تعريف المقاصد اصطلاحاً:

إن العلماء لم يحددوا معنى القصد أو المقصد اصطلاحاً، على الرغم من أنهم نصوا على جملة من المقاصد في مصنفاتهم، وذكروا بعضاً من تقسيماتها، كذكرهم الكليات المقاصدية الخمس

اختصار : موقع الرابطة <http://www.rayah.info/browse.php?comp=viewArticles&file=article&sid=2613>

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٤٥٣/٣.

(حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال)، وذكر المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وبعض الحكم والأسرار والعلل^(١) كما أنهم عبروا عن المقاصد بألفاظ مختلفة، وتعابير متباينة على الرغم من كونها دالة عليها، وهذا يفهم من سياقها، فقد عبر بعضهم عنها بالحكمة المقصودة بالشرعية من الشارع، وبعضهم أطلق عليها لفظ المصلحة، وجاء البعض الآخر بلفظ نفي الضرر ورفع وقطعه، ومنهم من عبر عنها بلفظ دفع المشقة ورفعها، أو رفع الحرج والضييق وتقرير التيسير والتخفيف، وتارة الكليات الخمس الكبرى^(٢).

[وقد رجح بعض أهل العلم من المعاصرين، أن أول من عني ببيان معنى المقاصد اصطلاحاً هو: العلامة محمد الطاهر بن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية)]^(٣)، وسنسوق بعضاً من التعاريف التي وضعها العلماء للمقاصد حتى يتسنى لنا إدراك معناها ومفهومها^(٤).

• عرف المقاصد ابن عاشور^(٥) بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظاتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام"^(٦).

• وعرفها الأستاذ يوسف حامد العالم بقوله: "هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وأخرتهم سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المنافع، أو عن طريق دفع المضار"^(٧).

• وعرفها الدكتور يوسف القرضاوي بقوله: "الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراراً"

(١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، ص ٧٥، وعلم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص ٥١.

(٢) انظر: الاجتهاد المقاصدي، حبيته، ضوابطه، مجالاته، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص ٤٨/١.

(٣) بين علمي أصول الفقه والمقاصد، الشيخ محمد الحبيب الخوجة، ص ١٢٠.

(٤) المفاهيم مفاتيح الفهم ومرآيا الحضارة، د. سيف الدين إسماعيل، مقال منشور على موقع إسلام أون لاين.

(٥) ابن عاشور: محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابغين في تونس، مولده ووفاته بها، وشارك في ندوات علمية كثيرة، وفي بعض مؤتمرات المستشرقين، (ت: ١٣٩٠هـ)، انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/٣٢٥.

(٦) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ص ١٦٥.

(٧) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف العالم، ص ٧٩.

وجماعات وأمة" (١).

• وعرفها الدكتور أحمد الريسوني بقوله: "هي الغايات التي وضعت الشرعية لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد" (٢).

• وعرفها نور الدين الخادمي بقوله: "المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت المعاني حكماً جزئياً، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد وهو تقرير عبودية الله ﷻ، ومصلحة الإنسان في الدارين" (٣).

الخلاصة: إن المقاصد الشرعية هي جملة ما أراده الشارع الحكيم، من مصالح تترتب عليه الأحكام الشرعية، فالصوم هدف ومصلحته المتمثلة ببلوغ التقوى مقصد، كما أن الجهاد هدف ومصلحته المتمثلة بدرء العدوان والذب عن الأمة مقصد، كذلك الزواج هدف ومصلحته التي هي غض البصر، وتحصين الفرج، وإنجاب الذرية، وإعمار الكون وهذه مصالح كثيرة ومتنوعة، وهي تجمع في مصلحة كبرى، وغاية كلية، "هي تحقيق عبادة الله ﷻ وإصلاح المخلوقين وإسعادهم في الدنيا والآخرة" وهذا هو المقصد الأساسي والأسمى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] (٤).

المطلب الثالث

الفرق بين الأهداف والمقاصد

من خلال ما سبق من تعريفات اصطلاحية لكل من الأهداف والمقاصد، نلاحظ الفرق بين

كلا الاصطلاحين، وتتمثل بالتالي:

أولاً: الأهداف:

لكل فكرة انطلاقة ومسار وهدف، "فالانطلاقة" هي البداية السليمة التي تؤدي إلى المسار السليم، والمسار السليم يوصل إلى الهدف النبيل، وبذلك يكون الهدف ليس بداية، وإنما على المسلم من بداية حياته أن يضع له هدفاً، ويسعى للوصول إليه.

• [الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعنى في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال.

(١) دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٠.

(٢) نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، ص ٧.

(٣) الاجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه، مجالاته، د. نور الدين الخادمي، ص ٥٢، وعلم المقاصد الشرعية، د. نور الدين الخادمي، ص ١٧.

(٤) الاجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه، مجالاته، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص ١٨-١٩ بتصرف.

- الأهداف تقوم على تطوير فلسفة المجتمع الممنهجة وفق سياستها التربوية.
- الأهداف العامة والخاصة لا بد أن ترتبط بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.
- الأهداف منها ما هو معلوم التحقيق، ومنها ما هو مجهول، غير قابل للتحقيق.
- الأهداف هي التي يرغبها الإنسان، ويسعى من خلال تحقيقها إلى تنظيم سلوكه الإنساني.
- إن الأهداف تكون قبل نتاج أي عمل، لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.
- كما أنها عبارات تحاول أن تعطي شكلاً واتجاهاً لمجموعة من المقاصد التفصيلية في المستقبل القريب أو البعيد.
- يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعيته، ومستوى عموميته.
- الأهداف تنقسم إلى عدة أهداف سلوكية تطبيقية، ومعرفية مهارية، ووجدانية عاطفية^(١).

ثانياً: المقاصد تتميز عن الأهداف بالتالي:

- المقاصد هي الحكمة المقصودة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.
- المقاصد هي الحق المقصود لذاته.
- تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، ودرء المفسد ودفع المضار، المقصود الأساس من وراء أي عمل.
- المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراراً وجماعات.
- المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة.
- المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام القرآنية والشريعة المترتبة عليها، سواء كانت تلك المعاني حكماً جزئياً أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن تقرير ونتاج واحد هو: العبودية لله ومصالحة الإنسان في الدارين^(٢).
- المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها استُخْلِفَ الإنسان على الأرض، وهي (التوحيد، والتزكية، والعمران)^(٣).

(١) انظر: الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم، ص ١٤-١٨ بتصرف.

(٢) http://www.islamweb.net/ver2/library/ummah_ShowChapter.php?lang=A&Babid=

4&Chapterid=4&book اقتباس واختصار بتصرف من موقع الشبكة الإسلامية.

(٣) انظر: مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، حوار مع د. طه جابر العلواني، ص ٨٢.

ولتوضيح ذلك:

إن لكل عمل هدفاً يضعه الإنسان نصب عينيه، ويسعى بكل السبل المتاحة للوصول إليه، وما وضعت هذه الأهداف إلا لمقصد نبيل وشريف، أرادَه اللهُ ﷻ لعباده، ليصلوا إلى المرتقى والمكانة التي تليق به كخليفة الله تعالى في الأرض.

المطلب الرابع

أهداف ومقاصد السور القرآنية

إن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال القرآن الكريم، وهو التدبر والهداية، فهذا القرآن أنزل لهداية الناس، وهداية الناس لا تتحقق على وجه الكمال إلا بالتأمل الدقيق في القرآن الكريم، ومعرفة ما أنزل القرآن من أجله، وذلك لا يتحقق ويتبين إلا بالنظر في مقصود سور القرآن، فعندما ننظر إلى تفاصيل ما في هذه السور، نهتدي إلى المقصود منها، فإِنَّهُ ﷻ أمرنا بالتدبر لمعرفة مراد الله ﷻ، من كلامه والعمل به (١).

قال البقاعي: "إن من عرف المراد من اسم السورة، عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب آيها، وقصصها وجميع أجزائها، فإن كل سورة لها مقصد واحد، يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقامات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإن كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدلال عليه"، ثم يقول في بيان أثره في السورة: "تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيفة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتدائها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغر، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها، ومن حقق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها" (٢).

ويقول محمد دراز (٣) في كتابه النبأ العظيم مؤكداً ذلك ومجليه: "لماذا نقول إن المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في

(١) أهمية علم المقاصد، د. محمد بن عبد العزيز الخضير، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن بتصرف.

(٢) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ص ١٤٩ بتصرف.

(٣) محمد دراز: فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب منها "الدين"، دراسة

تمهيدية لتاريخ الإسلام، وكتاب "النبأ العظيم"، ومدخل إلى تفسير القرآن، (ت: ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م)، انظر:

الأعلام للزركلي، ٢٤٦/٦.

جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظام عند المفصل، ومن فوقها تمتد شبكة من الوشائج تحيط بها عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية" (١) .

(١) النبأ العظيم، محمد دراز، ١/١٨٨.

المبحث الرابع

المقصود بالدراسة التحليلية

ويشتمل على مطلب واحد:

المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول

الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً

إن مصطلح الدراسة التحليلية مركب تركيباً وصفيّاً، من كلمتين هما (الدراسة) و (التحليلية)، ولكي ينتسب لنا الوقوف على المعنى اللغوي لهذا المركب، لا بد من معرفة المعنى اللغوي لكل كلمة على حدة.

فالدراسة: مصدر مأخوذ من الفعل (درس) ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ، ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] ، وبعد النظر في بعض المفاهيم اللغوية للوقوف على المعنى اللغوي لكلمة (الدراسة) كانت خلاصة القول كما يأتي:

(درس) درساً ودروساً، عفا وذهب أثره، وتقادم عهده، والثَّوبُ ونحوه أخلق وبلى، والبَعير جرب، والمرأة حاضت فهي دارس، وجمع: درس، ودوارس، والكتاب ونحوه درساً ودراسة قرأه، وأقبل عليه ليحفظه، ويفهمه.

(تدارس) الكتاب ونحوه، درسه وتعهده بالقراءة والحفظ، لئلا ينساه، والطلبة الكتاب درسه كل منهم على الآخر (١).

ومنه: " تدارسوا القرآن، أي اقرأوه، وتعهده، لئلا تنسوه، يقال: درس يدرس درساً، ودراسة، وأصل الدراسة: الرياضة والتعهد بالشيء" (٢).

وخلاصة القول:

إن الناظر في تصريفات مادة (درس) يتبين أن معناها اللغوي لا يخرج عن كون المقصود عن الحفظ والمداومة، على القراءة، بالدرس، والكشف والبيان، والحفظ لئلا ينساه، والتوضيح وإزالة اللبس والإشكال عن اللفظ المراد، والمجيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل.

أما الشق الآخر المركب (للدراسة التحليلية) فهو كلمة (التحليلية)، وأصلها من الفعل الرباعي (حَلَّلَ) على وزن (فَعَّلَ) ليكون مصدره على وزن (تَفَعَّلَ).

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية المعاصرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ٢٧٩/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، فخر الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الجزري، ١١٣/٢.

حلل، تحليل مفرد، جمع تحليلات، ومصدر حلل، عملية تقسم الكل إلى أجزائه، ورد الشيء إلى عناصره^(١).

قال ابن منظور^(٢) في الفعل الثلاثي (حل): "حلّ العقدة يحلّها حلاً: فتحها ونقضها فانحلت" (٣)، "وتحليلية) مفرد اسم مؤنث منسوب إلى تحليل، (دراسة تحليلية)، يتخذ التحليل أساساً لها" (٤).

ومما سبق من بيان المعنى اللغوي لشقي المركب، يمكن تعريف مركب (الدراسة التحليلية) لغة بأنه: "الكشف والبيان عن أجزاء الكلام لمعرفة خباياه، مع المجيء بلفظ أيسر، وأسهل من لفظ الأصل.

التحليل اصطلاحاً :

هو إرجاع ظاهرة مركبة إلى أبسط عناصرها، أو أجزائها، فيستخدم في علوم إنسانية، وطبيعية كثيرة بمعان متعددة لكنها جميعاً تربط بهذا المعنى العام.

في ضوء ما سبق ترى الباحثة أن (الدراسة التحليلية) هي: "العلم الذي يكشف فيه المفسر أو الدارس، عن معاني آيات القرآن الكريم من خلال المباحث التفصيلية".

(١) مجمع اللغة العربية، أحمد مختار عمر، ٥٥٠/١.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن القاسم، ابن منظور، أبو الفضل الأنصاري الأفرقي المصري، ولي قضاء طرابلس، من أشهر كتبه: لسان العرب في اللغة، توفي سنة ٧١١هـ. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ٢٤٨/١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٢٠٣/١١.

(٤) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دوري، ٢٦٠/٣.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النساء

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة النساء من الآية (١٤٨-١٦٢).

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النساء من الآية (١٦٢-١٧٦).

المبحث الأول

مقاصد وأهداف سورة النساء من الآية (١٤٨-١٦٢)

ويشتمل على خمسة مقاطع:

المقطع الأول: الجهر بالسوء والعتو عنه، وإبداء الخير، وإخفاؤه.

المقطع الثاني: الكفر والإيمان وجزاء كل من الفريقين.

المقطع الثالث: مواقف اليهود المتعنتة، وتنوع العذاب لهم.

المقطع الرابع: ادعاء اليهود قتل عيسى بن مريم وصلبه.

المقطع الخامس: بيان عاقبة ظلم اليهود، وأخذهم الربا،

وثواب المؤمنين منهم.

المقطع الأول

الجهر بالسوء والعفو عنه وإبداء الخير وإخفاؤه

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ * إِنَّ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خُفُّوهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿ [النساء: ١٤٨-١٤٩] .
أولاً: المناسبة:

فبعد أن حذر الله ﷺ المؤمنين من المنافقين وأهل الكتاب وعبوبهم، وأعمالهم، وصفاتهم، وأوضح أنهم في الدرك الأسفل من النار، أبان حكم الجهر بالسوء من القول على الإطلاق، وفي ذلك إشاعة الفواحش والعيوب، وإضرار الأمة، وإنما المشروعية مقيدة في حال الظلم، كما أن الإسرار بالخير والجهر سواء (١).

ثانياً: سبب النزول: قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ جَارَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ جَارِي يُؤذِينِي. فَقَالَ: «أَخْرِجْ مَتَاعَكَ فَضَعُهُ عَلَى الطَّرِيقِ» فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي شَكَوْتُ جَارِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ أَخْرِجَ مَتَاعِي فَأَضَعُهُ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ الْعَنهُ اللَّهُمَّ اخْرِهِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: ارْجِعْ فَوَاللَّهِ لَا أُؤذِيكَ أَبَدًا " «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ» (٢).

والثاني: أن رجلاً نال من أبي بكر الصديق، والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم رد عليه، فقام النبي ﷺ فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني، فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه، قمت؟! فقال: (إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت عليه، ذهب الملك، وجاء الشيطان)، هذا قول مقاتل (٣).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦.

(٢) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ح (٧٣٠٢)، ٤/١٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨٩٦، عن سعيد بن المسيب مرسلًا، وأخرجه برقم ٤٨٩٧ من طريق ابن عجلان، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة بنحوه متصلًا، وإسناده حسن لأجل محمد بن عجلان، وذكر البخاري في تاريخه الكبير أن المرسل أصح، ولفظ مرسل سعيد بن المسيب، بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر فأذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت عليَّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت، وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذا وقع الشيطان).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

* **الجهر:** الإعلان والظهور، يقال جهر برأيه، أي أعلنه، وجره بالقول: رفع صوته به وبانه^(١)، و**الجهر:** هو كشف الشيء وظهوره لحاسة البصر، أو حاسة السمع، أما **البصر:** فنحو: رأيت به جهاراً، قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠] ^(٢).
ومنه قولهم: جهرت البئر، إذا حُفرت حتى إذا أُخرجت ماءها ^(٣).

* **السوء:** هي من باب القبح، تقول رجل أسوأ، أي قبيح، وامرأة سَوَاءً، أي قبيحة، وسميت النار سُوءاً لقبح منظرها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى﴾ [الرُّوم: ١٠] ^(٤)، والسوء: هو كل ما يسوؤك قوله أو فعله، كالسب والشتم، والغيبة، والنميمة والدعاء بالشر، وألفاظ البذاء وكلمات الفحش.

* **إِلَّا مَنْ ظَلِمَ:** الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو زيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظُلْمًا وَمَظْلِمَةً، فهو ظَالِمٌ وَظَلُومٌ، (وِظْلَمَهُ) أي حَقَّهُ وتظلمه إياه، وتظلم: أحال الظلم على نفسه، ومنه: فلان شكَا من ظلمه، الظلم يقال في مجاوزة الحق، ويقال في الكثير والقليل ^(٥).

رابعاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾

[النساء: ١٤٨].

* ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ هذا الاستثناء فيه قولان، وعلى أساسه يختلف إعراب الاسم الموصول.

الأول: أن يكون الاستثناء منقطعاً، والاسم الموصول في محل نصب.

الثاني: أن يكون الاستثناء متصلًا، والاسم الموصول يجوز أن يكون:

١- في محل رفع فاعل.

٢- في محل رفع بدل.

(١) انظر: المختار الصحاح، لأبي بكر الرازي، ٣٠/١.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ١٠١.

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٢٩/٢.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ١١٣/٣.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، ٥٤١/٣.

٣- في محل جر مضاف إليه (١).

معاني الإعراب:

المعنى الأول: لا يحب الله ﷻ الجهر بالسوء من القول، لكن المظلوم له يجهر بظلامته، وله أن ينتصف من ظالمه بما يوازي ظلامته (٢).

المعنى الثاني: على الاستثناء المتصل:

- ١- **وتقدير الكلام:** لا يحب الله تعالى أن يجهر بالسوء من القول إلا مَنْ ظلم، أو المظلوم (٣).
- ٢- **والتقدير:** لا يحب الله تعالى أن يجهر أحدٌ بالسوء من القول إلا المظلوم (٤).
- ٣- **والتقدير:** لا يحب الله تعالى الجهر بالسوء من القول إلا جهر مَنْ ظلم، ثم حذف المضاف وهو (جهر) وأقيم المضاف إليه وهو اسم الموصول مقامه، ويكون المعنى على هذا التقدير: أن الله ﷻ استثنى من الجهر الذي لا يحبه جهر المظلوم (٥).

خامساً: التفسير الإجمالي:

لقد ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة، حقيقة الإيمان، وأنه لا يصح إيمان مع طاعة أهل الكفر، والسير في ركابهم، وعدم الخوض معهم في كلام الله ﷻ حيث قال جل وعلا: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]، وفي ذلك دلالة على التأدب مع الله تعالى وتطهير النفس والمجتمع، وإشاعة الثقة في جو الجماعة المسلمة باستبعاد قالة السوء، مع الانتصاف من الظلم، والحض على العفو والتسامح.

ومن هنا عقب القرآن الكريم على ذلك بقوله جل وعلا: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨].

يقول الرازي (٦) في تفسيره: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾.

(١) انظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ٢٤٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٢٥/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٢٥/٢، والتفسير الكبير، الرازي، ٢٥٣/١١.

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي، ٢٥٣/١١، وتفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٦/٦.

(٤) انظر: إعراب القرآن، للنحاس، ٢٤٦/٢، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٢٦/٢.

(٥) انظر: الكشف، للزمخشري، ٥٨٢/١، وفتح القدير، للشوكاني، ٦١٢/١.

(٦) الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلم الأوائل، وهو قرشي النسب، وأصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، وكان يحسن الفارسية، ومن تصانيفه: مفاتيح الغيب، معالم أصول الدين، انظر: الأعلام، للزركلي، ٣١٣/٦.

الأول: في كيفية النظم وجهان ^(١): "الأول: أنه ﷺ لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر غير لائق بالرحيم الكريم، ذكر تعالى ما يجري مجرى العذر في ذلك فقال: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني - أنه تعالى - لا يجب إظهار الفضائح، والقبائح إلا في حق من عظم ضرره، وكثر مكرهه، وكيده، فعند ذلك يجوز إظهار فضائحه، وهؤلاء المنافقين كثر مكرهم، وكيدهم وظلمهم في حق المسلمين، وعظم ضررهم، فهذا المعنى ذكر الله ﷻ فضائحهم، وكشف أسرارهم".

الثاني: "أنه تعالى ذكر في هذه الآية المتقدمة، أن هؤلاء المنافقين إذا تابوا وأخلصوا صاروا من المؤمنين، فيحتمل أنه كان يتوب بعضهم، ويخلص في توبته، ثم لا يسلم بعد ذلك من التعيير والذم من بعض المسلمين، بسبب ما صدر عنه في الماضي من النفاق، فبين جل وعلا في هذه الآية أنه تعالى لا يجب هذه الطريقة، ولا يرضى بالجهر بالسوء من القول، إلا من ظلم نفسه، وأقام على نفاقه فإنه لا يكره ذلك".

قال ابن عباس في الآية: لا يجب الله تعالى أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرحص له يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خير له، وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه، قال تعالى: ﴿وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، قال رسول الله ﷺ: (المُستَبَانُ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِيءِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ) ^(٢)

الآيات فيها نفي حب الله ﷻ كناية عن البغض، فالله تعالى يبغض المجاهر بالسوء من القول، فالله ﷻ يحب للمؤمنين أن يلتزموا النطق بالكلمة الطيبة، والأسلوب الهادئ الجميل، ويكره ﷻ للمؤمنين أن يجهروا بالسوء من القول، كالسب والشتم، والتجريح، والإهانة، وذكر عيوب الناس، وتعداد سيئاتهم، لأنه يؤدي إلى إثارة العداوة والكراهة والبغضاء، ويزرع الأحقاد في النفوس، ويسيء إلى السامعين فينجزهم على اقتراف المنكر، والاسرار بسوء القول محرم، ومعاقب عليه، وذلك حال الجهر لأن ضرره أشد، وفساده أعظم وأخطر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

[فالجهر بالسوء يبدأ في أول الأمر اتهامات فردية - سباً وقذفاً- وينتهي انحلالاً اجتماعياً، وفوضى أخلاقية، تضل فيها تقديرات الناس بعضهم لبعض أفراداً وجماعات، وتتعهد فيها الثقة بين

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٥٣/١١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب المفرد بالتعليقات، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، ٢١٧/١.

بعض الناس وبعض، وقد شاعت الاتهامات، ولاكتها الألسنة بلا تحرج، لذلك كله حرم الله ﷻ إشاعة قالة السوء في المجتمع المسلم، وقصر حق الجهر بها على من وقع عليه الظلم، يدفعه بكلمة السوء، يصف بها الظالم في حدود ما يقع عليه من الظلم^(١).

ويعتبر هذا رداً لسوء بذاته، قد وقع بالفعل على إنسان بذاته، وتشهيراً بالظلم والظالم في المجتمع، لينتصف المجتمع للمظلوم، ليضرب على يد الظالم عاقبة فعله، فيتردد في تكراره، عندئذ يكون الخير الذي يتحقق به الجهر مبرراً له، ويكون تحقيق العدل والنصفة، هو الهدف لا مطلق التشهير^(٢).

والذي يقتضيه ظاهر الآية، أن للمظلوم أن يقتص من ظالمه، ولكن مع اقتصاد، إن كان مؤمناً، فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا ... وإن كان كافراً فأرسل لسانك وادع بما شئت من الهلكة وبكل دعاء، كما فعل النبي ﷺ حيث قال: (اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرِّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ)^(٣).

ومن الجهر بالسوء من القول: إذاعة التمثيليات، والأفلام المشتملة على القصص الفاجرة، التي تبرز فيها الرذيلة، وتسلب الأضواء على ممثلات الإغراء الجنسي، وتسمع فيها العبارات المخجلة، والأصوات المعزية بالإثم، وترى فيها الصور المفسدة لأخلاق الذكور والإناث، الكبار منهم والصغار، فذلك يبغضه الله تعالى ولا يحبه، بل إنه تعالى يعاقب عليه أشد العقاب لخطورته على الأخلاق. ومن الجهر بالسوء نشر كتب الجنس وصوره التي تحرض الشباب على الفسق والانحلال الخلقي، وتستأصل المناعة الخلقية في شبابنا المسلم من أصولها^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ وهو تحذير من التعدي في الجهر المأذون فيه، يعني لينق الله ﷻ ولا يقل إلا الحق، ولا يقذف مستوراً بسوء، فإنه يصير عاصياً لله تعالى بذلك، وهو ﷻ سميع لما يقوله عليم بما يضمه^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، المراد بالخير: ما يعم كل ضروبه من الكلمة الطيبة، والثناء الجميل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدقة، ونحو ذلك من خصائص الخير الكثيرة.

(١) التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠/٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، ح (٦٣٩٣)، ٨/٨٤.

(٤) انظر: لتفسير الوسيط، لمجمع البحوث الإسلامية، الحزب الحادي عشر، ص ٩٥٠.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١١/٢٥٥.

حيث رغب الله ﷻ في الخير وفعله، سواء كان على سبيل العلن أو السر، ما دامت النيات خالصة لله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

كما ندعو إلى العفو عن المسيء، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠] (١).

[فإن تظهروا فعل الخير بأنواعه المختلفة، أو تستروه، وتجلوه سرّاً بينكم وبين ريكم، وتعفوا عن سوء صدر من سواكم نحوكم، من جهر بكلام يؤذيكم، أو إسرار به أو ظلم لحق بكم منهم، فقد تخلقتم بأخلاق الله تعالى فالله تعالى كان ولم يزل كثير العفو عن عصاه، عظيم القدرة على عقوبته، فهو مطلع على البواعث والنيات المؤدية للأقوال، عليم بكل ما يصدر عن الخلق من أفعال وتصرفات، فيثيب المحق، ويعاقب المبطل، ويعين على دفع الظلم، ويجازي الله ﷻ عليه خيراً، بل يرغب فيه، فالله تعالى يحب فعل الخير، ويعفوا عن السيئات، وهو مع ذلك قادر تمام القدرة على معاقبة المسيء] (٢).

وقال الفخر الرازي: "اعلم أن معاهد الخير على كثرتها محصورة في أمرين: صدق مع الحق، وخلق مع الخلق، والذي يتعلق بالخير محصور في قسمين: إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [النساء: ١٤٩]، إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ إشارة إلى دفع الضرر عنهم، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر" (٣).

الهدايا المستنبطة من المقطع:

١ - قضايا العقيدة:

أهم مقومات التوحيد الصحيح، العبودية لله ﷻ وحده، والتحرر من النفاق والكفر، وذلك بترك الولاء للكافرين، والبراءة من كفرهم، ومخططاتهم، وعدم إلقاء المودة إليهم، بإخبارهم بأسرار المسلمين، وإطلاعهم على عوراتهم المادية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ص ٩٧٩.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧/٦.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ١١/٢٥٣.

[المتحنة: ١] ، وقال ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] (١).

٢- الأحكام الشرعية:

- أ. يحرم الجلوس مع من يستهزئ بالحق إلا على سبيل الإنكار.
- ب. توبة المنافقين مقبولة بشروط: هي أن يصلح قوله وفعله، وأن يعتصم بالله تعالى وأن يخلص دينه لله ﷻ .
- ج. لا يجوز للمؤمن أن يجهر بالسوء إلا إذا ظلم، فيدعو على ظالمه، أو يصف الظالم في حدود ما يقع عليه من الظلم، والعفو أفضل (٢).

٣- الأخلاق الإسلامية:

- أ. الاعتزاز بالله ﷻ والتوكل عليه، والثقة به خلق أصيل من أخلاق المسلمين.
- ب. عدم الخوض في أعراض المسلمين، وعدم إيدائهم بلسانه.
- ج. من أخلاق المسلم العفو.

٤- الجوانب التربوية:

- أ. تربية المؤمن على الاستقامة، وعدم الذبذبة، ليكون ظاهره كباطنه.
- ب. بيان قبول توبة المنافق بشروطها، بعد بيان الجزاء الكبير الأليم في الدرك الأسفل من النار، أسلوب تربوي ليحذر المؤمن من النفاق، وليدفع المنافق إلى الإيمان الصحيح، ويكون في صف المؤمنين.
- ج. استبعاد قالة السوء من أفراد المجتمع المسلم، مع الانتصاف من الظلم، تطهيراً للنفس، والمجتمع، وإشاعة الثقة في جو الجماعة المسلمة (٣).

ما ترشد إليه الآيات:

- ١- الجهر بالسوء من القول بإشاعة عيوب الناس، أمر منكر، ويعاقب الله تعالى عليه.
- ٢- يباح للمظلوم اللجوء إلى القضاء والشكوى لرفع الظلم، ووصف فعل الظالم، كما أنه يجوز الدعاء على الظالم، ودعوة المظلوم مستجابة، قال الحسن البصري: هو الرجل يظلم الرجل، فلا يدع عليه، ولكن ليقل: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، الله حل بيني، وبين

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢٥١/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٥٢/٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٢٥٢/٢.

ما يريد ونحوه من الدعاء ^(١)، وقول ابن عباس في تفسير الآية: المباح لمن ظلم أن يدعو على من ظلمه، وإن صبر فهو خير له.

٣- الاعتدال في طلب الحق أمر مطلوب مشروع، لأن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، تحذير للظالم حتى لا يظلم، وللمظلوم حتى لا يتعدى الحد في الانتصار.

٤- التعاون في إزالة الظلم من أصول الإسلام. ^(٢)

٥- إبداء الخير حسن لمن عمّر قلبه بالإيمان والإخلاص، أو قصد ترغيب الناس وحضهم على فعل الخير، وإخفاء الخير أفضل، إن خيف شيء من الرياء المحبط للأجر والثواب، وهذا بيان وجه الأفضلية، أما الأصل الذي نصت عليه الآية لإحراز الثواب على فعل الخير غير المصحوب بالرياء، فهو إبداء الخير وإخفاؤه سواء ^(٣).

العفو عن المسيء مندوب إليه، ومرغوب فيه، لأن العفو من صفة الله تعالى مع القدرة على الانتقام ^(٤)، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» ^(٥).

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، ٢٨١/٣.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨/٦.

(٣) انظر: المصدر السابق، ٩/٦.

(٤) انظر: المصدق السابق، ٩/٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، ح (٢٥٨٨)، ٢٠٠١/٤.

المقطع الثاني

الكفر والإيمان، وجزاء كل من الفريقين

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

أولاً: المناسبة:

بعد أن حذر الله ﷻ من مصاحبة الكفار، ومصادقتهم ومناصحتهم، وندد بخصال المنافقين، ونبه المؤمنين إلى ما يباح إعلانه من سوء القول، أوضح سبب كفر أهل الكتاب، من طرق بيان ركني الإيمان وهما: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بجميع الرسل دون تفرقة بين رسول وآخر، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، فهو من الكافرين الذي استحقوا العذاب في نار جهنم، أي أنه تعالى لما ذكر المشركين والمنافقين، ذكر الكفار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى^(١).

وجه المناسبة بين هذه الآيات والتي سبقتها:

قال ابن عاشور - رحمه الله -: "عادة القرآن عند التعرض إلى أحوال من أظهرها النواء^(٢) للمسلمين أن ينتقل من صفات المنافقين، أو أهل الكتاب، أو المشركين إلى صفات الآخرين، فالمراد من الذين يكفرون بالله ورسوله هنا هم اليهود والنصارى، قاله أهل التفسير، والأظهر أن المراد به اليهود خاصة لأنهم المختلطون بالمسلمين والمنافقين"^(٣).

ثانياً: التحليل اللغوي:

يكفرون: الكفر في اللغة: [أصل الكفر لغة التغطية والستر، ومنه يطلق على الليل الكافر، لأنه يستر الناس ويغطيهم فلا يروا، ومنه تسمية الزارع بالكافر، لأنه يخفي بذور النباتات في الأرض ويستترها، ويغطيها بالتراب]^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠/٦.

(٢) النواء: المفاخرة والمعاداة، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة نوأ، باب الألف، فصل النون، ص ٦٤.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨/٦.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠/٦.

و"الكفر ضد الإيمان" (١) ومن معاني الكفر أيضاً: الجحود ومنه كفران المسلم لنعمة الله تعالى أي جرده وستره لها، وعدم الاعتراف والاقرار بها وشكرها (٢).

وبين ابن منظور: سبب تسمية الكافر بالله تعالى بهذا الاسم فيقول: "إن الكافر لما دعاه الله تعالى إلى توحيدِهِ، فقد دعاه إلى نعمة وأحبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه، فلما أبى ما دعاه إليه من توحيدِهِ كان كافراً نعمة الله تعالى أي مغطياً لها بإبائه حاجباً لها عنه" (٣).

الكفر اصطلاحاً:

- جاء عن ابن تيمية -رحمه الله- في أحد كتبه أنه قال: "والكفر إنما يكون بإنكار ما عُلِمَ من الدين ضرورةً، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك" (٤).

وهذا الأمر تتفق عليه جميع طوائف المسلمين على اختلافها في تعريف الإيمان الذي هو نقيض الكفر، وتتفق على أنه من لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه بالرسالة، فهو كافر سواء كان كفره تكذيباً أو ريباً أو جحوداً أو إعراضاً، أو استكباراً، أو شكاً أو تردداً، أو غير ذلك (٥).

وجاء عنه في كتاب ثاني أنه: "تكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعتِهِ مع العلم بصدقِهِ، مثل كفر فرعون، واليهود ونحوهم" (٦).

الإيمان: لغة له عدة معان:

١- التصديق: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ ﴾ [يوسف: ١٧] ، أي بمصدق لنا، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] ، أي صدقه.

٢- الأمن والأمانة: وقد آمنت، فأنا آمن، وأمنت غيري، من (الأمن)، والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والتصديق ضد التكذيب ... أمن فلان يأمن أمناً، وأمنَةً، وأماناً فهو آمن، وأمن، من باب فهِم وسلِم، وقيل أمن أولياؤه عذابه. (٧).

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٤٣٤، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص ٤٢٤.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٤٣٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٣٨٩٧/٤٣.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠٦/١.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٦) درة تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٢٤٢/١-٢٤٣.

(٧) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٤١٤/١٠، ولسان العرب، ابن منظور، ١٤٠/١، ومختار

الصالح، الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ص ٢٦.

الإيمان اصطلاحاً: "هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان" (١).

الإيمان بالله تعالى: "هو الإيمان بوجود الله تعالى ﷻ وأنه تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، وأنه وحده المستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، وهو المتصف بصفات الكمال، والمسمى بأعمال الجلال، المنزه عن كل نقص وعيب" (٢).

السبيل: الطريق الواضح السهل، وتطلق السبيل على الطريق الحسي، وعلى الطريق المعنوي، بمعنى الوسيلة، وعلى طريق الهداية والخير، أو طريق الضلال والشر (٣).

سبيل الله: طريقه التي أمر بسلوكها، واشتقاقه من الجريان، والستر، وتسمى الطريق سبيلاً، لكثرة الجريان فيه بالمشي (٤).

مهيناً: (مَهَنَ) الميم والهاء والنون أصل صحيح، يدل على احتقار وحقارة الشيء، ومنه قولهم مهين، أي حقير، والمهانة: الحقارة، وهو مهين بين المهانة، ومن الباب المَهْن: الخدمة، والماهن: الخادم ومهنت الثوب، جذبته وثوب ممهون، وربما قالوا، مهنت الإبل، حلبتها (٥).

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢].

* ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يحتتم الاسم الموصول قولين:

الأول: في محل رفع مبتدأ وخبره الجملة الاسمية ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾.

الثاني: [في محل نصب مفعول به بإضمار فعل يفسره ما بعده] (١).

إن الذين صدقوا بوحداية الله ﷻ وأقروا بنبوة الرسل أجمعين، ولم يفرقوا بين الرسل بتكذيب بعضهم وتصديق بعض، ولكنهم آمنوا وأقروا بما جاءوا به من عند الله تعالى فهؤلاء الذين صفتهم من المؤمنين بالله ﷻ ورسله سوف يعطيهم الله تعالى ويثيبهم جزاءهم الموعود لهم على تصديقهم

(١) أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، أ.د. محمد أحمد الخطيب، ص ٤٤.

(٢) شرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم شحدة ياسين، ص ٣٨.

(٣) مخطوطة الجمل، د. حسن عز الدين الجمل، ٢/٢٨٦.

(٤) التوقيف على مهمات التعارف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن زين العابدين، ١/١٩٠.

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥/٢٨٣.

(٦) إعراب القرآن، للنحاس، ١/٢٤٧.

الكامل، بالله جل وعلا ورسله، وشرائع دينه (١).

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٢].

- ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾ قرأها حفص بالياء ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾، وقرأها الباقون بالنون ﴿نُؤْتِيهِمْ﴾ (٢)

معاني القراءات:

- القراءة الأولى "يؤتيهم، بالياء ليعود على اسم الله قبله في قوله تعالى: [والذين آمنوا بالله]، إخبار عن الله تعالى.
- والقراءة الثانية "نؤتيهم، بالنون على الإلتفات، ومقابله [وأعتدنا]، إخبار الله تعالى عن نفسه ﷻ. حيث يبين الحق ﷻ أن هناك طائفة من اليهود، وهم الذين ثبت العلم في قلوبهم فأثمر الإيمان واليقين بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك من الكتب، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وآمنوا بالله جل وعلا واليوم الآخر، أولئك "سنؤتيهم" بالنون والياء، "أجرًا عظيمًا" هو (الجنة) (٣).

خامساً: البلاغة:

- * ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ الحديث عن الكفار، أولئك المبعدين، تحقيراً لهم وتوبيخاً.
- * ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ الحديث عن المؤمنين ... هؤلاء أصحاب المقامات العالية، والتي لا يصل إليها أحد، إلا أمثالكم، فلهم المكانة والرفعة عند الله ﷻ، وكذلك فيها النفقات والأصل بالياء يؤتيهم وتتكبير الأجر للتفخيم (٤).

سادساً: التفسير الإجمالي:

بين الله ﷻ لنا في هذه الآية أصلي الإيمان الأولين (الإيمان بالله ورسله) اللذين بينى عليهما ما عداهما، وكونهما لا يقبل الأول منهما بدون الآخر، فمن ادَّعاه، فدعواه مردودة، وجزاء الكافر بهما أو بأحدهما، ثم جزاء من أقامهما، كما أمر الله جل وعلا أن يقاما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣٥٥/٩.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٢٥٢/٢، والدر المصون، السمين الحلبي، ١٣٩/٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٥٤/٢، بتصرف.

(٤) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ٢٩٣/١.

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴿النساء: ١٥٠﴾، وهذا القول تفسير منهم لتفرقتهم بين الله تعالى ورسوله، أي يؤمنون بالله تعالى ولا يؤمنون برسوله، وهم فريقان: منهم من لا يؤمن بأحد من الرسل لإنكارهم الوحي، وزعمهم أن الأنبياء عليهم السلام قد أتوا ما أتوا به من الهدى والشرائع من عند أنفسهم، وأكثر كفار هذا العصر من هذا الفريق، ومنهم من يؤمن ببعض الرسل دون بعض، بل يقولون ذلك بأفواههم، ويدعونه بألسنتهم، كقول اليهود: نؤمن بموسى عليه السلام ونكفر بـعيسى ومحمد عليهما السلام وإن لم يسموهما رسولين، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك طريقاً بين الكفر والإيمان ^(١).

ففي هذه الآيات توعدهم الله جل وعلا الكافرين به وبرسوله، من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله تعالى ورسوله في الإيمان، فأمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، تعصباً، وتمسكاً بالموروث، اعتصاماً بالأهواء والشهوات، فاليهود آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما السلام والنصارى آمنوا بالأنبياء، وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم.

فمن كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء، لأن الإيمان بسائر الأنبياء واجب، فمن رد نبوة نبي للحسد، أو للمعصية أو للتشهي، تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، إنما هو عرض دنيوي، وهوى وعصبية ^(٢).

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله تعالى ورسوله، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي في الإيمان، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً ومسلكاً وسطاً بين الكفر والإيمان وديناً متبعاً بين الإسلام واليهودية، هؤلاء أخبر الله تعالى عنهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ١٥١] ^(٣).

أي الذين يكفرون كفراً ثابتاً لا ريب فيه، فلا عبرة بمن ادعوا الإيمان به، لأنه ليس شرعياً، إذا لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلاً، وأقوى برهاناً منه، والله تعالى أعد وهياً لكل كافر مطلقاً بالدين أو لمن كفر بسبب إيمانه ببعض الرسل وعدم إيمانهم برسول آخرين، أعد الله تعالى لهم عذاباً يهانون به، وهو إعراضهم عنه، وإقبالهم على جمع حطام الدنيا، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعل كثير من أبحارهم في عهده صلى الله عليه وسلم، حيث

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٨/٦، وانظر: تفسير المراغي، ٦/٦.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩/٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٩/٦، ١٠، بتصرف.

حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقتلوه (١).

وبهذا يتضح أن الكفر بالرسول نوعان: كفر بجميع الرسل، والكفر الثاني: يؤمنون ببعض الأنبياء، ولا يؤمنون ببعض آخر، والفريقان سواء في استحقاق العذاب، لأن الإيمان بالله تعالى ورسوله لا يتجزأ، فمن آمن حقيقة بالله تعالى آمن بجميع رسله الذين أرسلهم لهداية الناس، فهو مصدر الإرسال، والرسول: هم سفراء بين الله ﷻ وخلقه، فلا يتصور إيمان بالله ﷻ وكفر ببعث رسله، وحينئذ لا يقبل إيمان بموسى ﷺ وكفر بعيسى ﷺ وإيمان بجميع الرسل، وكفر بمحمد ﷺ فهو مذكور في كتبهم، ومبشر به عندهم، ومصداق لما معهم، والقرآن مهيم على ما سبقه من الكتب السماوية، والله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته، وهو ﷻ القائل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم قرن الله تعالى بالفريقين السابقين الكلام عن فريق ثالث، وهم المسلمون للمقارنة والعظة والعبرة، وهم الذين آمنوا بالله تعالى وجميع رسله (٢).

ويعني بذلك أمة محمد ﷺ فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله ﷻ وبكل نبي بعثه الله تعالى كما قال جل وعلا: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] (٣).

ولقد وصف الله ﷻ المؤمنين حقاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] (٤).

هؤلاء أعد الله ﷻ لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل على ما آمنوا بالله تعالى ورسوله، وكان الله تعالى غفوراً لذنوبهم، وغفوراً لهفوات من صح إيمانه، ولم يشرك بربه أحداً، رحيماً بهم يعاملهم بالإحسان، ويضاعف لهم حسناتهم، كما أنه رحيم بجميع عبادته حيث أرسل لهم الرسل لهدايتهم، وبيان المنهج الأسلم، والطريق المستقيم الأفضل (٥).

[وبعد تركيز تلك القاعدة الأساسية في العقيدة الإسلامية عن حقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر فيما يتعلق بالرسول والرسالات، يأخذ في استعراض بعض مواقف اليهود في هذا المجال، وفي مجال الجهر الذي ختم به المقطع السابق، مندداً بموقفهم من النبي ﷻ ورسالته وتعتنهم في طلب الآيات،

(١) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ٣/٣٨٨.

(٢) انظر: التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/١١.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٥٥ بتصرف.

(٤) انظر: تفسير المراغي، ٦/٨.

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/١٢.

مع أن معجزاته ﷺ واضحة، وأولها صفاته في كتبهم، وأمرهم بالإيمان به ﷺ ويقرن بين موقفهم هذا، وما كان لهم من مواقف مع نبيهم، موسى عليه السلام ثم مع رسول الله ﷺ ومن بعده عيسى عليه السلام وأمه مريم، فإذا هم جبلة واحدة في أجيالهم المتتابعة].

والسياق يوحد بين الجيل الذي واجه الرسول محمداً ﷺ والجيل الذي واجه عيسى عليه السلام والجيل الذي واجه موسى عليه السلام كذلك من قبل ليؤكد هذا المعنى، ويكشف عن هذه الجبلة (١). فالإيمان الحق هو الإيمان بالله تعالى رباً، والإيمان بجميع رسله دون تفريق بين أحدهم، قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ بُرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ» (٢).

من ثمرات الإيمان بالله تعالى: (٣).

- ١- الإيمان بالله تعالى يوجب المحبة والرضا من الله ﷻ ومن خلقه.
- ٢- شعور العبد بالراحة والطمأنينة القلبية، وسكينة النفس.
- ٣- الإيمان يقضي على المخاوف الدنيوية التي تحيط بالإنسان، ويبعث في النفس روح الثقة والعزة والشجاعة والإقدام، لأنه يعلم أن الله تعالى هو المالك الحقيقي لكل ما في هذا الكون، وأنه لا نافع ولا ضار إلا الرحمن.
- ٤- تحرير النفس من سيطرة الآخرين، واتجاهها إلى الانقياد والخضوع لله ﷻ.
- ٥- الاعتقاد الجازم بأن الذي يرزق العباد، ويؤمن حياتهم هو الله تعالى وهذا مما يساعد على البذل والجود والإنفاق، ويجعل الناس غير حريصين على التمسك بالدنيا، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].
- ٦- الإيمان بالله تعالى ينشئ في نفس الإنسان التواضع والتسامح، ويُبعده عن غرور النفس وكبريائها.
- ٧- الإيمان بالله ﷻ يحقق للمؤمن الحياة الطيبة في الدنيا والفوز والفلاح، والخلود في الجنة في الحياة الآخرة، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥٨١/٦ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ح (٤٤)، ١/ 17.

(٣) انظر: العقائد الإسلامية، السيد سابق، ص ٨٥، ٨٨ بتصرف.

الهدايا المستنبطة من المقطع:

قضايا العقيدة:

- ١- أساس أركان الإيمان، الإيمان بالله تعالى رباً ومعبوداً، لا إله سواه، والإيمان برسوله محمد ﷺ وبالقرآن الذي على عيسى ﷺ وبينى على ذلك الإيمان بما أخبر به القرآن، كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر.
 - ٢- يجب الإيمان بكل نبي بعثه الله ﷻ فمن رد نبوة واحد من الأنبياء، فقد رد نبوة الكل، وخاصة نبوة خاتم الأنبياء ﷺ .
 - ٣- التفريق بالإيمان بين الله جل وعلا ورسله كفر، لأن الرسل يبلغون أمر الله تعالى وشرعه، وعدم الإيمان بهم تكذيب لشرع الله تعالى الذي جاءوا به، وترك طاعة الله ﷻ والعبودية له^(١).
- ما ترشد إليه الآيات:

- الإيمان والكفر ضدان لا يجتمعان، والإيمان لا يتجزأ، وجزاء الكفر واحد، وإن تعددت أشكاله، فمن أنكر الأديان والنبوات، ومن أحد فلم يؤمن بوجود الله ﷻ ووحدانيته، ومن كفر بجميع الرسل، أو آمن ببعضهم، وكفر ببعضهم الآخر، فهو كافر، ويكون أهل الكتاب من اليهود والنصارى من الكفار، لأنهم كفروا بمحمد ﷺ والآية بينت أن الكفر به كفر بالكل، لأن ما من نبي إلا وقد أمر قومه بالإيمان بمحمد ﷺ ويجمع الأنبياء عليهم السلام ونص ﷻ على أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفراً لأن الله ﷻ فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على أسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل، ردوا عليهم شرائعهم، ولم يقبلوها منهم، وكأن رد الشرائع كجحد الصانع ﷻ وجحد الصانع كفر^(٢).
- نص ﷻ على أن الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض كفر بالكل، واتخاذ طريق وسط بين الإيمان والكفر، أو دين مبتدع بين الإسلام واليهودية مرفوض في شرعة القرآن.
- وأكد ﷻ أن ذلك لا ينفعهم إذا كفروا برسوله، وإذا كفروا برسوله منذ كفروا بالله ﷻ وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول، فلذلك صاروا الكافرين حقاً، وجزاء الكفر ما صرحت به الآية ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ .
- وأما المسلمون وهم النبي ﷺ وأمته، الذين صدقوا بوجود الله تعالى ووحدانيته، آمنوا بجميع الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم، فسوف يؤتيهم الله تعالى ثواب أعمالهم، والله غفور للعصاة منهم، رحيم بالعباد، فلا يعجل لهم العذاب، وإنما يترك لهم فرصة للتوبة والإنابة^(٣).

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف: أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٦٢، ٢٦٣ بتصرف.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢/٦.

(٣) المصدر السابق، ١٢/٦.

المقطع الثالث

مواقف اليهود المتعنتة، وتنوع العذاب لهم

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٣-١٥٦].

أولاً: المناسبة:

الآيات مرتبطة بما قبلها، فموضوعها أهل الكتاب، وكانت الآيات السابقة تبياناً لكفرهم، إذ قالوا نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعض، وهذه الآيات تدل على تعنتهم، وتصلبهم ومطالبتهم بأشياء على سبيل العناد والإلحاد^(١).

ثانياً: أسباب النزول:

- نزلت في اليهود قالوا للنبي ﷺ: "إذا كنت نبياً فأتنا بالكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى ﷺ فأُنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾ [النساء: ١٥٣]"^(٢).
- أخرج الطبري بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: "جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأُنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ... بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ فجنا رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى، ولا على عيسى، ولا على أحد شيئاً، فأُنزل الله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الحج: ٧٤]"^(٣).

ثالثاً: التحليل اللغوي : **الكتب لغة**: "أصل الكتب (كتب)، والكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء"^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢/٦، ١٣.

(٢) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ١/١٨٧.

(٣) لباب النقول، جلال الدين السيوطي، ١/٧٤.

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥/١٥٨.

والكتاب: مصدر كتب يكتب كتابة وكتاباً، ويسمى به المكتوب والصحيفة^(١)، والكتابة: جمع الحروف إلى بعضها البعض وضمها بالخط^(٢).

ويأتي الكتاب بمعنى الفرض، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، أي فرض، ويأتي أيضاً بمعنى الحكم، كما في قوله ﷺ: (...لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ)، أي بحكم الله تعالى الوارد في كتابه^(٣) ^(٤).

الصحف السماوية هي: "الصحف التي حوت كلام الله ﷻ الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام فكانت كتباً، أو بقيت صحفاً لم تجمع، ولم يتكون منها كتاب خاص، فالصحف كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والكتب: كالتوراة والإنجيل والزيور والقرآن العظيم"^(٥).

والكتب السماوية هي الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله الكرام، ليبلغوها إلى أقوامهم لهداية البشر، إلى ما فيه صلاحها، وسعادتها في الدنيا والآخرة، وهذه الكتب فيها أوامر الله ﷻ ونواهي، وتشريعاته^(٦).

* **جَهْرَة**: علانية^(٧)، [جهر] الجيم والهاء والراء أصل واحد، وهو إعلان الشيء وكشفه وعلوه^(٨).
والجهر: الإعلان بالشيء، ورجل جهير الصوت: عاليه، والعين الجهراء هي التي لا تبصر في الشمس، **وجهره**: عيناً نرفع الساتر بيننا وبينه، وكشف الغطاء دوننا، ودونه حتى ننظر إليه بأبصارنا^(٩).

الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد، يقال: (صعقتهم السماء) من باب قطع إذا ألقت عليهم الصاعقة، والصاعقة: صيحة العذاب، وصعق الرجل بالكسر صعقة، غشى عليه، وتصاعقاً

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٤٢٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري، ٤/١٤٧.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ٤٢٣.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا صلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ح (٢٦٩٥)، ٣/١٨٤.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥/١٥٩، ومعجم اللغة العربية، ص ٧٧٤.

(٥) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ص ١٨١.

(٦) انظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، ص ١٣٢، وتبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، ص ١٦٩.

(٧) انظر: غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، السجستاني، ١/١٧٣.

(٨) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١/٤٨٨.

(٩) انظر: مجمل اللغة، لابن فارس، ١/٢٠٠.

أيضاً، وقوله تعالى: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرُّم: ٦٨] ^(١)، أي مات، والصاعقة كل أمر هائل رآه الرائي أو عاينه أو أصابه، حتى يصير من هولته وعظيم شأنه إلى هلاك وعطب، وذهاب عقل، صوتاً كان ذلك أو ناراً أو زلزلة أو رجفة ^(٢).

* **بظلمهم**: ظلم، الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً.

فالأول الظلمة والجمع ظلمات، والظلام: اسم الظلمة، وقد أظلم المكان إظلاماً والأصل الآخر: ظلمه يظلمه ظلماً، والأصل: وضع الشيء في غير موضعه، ألا تراهم يقولون: من أشبه أباه فما ظلم ^(٣).

* **البيئات**: (بَيْن) البين، الفراق، وبان الشيء، انفصل، يبين بينونة، والبيون: البئر البعيدة القعر، والبين: قطعة من الأرض قدر مد البصر ^(٤)، والبينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية، ومنه سميت شهادة الشاهدين بينة، والبينة من القول، والكون ما لا ينازعه منازع لوضوحه، وقال بعضهم البينة أظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل بحث لا مندوحة من شهود وجوده ^(٥).

والبيئات: [المعجزات الدالة على وحدانية الله تعالى والدلائل الواضحة على نبوة موسى ﷺ] كفلق البحر، والبيد البيضاء، والعصاة ^(٦).

* **سلطاناً**: (سُلْطَ) السين واللام والطاء، أصل واحد، وهو القوة والقهر، ومن ذلك السَّلَاطَةُ، من التسلط، وهو القهر، ولذلك سمي السلطان سلطاناً، والسلطان: الحجة والسليط من الرجال: الفصيح اللسان، الزَّرب، والسليطة: المرأة الصخابة ^(٧).

سلطاناً مبيناً: [أي تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم، حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه] ^(٨).

* **الطور**: مفرد، وجمعه: أطوار، وهو اسم الجبل الذي كلم الله تعالى موسى ﷺ عنده، ويضاف إلى سينا أو سنين، فيقال: طور سينا، طور سنين، ويقال عنه كذلك، جبل الطور ﴿أَنَّ سَ﴾

(١) مختار الصحاح، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، ١٧٦/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٢٨٣/١٢.

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٦٨/٣ بتصرف.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣٢٧/١.

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن زين العابدين، ٨٨/١.

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤/٦.

(٧) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٥/٣.

(٨) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥/٦.

مِنْ أَجَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴿ [القصص: ٢٩] ^(١).

* سَجَدًا: سَجَدَ، يسجد سجوداً، فهو ساجد.

سَجَدَ الشَّخْصَ:

١- وضع جبهته على الأرض خضوعاً وتعبداً ﴿ سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

٢- صلى ﴿ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ [ق: ٤٠] أدبار الصلاة.

٣- خضعت: يقال سجدت المخلوقات، خضعت وانقادت، ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرَّحْمَن: ٦] ^(٢).

لا تعتدوا: أي لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل إلى العمل فيه، ولا تتجاوزوا ما أبيح لكم ولا تنتهكوا حرمة السبت، باحتيال، اصطلياد الحيتان فيه ^(٣).

* غَلِيظًا، غلظ، (غَلِظَ) الشيء بالضم (غَلِظًا) بوزن عَنَبٍ صار، (غَلِيظًا) وكذا (استغلظ)، ورجل فيه (غلظة) بكسر الغين وضمها وفتحها و(غِلَظَةً) أيضاً بالكسر أي فظاظة، و(أَغْلَظَ) له في القول، و(غَلِظَ) عليه الشيء (تغليظاً) ومنه الدية (المغلظة)، واليمين المغلظة، و(أَغْلَظَ) الثوب اشتراه غليظاً، واستغلظه، ترك شراؤه لِعِظْطِهِ ^(٤).

* ميثاقاً غليظاً: [عهداً مؤكداً أن يصدق بعضهم بعضاً] ^(٥).

* غلف: [غ ل ف، (الغلاف) غِلاف السيف والقارورة، و(غلف) الشيء جعله في الغلاف، وبأبـه ضرب، و(أغلفه) جعل له غِلافاً، و(أغلفه) جعله في الغلاف أيضاً، وقلب (أغلف) كأنما أغشي غِلافاً فهو لا يعي، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة: ٨٨] ، وسيف أغلف، وقوس (غلفاء) وكذا كل شيء في غلاف فهو (أغلف)،] ^(٦).

* طبع: ط ب ع (الطبع) السجية التي جبل عليها الإنسان، وهو في الأصل مصدر (والطبيعة) مثل وكذا (الطَّبَاع) بالكسر و(الطَّبْعُ) الحَتْمُ وهو التأثير في الطين ونحوه، و(الطَّابِع) بالفتح، الحَاتَمُ

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ١/١٤٢٠.

(٢) انظر: اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٢/١٠٣٤.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/١٥.

(٤) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ١/٢٢٨.

(٥) تفسير الطبري، ٣/١٨٤.

(٦) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ١/٢٢٨.

والكسر فيه لغة، و(طَبَعَ) على الكتاب (ختم) وطبع السيف والدرهم عملهما، وطبع من الطين جرّة،
وباب الكل قطع^(١).

* **البهتان**: بهت الرجل يبهته بهتاً، وبهتاناً، فهو بهات، أي قال عليه مالا يفعله، فهو مبهوت،
وبهته بهتاً: أخذته بغتة، وفي التنزيل العزيز ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٤٠]، **ويهت الخصم**:
استولت عليه الحجة، وفي التنزيل، ﴿فَبَهَّتِ الذِّي كَفَرًا﴾ [البقرة: ٢٥٨]، أي انقطع وسكت متحيراً
عنها، **بَهْتَهُ الشَّيْءُ**: أدهشه وحيرته، وجعله ينظر مفتوح الفم وهو يتأمله^(٢).

رابعاً: الإعراب:

* ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ...﴾ [النساء: ١٥٣].

قوله تعالى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فكلمة (جهرة) تحتل وجهين:

الأول: النصب على الحال.

الثاني: النصب على أنها نعت المصدر محذوف^(٣).

معاني الإعراب:

- المعنى الأول: أن اليهود قالوا جهرة منهم وتصريحاً لموسى ﷺ أَرِنَا اللَّهَ أَوْ قَالُوا مجاهرين^(٤)،
أو يكون المعنى: قالوا أَرِنَا اللَّهَ حال كونك مجاهراً لنا في رؤيته، غير مُخَفِّ رؤيته^(٥).
- المعنى الثاني: ومعناه: أنهم قالوا: أَرِنَا اللَّهَ جهرة، أي: أَرِنَا اللَّهَ رؤية جهرة بينة منكشفة واضحة
ظاهرة، ولكن الله عاقبهم بالصاعقة^(٦).

رجح الزجاج هذا القول، بأنه هو القول البين، واستدل على ذلك بقوله ﷺ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا

مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]^(٧).

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ١/١٨٨.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ١/٢٥٣.

(٣) انظر: إعراب القرآن، للنحاس، ١/٢٤٧، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٢/١٢٦، والدر المصون في علم
الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ٤/١٤٠.

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢/١٠٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الإمام
أبي السعود، ٢/٢٤٩، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، ٢/٣٠٦.

(٥) انظر: تفسير التحرير والتوير، لابن عاشور، ٦/١٥.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦/٦، وفتح القدير، للشوكاني، ١/٦١٤.

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٢/١٢٧.

خامساً: البلاغة:

- ١ - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ زيادة الحرف للتأكيد، أي فبنقضهم.
وقال الألويسي^(١): "الباء في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ للسببية، و(ما) لتوكيد السببية، والإشارة إلى أن ما ذكر سبب قوي"^(٢).
- ٢ - ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ مجاز مرسل حيث أطلق الكل وأريد البعض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ مجاز مرسل، لأنهم كفروا بالقرآن والانجيل دون غيرهما.
- ٣ - ﴿قُلُوبِنَا غُلْفٌ﴾ استعارة، استعار الغلاف دلالة على عدم الفهم^(٣).

سادساً: القراءات:

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤].

توجيه القراءة:

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْدُوا﴾ قرئ بثلاثة أوجه:

الأول: لا تَعْدُوا: بفتح العين وتشديد الدال (ورش).

الثاني: لا تَعْدُوا: بإسكان العين، وتشديد الدال، (أبو جعفر) وقالوا، إلا أن قالوا له أيضاً اختلاس فتحة العين مع تشديد الدال.

الثالث: لا تَعْدُوا: بإسكان العين وتخفيف الدال ، الباقرن^(٤).

معاني القراءات:

قراءة تَعْدُوا بإسكان العين، وتخفيف الدال من عدا، يعدو، عدواً، وعدواناً وعداءً، وعدواً، إذا

جاوز الحق^(٥)، مثل قوله: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]، وقيل معناه:

(١) الألويسي: محمود بن عبد الله الحسين، نسبة إلى جزية ألوس في وسط نهر الفرات قريبة من بغداد وهو مفسر، محدث، فقيه، أديب لغوي، نحوي، ولد ببغداد ١٢١٧هـ، وتقلد الإفتاء فيها، وهو مرجع أهل العراق، ومفتي بغداد، (ت: ١٢٧٠هـ)، انظر: معجم المؤلفين، ١٢/١٧٥.

(٢) روح المعاني، للألويسي، ٣/١٨٣، و التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥/٦.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥/٦.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ص ٢٥٣.

(٥) إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، ١/٢٤٧، وانظر: جامع البيان، للطبري، ٩/٣٦٢.

"لا تظلموا باصطياد الحيتان فيه" ^(١)، وقراءة التشديد: (تعدوا) أصلها تعدوا فأدغمت التاء في الدال لتقاربهما ^(٢).

التفسير الإجمالي:

لقد وقف اليهود في الجزيرة العربية من الإسلام، ونبى الإسلام، ذلك الموقف العدائي المتعنت المكشوف، وكادوا له ذلك الكيد المبيت المستمر العنيد، الذي وصفه القرآن تفصيلاً.

إنهم يتعنتون فيطلبون إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم بكتاب من السماء ... كتاب مخطوط ينزله عليهم من السماء، مجسماً يلمسوه بأيديهم، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [النساء: ١٥٣]، ويتولى الله تعالى الإجابة على نبيه، ويقص عليه وعلى الجماعة المسلمة في مواجهة اليهود، صفحة من تاريخهم مع نبيهم وقائدهم ومنقذهم ﷺ من بعده محمد ﷺ فاليهود هم، هم من عهد موسى ﷺ فهم أكثر تعنتاً وإعانتاً فلا يُسلمون إلا تحت القهر والضغط، وسرعان ما ينقلبون، وينقضون عهدهم، لا مع الناس وحدهم بل مع ربهم، فهم لا يتورعون، طمعاً في عرض الدنيا، وأكلاً لأموال الناس بالباطل، وإعراضاً عن أمر الله، وعماً عنده من الثواب ^(٣).

[فهم طلبوا منك يا محمد أن تنزل عليهم كتاباً مكتوباً بخط سماوي، ويشهد أنك رسول الله إليهم، وهذا دليل على جهلهم بحقيقة الدين، ومعنى النبوة والرسالة، وعدم إدراكهم معنى المشيئة الإلهية، والحكمة الربانية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧]، وسبب الجهل أنهم لا يميزون بين الآيات الصحيحة التي يؤيد الله تعالى بها رسله، وبين الشعوذة، وجيل السحرة المثيرة للدهشة والعجب] ^(٤).

وهذه طبيعتهم المتوارثة، فما هم مع كل ما رأوا من الآيات مع موسى ﷺ طالבוه أن يريهم الله تعالى عياناً بحاسة البصر.

وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف ^(٥): "إنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى ﷺ وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبه، راضين بسؤالهم، ومضاهين لهم في

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢/٢٥٠.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ٩/٣٦٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٢/٢٥٠، والحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، ١/١٢٨.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٥٧١-٥٧٢.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/١٧.

(٥) أبو القاسم الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد الخارزمي النحوي اللغوي، المفسر المعتزلي، صاحب الكشاف، كان إمام عصره من غير مدافع، ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر، وتوفي ليلة عرفة بخوارزم بعد رجوعه من مكة ٥٣٨ هـ، انظر: شذرات الذهب، ٤/١١٨-١٢١.

التعننت" (١).

وقد ورد في هذا المعنى في سورة البقرة: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ...﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦] ، عبدوا العجل من بعد ما رأوا من الآيات الباهرة، والأدلة القاهرة على يد موسى ﷺ من فلق البحر، وإهلاك فرعون، وجنوده في اليم (٢).

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤] ، فالطور هو الجبل الذي كانوا يقيمون في واديه، وهو من جبال سيناء، وهو جبل المناجاة، أنزلت التوراة على موسى ﷺ عنده (٣)، الآية تشير إلى جانب من عناد اليهود، وقسوة قلوبهم، فقد جاءهم موسى ﷺ بألواح التوراة، فاستشغلوا العمل بما جاء فيها من التكاليف، ولم يأخذوها بعزة وقوة، بل بنتاقل وتراخ، وعدم اقتناع، لأن القلوب لا تزال مشدودة إلى عبادة العجل، فلذا رفع الله تعالى فوقهم الجبل، تهديداً لهم، ليقبلوا العمل بالتوراة، ويأخذوها بقوة وعزم، ويعطوا الميثاق والعهد على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، هكذا كان شأن اليهود، عصيان لما يؤمرون به، وعقاب أو تهديد بعقاب من الله تعالى حتى يستقيموا على الجادة (٤).

قال ابن كثير: "وذلك أنهم حين امتنعوا عن الالتزام بأحكام التوراة، وظهر منهم إباء عما جاء به موسى ﷺ رفع الله تعالى على رؤوسهم جبلاً، ثم ألزموا، فالتزموا وسجدوا، وجعلوا ينظرون إلى فوق رؤوسهم، خشية أن يسقط عليهم، وأمروا أن يدخلوا باب القرية، التي أمرناكم بدخولها متواضعين لله، خاضعين له شاكرين فضله وكرمه، ولكنهم خالفوا ما أمرهم الله تعالى به مخالفة تامة"، واختلف في هذا الباب الذي أمروا بدخوله سجداً، فقيل: هو باب بيت المقدس، وقيل: باب إيلياء، وقيل: باب أريحا، وكانوا يقولون: حطة، أي الله حط عنا ذنوبنا في تركنا للجهاد، ونكوننا عنه حتى تهنا في التيه، أربعين سنة، فخالفوا ما أمروا به من القول والفعل، ودخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حنطة في شعرة" (٥).

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري، ٥٨٥/١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٤٦/٢، التفسير الموضوعي لسور القرآن، أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٥٦.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٤٢/٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٩٨٤/٦.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٤٧/٢.

[ولكن بني إسرائيل لما دخلوا منتصرين، تنكروا لما أمرهم الله تعالى به من الخشوع والخضوع لله ﷻ بل سخروا بالخشوع والاستغفار، واستبدلوا بهما عملاً ماجناً، وقولاً هازناً] (١).

عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: " قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: [ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ] [البقرة: ٥٨]، فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْنَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ" (٢).

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤]، أوصاهم الله تعالى بحفظ السبت، والتزام ما حرم الله تعالى عليهم، فقال لهم: على لسان داود ﷺ ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي لا تتجاوزوا حدود الله تعالى فيه بالعمل الدنيوي، فخالفوا واحتالوا بحيلهم المعروفة باصطياد الحيتان فيه.

وأخذ الله تعالى منهم ميثاقاً غليظاً، أي عهداً مؤكداً شديداً على الأخذ بالتوراة، بجد وقوة، والعمل بها، وعدم كتمان البشارة بعيسى ﷺ ومحمد ﷺ فخالفوا وعصوا، وتحالوا على ارتكاب ما حرم الله ﷻ ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] (٣).

هذه طبيعة اليهود، إنهم بمجرد ذهاب الخوف عنهم، وغياب القهر لهم، تملصوا من الميثاق الغليظ فنقضوه، وكفروا بآيات الله تعالى وقتلوا الأنبياء، وتحججوا فقالوا: إن قلوبنا غلف، لا تقبل موعظة، ولا يصل إليها قول، وفعلوا كل الأفاعيل الأخرى، التي يقصها الله ﷻ على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين ليعرفوا كيف يواجهون اليهود، وليأخذوا حذرهم، فلا يقعوا بمثل ما وقعوا فيه (٤).

﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْبَنِيَاءَ بغيرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿ [النساء: ١٥٥-١٥٦]، إخبار من الله ﷻ عن أشياء واقعوها، وهي الضد، مما أمروا به وذلك أن الميثاق الغليظ الذي رفع الطور من أجله نقضوه، ووقعوا فيما أخبر الله ﷻ عنه فما هو إلا استخفاف بأمر الله ﷻ وكفر به وكفروا بآيات الله تعالى أي حججه وبراهينه، المعجزات التي شاهدوها على يد الأنبياء عليهم السلام حتى انتهوا إلى أعظم حرمة، وهي قتل الأنبياء، كزكريا ويحيى عليهما السلام، وغير ذلك من الجرائم الكبيرة، التي كل واحد منها كفر، ففي الكلام مقدر، والجار والمجرور متعلق بمقدر؛ إذ حذف

(١) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٦/٩٨٤-٩٨٥.

(٢) صحيح البخاري، باب ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾، ح (٤٦٤١)، ٦/٦٠، وصحيح مسلم، كتاب التفسير، ح (٣٠١٥)،

٤/٢٣١٢.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/٦.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٥٨٦.

جواب هذا الكلام بليغ متروك مع ذهن السامع، تقديره: لعناهم وأذللناهم، وحتماً على المؤمنين منهم الخلود في جهنم^(١).

يقول القرطبي^(٢): "وقد ذكر ﷺ قتلهم الأنبياء في عدد من الآيات، وأشار إلى أن الدافع لذلك، هو كفرهم وعبوديتهم لأهوائهم يقول تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي في غطاء، مغلفة فلا نفقه ما تقول، ولا يصل إليها شيء مما تدعو إليه، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]، وغرضهم بهذا درء حجة الرسل، أو تئيس الرسول ﷺ من إيمانهم، واستجابتهم، أو الاستهزاء بتوجيه الدعوة إليهم، والتبجح بالتكذيب، وعدم الاصغاء، وربما كان غرضهم كل ما ذكر^(٣).

وينقطع السياق عند قولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، ليكذبهم ويرد عليهم ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فهي ليست مغلفة بطبعها، إنما كفرهم جر عليهم أن يطبع على قلوبهم، فإذا هي صلدة جامدة، مختوم عليها، فلا يدخلها الحق، ولا تستشعر نداوة الإيمان، ولا تتذوق حلوته، فلا يقع منهم إلا قليلاً فهم عبد الله بن سلام، وأسد بن عبيد الله، وغيرهم^(٤).

وبعد هذا الاستدراك والتعقيب يعود السياق إلى تعداد الأسباب التي استحقوا عليها من الذلة والمسكنة، وتحريم الطيبات عليهم في الدنيا، ومن إعداد النار وتهيئتها لهم في الآخرة، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]، قال ابن عباس: إنهم رموها بالزنا، وكذلك قال غير واحد من التابعين.

وظاهر الآية: أنهم رموها وابنها بالعظائم، فجعلوها زانية، وقد حملت بولدها من ذلك، وزاد بعضهم: وهي حائض، مع أنهم عابنوا المعجزات التي تدل على طهرها، وعلى نبوة عيسى عليه السلام من كلامه للناس في المهدي وغير ذلك^(٥).

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٣٢/٢.

(٢) القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، المالكي، أبو عبد الله القرطبي، قال الذهبي عنه: إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله، مات بمدينة بني خصيب من الصعيد الأدنى، وهي المعروفة اليوم بمدينة المنيا في مصر جنوب القاهرة، سنة ٦٧١هـ، انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي، ص ٢٤٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/٦.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥٨٦/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٤٨/٢.

وقذفها (بالبهتان) وهو أعظم الكذب والمراد به (الزنا) قال تعالى: ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ [مریم: ۲۷-۲۸] (۱).

وهذا كان دافعاً لي أن أتحدث عن صفات اليهود من خلال السورة :-

صفات اليهود:

۱- **التحريف والتزييف:** اشتهر أهل الكتاب بالتزييف والتحريف لكتبهم المنزلة من عند الله ﷻ عليهم، فقد حرفوا كتبهم من خلال تزييف الحقائق التي كانت تبشر بالنبی ﷺ وبأوصافه، وكان تحريف اليهود لكتبهم أنهم كانوا يضيفون أقوالهم من المنكرات حسب ما يناسب أهوائهم، ويخلطون كلام موسى ﷺ بما عندهم من أباطيل، وكذلك تبديل النصوص من أماكنها، ويزعمون أنهم يريدون الإصلاح في عملهم، والذي بقي في أيديهم، هو بعض التوراة، وليست التوراة كما أنزلت عليهم (۲)، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ۴۶].

۲- **نقض العهود والمواثيق:** لقد اشتهر اليهود باستمرارهم لنقض العهود والمواثيق على مر العصور، وتميزوا بهذه الصفة دون غيرهم من الأمم، وكان الله ﷻ يأخذ عليهم المواثيق إلا أنهم كانوا في كل مرة ينقضونها، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ۱۵۵] (۳).

۳- **إيمانهم بالجبت والطاغوت:** قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ۵۱].

۴- **البخل وكنماتهم ما جاءهم من عند الله من العلم والمال:** قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ۳۷].

۵- **الكذب على الله:** من الجرائم التي اقترفوها أنهم كانوا دائماً يكذبون على الله ﷻ فالكذب ملاصق وملازم لهم، فحياتهم قائمة على الكذب، فتارة يزكون أنفسهم ويطهرونها بالكذب، ﴿أَلَمْ

(۱) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ۱۰/۶-۳/۱۰.

(۲) انظر: التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم يونس الخطيب، ۳/۸۰۴-۸۰۵، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ۵/۹۳۲.

(۳) انظر: اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ۱۰-۱۱.

تَرِ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يظْلُمُونَ فِتْيَانًا * أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَمْ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿النساء: ٤٩-٥٠﴾ ، وتارة يقولون ﴿تَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] ، وتارة يقولون أن عزيز ابن الله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ^(١).

٦- **النصب والاحتتيال**: فقد بلغ العصيان عند اليهود ما لم يبلغ عند أحد من البشر، فقد حاولوا النصب والاحتتيال على الله ﷻ، حيث إن اليهود طلبوا من الله ﷻ أن يجعل لهم يوم يرتاحون فيه من العمل، فجعل الله ﷻ يوم السبت راحتهم، وقد حرم عليهم العمل في هذا اليوم، وكانت صنعتهم صيد السمك، وأراد الله ﷻ أن يختبرهم، فجعل السمك يظهر بكثرة يوم السبت ويختفي باقي الأيام، ولكن أصحاب نقض العهود والاحتتيال لم يفلحوا ولم يصبروا في هذا الاختبار، فحفر أحدهم حفرة قبل يوم السبت بيوم وجعل إليها قناة يمر الماء من البحر إليها، فيأتي يوم الأحد فيجد الحفرة قد امتلأت بالسمك، وقد اتبع هذه الطريقة فئة كبيرة من اليهود، وجاءت فئة أخرى تنهاهم عن صنيعهم، ولكنهم لم يلتفتوا إلى نصيحتهم، فعاقب الله ﷻ الفئة الطاغية بأن جعلهم قردةً وخنازير، وظلت هذه العادة الخبيثة فيهم إلى اليوم، وقد حرم عليهم أن يوقدوا النار، وكان من احتيالهم أن صنعوا في أفران الغاز جزءاً يشتعل بالكهرباء، فيوقدونه قبل يوم السبت ويبقى موقداً حتى يوم الأحد، وكذلك حرم عليهم الإضاءة وإنارة المصابيح يوم سبتهم، وكانوا يجعلون المساجين يوقدون لهم مصابيحهم، ويتورعون هم عن إضاءتها يوم السبت، بزعمهم الباطل تقرباً إلى الله ﷻ ^(٢).

٧- **الجبين والخوف**: إن الجبن والخوف من طبائع اليهود، قد استحكمت قلوبهم وكيانهم، وتلبسهم ولم ينتزع عنهم، بسبب حبهم المفرط للدنيا، وكرهيتهم الشديدة للموت قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦] ، لقد تمنوا طول البقاء في الدنيا، وفضلوا العناء والشقاء، والذل والعبودية والإهانة على الموت، فحب الدنيا أنساهم العزة والكرامة والنخوة، وقد عرف اليهود بهذه الصفة ولم يذكر التاريخ ولو مرة عن شجاعة وجرأة لليهود في المعارك والمواجهات، بل يقاتلون وهم مستخفون في القلاع والحصون ^(٣)، ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤] ، ومن شدة جبنهم وخوفهم فقد امتنعوا عن دخول القرية ومهاجمة الجبارين، فهم يريدون أن يدخلوا القرية وهي خالية من سكانها، وقد

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ١٠/١٠٢.

(٢) انظر: معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، الدكتور إبراهيم المقادمة، ص ٢١.

(٣) انظر: اليهود فتنة التاريخ، ماهر أحمد آغا، ص ١٢٤-١٢٥.

أكدوا بعدم دخولها وذلك تحقيقاً لخوفهم وجبنهم،^(١)، ومن جبن وخوف اليهود في وقتنا الحاضر، أنهم لا يستطيعون أن يواجهوا المقاومة في قطاع غزة، أو أن يقتحموها، رغم صغر حجم قطاع غزة مع قوة عتادهم وأسلحتهم وقنابلهم، ورغم كثرة عتادهم لا يقاتلون أهل غزة إلا عن بعد وهم محصنين في الدبابات والطائرات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]، ويبقى الخزي والذل والجبن لليهود، وتبقى غزة شامخة بقوة إيمانها وبعزتها وكرامتها.

٨- الإفراط في حب المال: ومن حبه للدينيا فهم يعشقون المال ويقصدونه وهذه ميزة خاصة تميزوا بها عن باقي الأمم، فالمال هو غايتهم وحياتهم، فلا يستطيعون العيش بدونه، فلم يتقدموا خطوة إلا بالمال، لتحقيق أهدافهم ومخططاتهم، ولا يهمهم الطريقة التي يجمعوا فيها المال، حتى لو بالحرام؛ لأنهم يتعاملون بالريا في جمعهم للمال^(٢)، قال تعالى: ﴿سَاءَ عَوْنٌ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

٩- الجدل وكثرة السؤال: ومن صفاتهم الرخيصة كثرة جدالهم المقيت الباطل، ومراوغتهم في كثرة المسألة والإلحاح، وقد بين ذلك عندما أمرهم الله ﷻ أن يذبحوا بقرة، فأكثروا جدالهم وسؤالهم ومراجعتهم لموسى ﷺ في صفات البقرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبِحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ...﴾ [البقرة: ٦٧-٧١].

١٠- قسوة القلب: قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، فقد طبع الله ﷻ على قلوبهم من شدة كفرهم وعصيانهم، وفي حال خلو قلوبهم من الإيمان فإن القسوة تسكن في قلوبهم الجاحدة الكافرة، وقد خرجت الطاعة والرحمة والرفقة من قلوبهم، وحلت القسوة مكانها؛ لأنهم يبحثون عن الحياة الدنيا، فيأكلون أموال اليتامى والضعفاء ظلماً، ويحصلون على ملذاتهم ومتعتهم بالقوة والسطو والظلم والطغيان، ولهذا خرجت الرحمة من قلوبهم وأبدلت القسوة مكانها^(٣)، ومن شدة

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣٦/٦.

(٢) انظر: اليهود فتنة التاريخ، ماهر أحمد آغا، ص ١٤٦.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، ٤٠٢/١.

قسوتهم أيضاً، تكذبتهم وقتلهم أنبيائهم ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

والذي يظهر لنا أن القرآن ذكر صفات يهود الخبيثة، وأنهم ينطلقون في تحركاتهم وتوجهاتهم من حقدهم، فالحقد والغیظ ملأ قلوبهم عندما رأوا المسلمين مهتدين بما جاء في القرآن الكريم؛ لأنهم لا يحبون الخير للمسلمين وكانوا يزعمون بأن النبوة لهم وظهور النبي من نسلهم، وعندما ظهرت النبوة من العرب، فالحسد حرق قلوبهم غيظاً وكرهاً للمسلمين؛ ولذلك لا يتمنون لهم الخير، فقال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] (١).

ومن حسدهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين، فإنهم يبذلون كل الجهد والتدابير من أجل زعزعة صفوف المسلمين وإضعافهم وتشكيكهم في عقيدتهم وردهم عن دينهم إلى الكفر، فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩] (٢).

وبتبيين من ذلك أن عدواتهم هي عداوة عقائدية، لا يرغبون للأمة أن تهتدي بإيمانها وتعترف بكتابها، فإنهم يعادونهم ويبغضونهم ويحاربونهم من أجل العقيدة الإيمانية التي اعترف بها المسلمون، وما زالوا يتمنون ويحبون إضلال المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وبعدما ظهر خبث وحقد اليهود فإن الله ﷻ حذر المسلمين منهم وبين لهم مخططاتهم ومكائدهم، بأنهم ما زالوا يحاولون قدر استطاعتهم منع انتشار الإسلام بإشاعة الفتن في المجتمع الإسلامي؛ حتى يردوهم عن إيمانهم (٣)، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وخلاصة ذلك أن على الأمة الإسلامية أن تستيقظ لما يجري حولها، وعليها أن تقوم

بالآتي:

١ - بغض اليهود وعدم محبتهم وموالاتهم.

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٤٠/١.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٠٢/١.

(٣) انظر: تفسير المراغي، ١٣٥/٢.

٢- كشف مخططات اليهود وفضحهم أمام الناس.

٣- عدم التطبيع مع اليهود واتخاذهم كأصدقاء.

الهدايا المستتبطة من المقطع:

قضايا العقيدة:

- ١- أساس أركان الإيمان، الإيمان بالله رباً ومعبوداً، لا إله سواه، والإيمان برسوله محمد ﷺ وبالقرآن الذي نزل عليه، ويبنى على ذلك الإيمان بما أخبر به القرآن، كالإيمان بالملائكة، والكتب، والرسول، واليوم الآخر.
- ٢- يجب الإيمان بكل نبي بعثه الله تعالى إلى الناس، فمن رد نبوة واحد من الأنبياء، فقد رد نبوة الكل، وخاصة نبوة خاتم الأنبياء ﷺ.
- ٣- التفريق بالإيمان بين الله ورسله كفر، لأن الرسل يبلغون أمر الله وشرعه، وعدم الإيمان بهم تكذيب لشرع الله تعالى الذي جاءوا به، وترك لطاعة الله تعالى والعبودية له.
- ٤- تعنت أهل الكتاب إزاء الدعوة الإسلامية، وكفرهم بها على علم أنها دعوة حق^(١).

ما ترشد إليه الآيات:

- ١- أخلاق اليهود وطباعهم، وعرة صعبة، غريبة، فهم لا يدعون للحق، وإنما يجادلون فيه، ينحازون عنه إلى المطالبة بأمر على سبيل التعجيز، والإلحاد والعناد، والمراوغة، والتعنت، فقد سألوا النبي ﷺ إنزال كتاب مكتوب من السماء دفعة واحدة إلى فلان، وفلان، ويؤيده ما يدعيه ويصدقه فيما يقول، تعنتاً، كما أتى به موسى ﷺ، وطلبوا من موسى ﷺ أن يريهم الله تعالى رؤية جهرية عياناً^(٢).
- ٢- بيان قبح اليهود وخبثهم الملازم لهم طوال حياتهم.
- ٣- نقض اليهود للعهد والمواثيق أصبح طبعاً لهم، لا يفارقهم أبداً، ولذا وجب عدم الثقة في عهودهم ومواثيقهم^(٣).
- ٤- اتخذوا العجل إلهاً بالرغم من الأدلة القاطعة التي أيد الله تعالى بها موسى ﷺ من اليد والعصا، وقلق البحر، وغيرها، التي تدل على أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ.
- ٥- لا يخضع اليهود إلا للمادة، لذا ألزمهم الله تعالى إطاعة التوراة، وإطاعة موسى ﷺ برفع الجبل فوقهم كأنه ظلة لتخويفهم.

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢/٢٦٣.

(٢) انظر: التفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٢٣.

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ١/٤٦٠.

- ٦- إنهم محتالون، مخادعون، ماكرون، فقد أمرهم الله تعالى باحترام يوم السبت وعدم العمل فيه، فاحتالوا على صيد السمك، بوضع حواجز على سواحل البحار يوم الجمعة، يبقى فيها السمك الآتي بالمد البحري، حينما ينحسر عنه بالجزر (١).
- ٧- إنهم ينقضون العهود ويخالفون المواثيق، فقد أخذ الله تعالى عليهم العهد المؤكد على العمل بالتوراة، ثم نقضوا الميثاق، وخالفوا مقتضى العهد بجرأة نادرة.
- ٨- استحقوا غضب الله تعالى عليهم وتسلط الروم الظلمة عليهم، بأسباب كثيرة منها: هي نقض الميثاق، والكفر بآيات الله تعالى وعدم الاعتراف برسالة عيسى ومحمد عليهما السلام وقتل الأنبياء عليهم السلام بغير حق ولا ذنب، وتحدي الأمر الإلهي بقولهم: قلوبنا غلف، لا ينفذ إليها الخير والهدى الإلهي وكفرهم بعيسى عليه السلام والإنجيل، وقذف السيدة مريم عليها السلام بالزنا، ورميهم لها "بيوسف النجار"، وهو البهتان العظيم، وادعواهم قتل المسيح عليه السلام عيسى بن مريم (٢).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٣/٦ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٤/٦.

المقطع الرابع

ادعاء اليهود قتل عيسى بن مريم عليه السلام وصلبه

قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

أولاً: المناسبة:

الآيات مرتبطة بما قبلها، حيث إن موضوعها أهل الكتاب، استأنفت هذه الآيات الرد على سؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء بعد أن حمقوا ^(١) في ذلك بتحقيق أسلافهم، بقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴾ [النساء: ١٥٣] ^(٢)، فهذه الآيات تبياناً لكفرهم، ودلت على تعنتهم، كما ذكرت بعضاً من انحرافات اليهود الاعتقادية والسلوكية، لتحذير المؤمنين منهم، والثبات على الاعتقاد الحق، والسلوك القويم ^(٣).

ثانياً: التحليل اللغوي:

المسيح: لقب لعيسى عليه السلام ومعناه الصديق، والعرق، والمسيح: الدرهم الأطلس بلا نقش ^(٤).

واختلف في المسيح بن مريم مماذا أخذ:

[المسيح كان لقباً لعيسى عليه السلام لقبه به اليهود تهكماً عليه لأن معنى المسيح في العبرية، بمعنى (الملك) قصدوا منه التهكم، فصار لقباً بينهم، وقلب الله تعالى قصدهم تحقيره، فجعله تعظيماً له، ونظيره ما كان يطلق بعض المشركين على النبي ﷺ اسم مذمم ^(٥)، قالت امرأة أبي لهب: مذمماً عصينا، وأمره أبينا، فقال النبي ﷺ: (أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ فُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُذْمَمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذْمَمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ ^(٦)).

(١) حَمَقٌ حُمُقًا وحماقة: قل عقله، وفعل فعل الحمقى، انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مادة حمق، باب الحاء، ص ١٩٨.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣١/٦.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢٥٣/٢.

(٤) انظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس، ٨٣٠/١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي، ح (٣٥٣٣)، ١٨٥/٤.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٩/٦.

- ١- وقيل: لأنه مسح الأرض، أي ذهب فيها، فلم يَسْتَكُنْ بكنٌّ.
- ٢- وقيل: لأنه كان لا يمسخ عاهة إلا بريء، فكأنه سمي مسيحاً لذلك.
- ٣- وقيل: لأنه ممسوح بدهن البركة، كانت الأنبياء تمسح به طيب الرائحة، فإذا مسح به علم أنه نبي.
- ٤- وقيل: لأنه ممسوح الأخصيين.
- ٥- وقيل لأن الجمال مسحه، أي أصابه وظهر عليه.
- ٦- وقيل: إنما سمي بذلك لأنه مسح بالطهر من الذنوب.
- ٧- وقيل سمي المسيح، لأنه يسبح في الأرض، أي يطوفها، ويدخل جميع بلدانها، إلا مكة والمدينة، وبيت المقدس، فالدجال يمسح الأرض محنة، وابن مريم يمسحها منحة (١).
- * وما صلبوه: الصُّلبُ والصليب الشديد، وبابه ظَرْفٌ، والصُّلبُ عظم ذو فقار بالظهر، وصلبه أيضاً، شدد لكثرة، قال تعالى: ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:٧١] ، وجمع الصَّليب، صُلب بضمين وأصلاب (٢).
- الصُّلبُ: عظم الظهر، وجمع أصلاب، وتصلب فلان: تشدد، والصُّلبُ من الجري، ومن الصهيل: الشديد، كما أن الصلب، الحسب، لأنه قوة معنوية، والفعل من هذا المعنى، صُلب، ككرم، وقد ورد من الصلب والأصلاب بمعنى العظم، الصلب ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطَّارِق:٧] ، الصلب: صلب الرجل، ومن شكل الإنسان المشدود كان الصليب وهو الشكل الذي يتخذه النصارى شعاراً، ومن الصلب والتصليب في تلك العقوبة ورد صلبوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء:١٥٧] (٣).
- والمشهور في الاستعمال: [أن الصلب هو أن يوثق المعد للقتل على خشبة بحيث لا يستطيع التحرك، ثم يطعن بالرمح، أو يرمى بسهم، وكذلك كانوا يزعمون أن عيسى ﷺ صلب، ثم طعن برمح في قلبه] (٤).
- * لفي شك منه: أي لفي تردد وحيرة، وليس إلى الجزم، بأنه عيسى ﷺ من سبيل (٥).

(١) تفسير القرطبي، ٨٩/٤، بتصرف.

(٢) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الرازي، ١/١٧٧.

(٣) مخطوطة الجمل، حرف الصاد، ٤٥٠-٤٥١، بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٢٠.

(٥) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٥/٩٨٨.

* اليقين: العلم وزوال الشك، يقال منه: يَفِنْتُ الأمر، من باب طَرَب، وأيقنت واستيقنت وتيقنت، كله بمعنى، وأنا على يقين منه، وربما عبروا عن الظن باليقين، وعن اليقين بالظن^(١).

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهُ لُهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء: ١٥٧].

الإعراب:

كلمة ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ منصوبة على قولين:

الأول: أنها بدل.

الثاني: أنها على الاختصاص^(٢).

معاني الإعراب:

• المعنى الأول: أن اليهود قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، فتكون كلمة ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ من كلامهم المحكى، أو المقول، فذكرهم له بعنوان الرسالة، إنما جاء تهكماً واستهزاء به ﷺ^(٣)، وهكذا قول المشركين للنبي ﷺ ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦]، وقول أهل مدين لشعيب ﷺ: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧]، وعلى هذا المعنى، فإن كلمة ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ بدل من المسيح فهم قد استهزءوا بكون المسيح رسول الله، وأن رسول الله هو المسيح ﷺ.

• المعنى الثاني: أن اليهود قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم، وانتهى قولهم هنا ويكون ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ من كلام الله ﷻ من باب الثناء على عيسى ﷺ^(٤)، فيكون النصب على المدح، وتقدير الكلام: وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم، أعني وأمدح رسول الله.

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ٣٤٩/١.

(٢) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٤٧/١.

(٣) انظر: روح المعاني، الألويسي، ١٥/٦، وتفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠/٦.

(٤) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠/٦.

رابعاً: البلاغة:

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ وصف اليهود عيسى عليه السلام بالرسالة على سبيل التهكم والاستهزاء والسخرية لأنهم لا يؤمنون برسالته (١).

خامساً: التفسير الإجمالي:

وقولهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

لعن الله تعالى اليهود بسبب سترهم الحق عناداً ومكابرة، وإظهار الباطل، عتواً واستكباراً، وقولهم رمياً وافتراءً على مريم المنزهة عن مطلق الكدورات البشرية حيث رموها بالزنا مع كمال عصمتها وعفتها وطهارتها، عن مطلق الجرائم والآثام (٢).

[قال اليهود على سبيل التبجح والتفاخر: إنا قتلنا عيسى بن مريم، ونسبوه إلى أمه تهكماً به، وغمزاً له ولأمه، بما هو معروف من رأيهم فيها إلى يومنا هذا، وكلمة (رسول الله) إن كانت من قول اليهود، فهي من باب التهكم بدعواه أنه رسول الله، كما قال المشركون في حق رسولنا ﷺ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، فكأنهم يقولون: إنا قتلنا المسيح الذي يزعم أنه رسول الله، ولو كان كذلك لما استطعنا قتله، وأما إن كانت من قول الله تعالى وليست من قولهم فهي استئناف من الله تعالى أريد به مدح عيسى عليه السلام ورفع منزلته] (٣).

يقول محمد سيد طنطاوي: "ولا شك أن ما صدر من اليهود في حق عيسى عليه السلام من محاولة قتله، واتخاذ كل وسيلة لتنفيذ غايتهم، ثم تفاخرهم بأنهم قتلوه وصلبوه، ولا شك أن كل ذلك يعتبر من أكبر الجرائم، لأنه من المقرر في الشرائع والقوانين أن من شرع في ارتكاب جريمة من الجرائم، واتخذ كل الوسائل لتنفيذها، ولكنها لا تتم لأمر خارج عن إرادته، فإنه يعد من المجرمين الذين يستحقون العذاب الشديد" (٤).

واليهود قد اتخذوا كافة الطرق لقتل عيسى عليه السلام ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، لأسباب خارجة عن إرادتهم، ومعنى هذا أنه لو بقيت لهم أية وسيلة لإتمام جريمتهم لأسرعوا في تنفيذها، فهم يستحقون عقوبة المجرم في نيته، وفي تفكيره، وفي شروعه لارتكاب ما نهى الله تعالى عنه.

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥/٦.

(٢) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ١/١٧٧.

(٣) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٦/٩٨٨-٩٨٩.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تفسير سورة النساء، د. محمد سيد طنطاوي، ص ٤٩٦.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وذلك أنهم تأمروا على قتله مع الحاكم الروماني الذي كان يحكم بيت المقدس، بعد أن أفهموه أن دعوته خطر على الحاكم الروماني، وعلى الشعب، فظاهرهم على قتله، واتخذوا من أحد أتباعه جاسوساً عليه، يرصد تحركاته، وتتقلاته، وكان اسمه "يهودا الإسخريوطي" ^(١)، وقد جعلوا له في مقابل ذلك ثلاثين درهماً ^(٢).

اختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شبه لليهود في أمر عيسى عليه السلام فقال بعضهم: أحاطت اليهود به، وبأصحابه، أحاطوا بهم وهم لا يثبتون معرفة عيسى عليه السلام بعينه، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى عليه السلام فقتلوه وهم يحسبونه عيسى عليه السلام ^(٣).

وقيل: جاءت قوة من الرمان يتقدمهم يهوذا، ودخلوا على المسيح، فألقى الله شبه المسيح على يهوذا، ورفع عيسى عليه السلام إليه، فقبض الرومان على يهوذا ليصلبوه ويقتلوه، فقال لهم: أنا يهوذا، فقالوا: بل أنت عيسى، فإن كنت يهوذا كما تدعي، فأين عيسى؟ فقال يهوذا لهم: فإن كنت عيسى كما قلت فأين يهوذا؟ فلم يأبهوا لقوله: وأخذوه وصلبوه، هذه إحدى الروايات التي ذكرت في الرجل الذي ألقى الله شبه عيسى عليه فقتلوه مكانه ^(٤).

ولقد جاء عن ابن عباس أنه قال: " لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، وَرَأْسُهُ يَفْطُرُ مَاءً ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُلْقِي شَبْهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مَكَانِي فَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي ؟ ، فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحَدْتِهِمْ سِنًا ، فَقَالَ : أَنَا ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ ، فَقَامَ الشَّابُّ ، فَقَالَ : أَنَا ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمُ الثَّلَاثَةَ ، فَقَالَ الشَّابُّ : أَنَا ، فَقَالَ عِيسَى عليه السلام : نَعَمْ أَنْتَ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ شَبَّهُ عِيسَى عليه السلام ، ثُمَّ رَفَعَ عِيسَى عليه السلام مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ ، فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِشَبِّهِ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ صَلَبُوهُ ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فَرَقٍ ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ : كَانَ فِينَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهَوْلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ : كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَهَوْلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ ، فَهَوْلَاءِ الْمُسْلِمُونَ ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَاتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا ، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم ،

(١) يهوذا الإسخريوطي، يعرف بالتلميذ الخائن للمسيح، وهو الذي واطأ الكهنة على الدلالة بأجر، وهو الذي ألقى عليه شبه المسيح، فصلب بدلاً منه، ورفع المسيح إلى السماء، (قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص ٥١٤).

(٢) تفسير الألوسي، ١٠/٦، بتصريف.

(٣) تفسير الطبري، ٣٦٧/٩، بتصريف.

(٤) تفسير الألوسي، ١٠/٦، بتصريف.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: [فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ] [الصف: ١٤] ، يَعْنِي الطَّائِفَةَ
الَّتِي كَفَرَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى عليه السلام، وَالطَّائِفَةُ الَّتِي آمَنَتْ فِي زَمَانِ عِيسَى [فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ] [الصف: ١٤] بِإِظْهَارِ مُحَمَّدٍ عليه السلام دِينَهُمْ عَلَىٰ دِينِ الْكُفَّارِ [فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ] [الصف: ١٤] ^(١).

فالذين اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام من أهل الكتاب لفي شك دائم من حقيقة أمره، وفي
حيرة وتردد، ليس عندهم علم ثابت قطعي في شأنه، أو في شأن قتله، ولكنهم لا يتبعون فيما
يقولونه عنه إلا الظن، الذي لا تثبت به حجة، ولا يقوم عليه برهان ^(٢).

فالمراد بالظن هنا: الشك، وقد أطلق الظن على هذا في مواضع كثيرة من كلام العرب،
وفي القرآن ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، والاستثناء هنا منقطع ^(٣)، وفي الحديث الصحيح:
قال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا
تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» ^(٤).

ولقد اختلف أهل الكتاب في شأن عيسى عليه السلام اختلافاً كبيراً، فمنهم من زعم أنه ابن الله،
وادعى أن عيسى عليه السلام عنصراً إلهياً مع العنصر الإنساني، وأن الذي ولدته مريم هو العنصر
الإنساني، ثم أفاض الله عليه بعد ذلك العنصر الإلهي، ومنهم من قال: إن مريم ولدت
العنصرين معاً، كما وقد اختلفوا في أمر قتله، فقال بعض اليهود: إن كان كاذباً فقتلناه قتلاً حقيقياً،
وتردد آخرون فقالوا: إن كان المقتول عيسى عليه السلام فأين صاحبنا؟ وإن كان المقتول صاحبنا فأين
عيسى؟ وقال غيرهم: لا نظن أنهم قتلوه، فالوجه وجه عيسى، والجسد لغيره، وبالجملة فإن أمارات
القطع بأنه هو أو غيره لم تكن متواترة لديهم فلذلك شكوا واختلفت أقوالهم في شأنه ^(٥).

ولكنَّ - الله تعالى - جزم بعدم قتله إياه، وبين في الآية بعدها، بأنه رفعه إليه إلى موضع
فيه حفظه وحمايته، حتى لا يجري فيها حكم أعدائه، وإنما أنجاه الله تعالى من أيدي اليهود،

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تفسير سورة الصف، ح (٣٨٠٧)، ٢/٢٢٩، وقال: هذا حديث
صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والسنن الكبرى، للنسائي، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ﴾، ح (١١٥٢٧) ١٠/٢٢٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ص ٩٩٠.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٢٢ بتصرف.

(٤) صحيح البخاري، باب تعليم الفرائض، ح (٦٧٢٤)، ٨/١٤٨.

(٥) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ص ٩٩٠.

ورفعه إليه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ بِكَوْنُكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

قال ابن عباس: إني متوفيك: أي مميتك، وقال وهب: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه، ثم رفعه، وقال ابن جرير: توفيه: هو رفعه (١).

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة، هنا النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] (٢).

* ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

قال الرازي: المراد: رافعك إلي محل كرامتي، وجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم والتعظيم، ومثله قوله تعالى عن إبراهيم ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، وإنما ذهب إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام، والمراد من ذلك كله التفخيم والتعظيم، وتدل الآية ﴿وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ﴾ على أن الرفعة بالدرجة والمنقبة، لا بالمكان والجهة، كما أن الفوقية في قوله تعالى ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ليس بالمكان، بل بالدرجة والرفعة (٣).

ثم دلل عليه السلام على قدرته حماية عيسى عليه السلام من الصلب، وإنفاذه من اليهود والروم الظالمين، ورفعته إليه فالله عزيز لا يغلب، حكيم في صنعه، وفي جميع ما يقدره ويفتضيه من الأمور التي يخلقها، ويجازي كل عامل بعمله، من جزائه لليهود في الدنيا ما أحل بهم من الذلة والمسكنة، والتشريد في الأرض (٤).

[هذه عقيدتنا في صلب المسيح عليه السلام ورفعته مستقاة من أوثق مصدر في الوجود وهو القرآن الكريم، كلام الله تعالى المنقول إلينا بالتواتر، فلا مجال لتصديق روايات أخرى لم تثبت صحتها، بل إن ما فيها تناقض واختلاف كثير يدل على الشك فيها، ثم القطع بأنها ليست محل ثقة، ثم إن القول بعدم الصلب أكرم وأفضل لكرامة عيسى عليه السلام، وأما القول بأنه صلب ليجعل نفسه فداء للبشرية والعالم، ليُكْفَرَ عن خطيئة آدم عليه السلام وخطايا أبنائه، فهو من أوهام المسيحية، ومن القصص الروائية في الأناجيل التي دونتها أيدي البشر، لأن الله تعالى أناط التخلص من الخطيئة بالتوبة،

(١) انظر: تفسير الطبري، ٤٥٧/٦، وما بعدها.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٠/٦.

(٣) تفسير الرازي، ٢٣٨/٨ بتصرف.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢١/٦.

وقد تاب آدم ﷺ وأنهى المشكلة، وتقبل الله توبته] (١).

ولا يقبل عاقل قضية الفداء، وإباحة ارتكاب المعاصي لأتباع المسيح، لأن المسيح صلب تكفيراً لخطاياهم، ثم حسم الله تعالى القول في شأن المسيح ﷺ فأبان أن كل أحد من أهل الكتاب عندما يدركه الموت، يتكشف له الحق في أمر عيسى ﷺ فيؤمن به إيماناً صحيحاً حقاً، لا انحراف فيه فيعلم اليهودي أنه رسول صادق غير كذاب، ويعلم النصراني أنه بشر ليس بإله، ولا ابناً للإله (٢).

ويقول الشيخ عبد الحميد كشك: "أن روايات المسلمين جميعها متفقة على أن عيسى ﷺ نجا من أعدائه، ومريدي قتله، فقتلوا آخر ظناً منهم أنه هو، فإن قال قائل: إذا كان المسيح قد نجا من القتل والصلب، فأين هو؟" (٣).

نقول: إن الله تعالى أجاب عن هذا ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وهذه عقيدة المسلم، وليس رفع عيسى - عليه السلام - أمراً غريباً، بعد أن أخبرنا تعالى بقوله ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]، فليس رفع أهل الأرض إلى السماء بمستبعد، على من يمسك السموات والأرض أن تزولا، وليس ببعيد، على من قال وقوله الحق: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وبعد قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يجب التسليم واليقين فيما قاله أصدق القائلين: وليس لأحد أن يتجاوز حدود العبودية، فيسأل كيف رفع! وكيف حاله في السماء؟! لأن ما أخبرنا الله تعالى به وجب التصديق به، والوقوف عنده، ومعاذ الله أن يقول المسلم رجماً بالغيب (٤).

﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، أي ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى ﷺ وبأنه عبد الله ورسوله، يعني إذا عاين الموت قبل أن تزهر روحه، حيث لا ينفعه إيمانه، لانقطاع وقت التكليف، ولأن كل واحد ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك (٥).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢/٦.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢١/٦-٢٢.

(٣) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٤٤/٦-١٠٤٥.

(٤) انظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، ٥٨٩/١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٥٣/٢.

ثم جاءت الآية لتؤكد نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، بل وإيمان أهل الكتاب به، حيث ما من أحد من أهل الكتاب إلا وليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موته، وذلك أن اليهودي إذا حضرته الوفاة، وعابن أمر الآخرة، ضربته الملائكة وقالت له: يا عدو الله أتاك عزيز فكذبته، ويقال للنصراني: يا عدو الله أتاك عبد الله ورسوله وهو عيسى فزعمت أنه ابن الله، فيؤمن عند ذلك ويقر أنه عبد الله ورسوله ولا ينفعه إيمانه ذلك الوقت، ويكون إيمانهم عليهم شهيداً يوم القيامة، ولكن لا ينفع الإيمان عند معاينة الموت، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: ١٨]، ^(١)، ثم يكون عيسى عليه السلام شاهداً عليهم بعدم إيمانهم به فيشهد عليهم عيسى عليه السلام بما تظهر به حقيقة حاله معهم، كما حكاه الله تعالى عنه ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، فهو يشهد للمؤمنين منهم بالإيمان حال التكليف والاختبار، وعلى الكافر بالكفر، إذ هو مرسل إليهم، وكل نبي شهيد على قومه، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وقد ورد في الآثار ما يدل على إطلاع الناس قبل موتهم على منازلهم من الآخرة، فيبشرون برضوان من الله أو بعذابه وعقوبته ^(٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا نُنْكِرُهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» ^(٣).

اختلف العلماء في الضمير من قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ على من تعود على قولين:

* الأول: أن الضمير في قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعود على عيسى عليه السلام وعليه يكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عند نزوله بآخر الزمان - قبل موته - أي قبل موت عيسى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، أي يشهد عيسى عليه السلام عليهم يوم القيامة، بأنه أمرهم الله بعبادة الله وحده وأنه قد نهاهم عن الإشراك معه آلهة أخرى.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٤٦١/٣ بتصرف.

(٢) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٤٥/٦-١٠٤٦، وانظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٢/٦.

(٣) صحيح البخاري، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ح (٦٥٠٧)، ١٠٦/٨.

ولقد انتصر لهذا الاتجاه كثير من المفسرين، وعلى رأسهم شيخهم ابن جرير الطبري، وابن كثير وغيرهم.

* **الاتجاه الثاني:** يرى أصحابه أن ضمير ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعود إلى الكتابي المدلول عليه، بقوله ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ، وحاصل المعنى على هذا: أن كل يهودي ونصراني - وهو يحتضر - يؤمن بعيسى قبل أن تزهر روحه فينعد في وقت انقطع فيه عنه التكليف، لأن وقت الغرغرة من عالم الآخرة، يؤيد هذا الرأي قراءة أبي بن كعب، "ليؤمنن به قبل موته" بضم النون وصيغة الجمع^(١).

من الأحاديث الدالة على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: " وَأَفْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا] [النساء: ١٥٩] " ^(٢)

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ» ^(٣).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: " فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ " ^(٤).

ما ترشد إليه الآيات:

- ١- بطلان اعتقاد النصارى، في أن عيسى عليه السلام صلب وقتل، أما اليهود فإنهم وإن لم يقتلوا عيسى عليه السلام فهم مؤخذون على قصدهم، حيث صلبوا وقتلوا من ظنوه أنه عيسى عليه السلام.
- ٢- تقرير رفع عيسى عليه السلام ونزوله في آخر أيام الدنيا.
- ٣- الإيمان كالتوبة عند معاينة ملك الموت، لا تنفع، ولا تقبل، وجودها كعدمها ^(٥).

(١) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٩٩٢/٦، وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٤/٦.

(٢) صحيح البخاري، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، ح (٣٤٤٨)، ١٦٨/٤.

(٣) صحيح البخاري، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً، ح (٣٤٤٩)، ١٦٨/٤، وصحيح مسلم، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً، ح (١٥٥)، ١٣٦/١.

(٤) صحيح مسلم، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً، ح (١٥٦)، ١٣٧/١.

(٥) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٤٦٢/٣.

٤- الثابت المؤكد بإخبار الله تعالى الصادق القاطع، أنهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه، بل حماه الله منهم، وخلصه من فكرهم، وكيدهم، ورفع الله تعالى إما رفعاً حقيقياً بالروح والجسد إلى السماء، كما قال الأكثرون، لأن الله تعالى متعال عن المكان، وإما رفع منزلة وتفخيم وتعظيم، كما قال الرازي.

٥- ما من أحد من اليهود والنصارى، إلا ويدرك قبل موته، حقيقة عيسى عليه السلام ويؤمن به إيماناً حقيقياً في وقت لا ينفعه الإيمان، إذا عاين الملك؛ لأنه إيمان عند اليأس، حين التبس بحالة الموت، فاليهودي يقر في ذلك الوقت بأنه رسول الله، والنصراني يقر بأنه كان رسول الله ^(١)، وهذا معلوم بالأحاديث الصحيحة، قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» ^(٢).

٦- سيفاجأ النصارى يوم القيامة بشهادة عيسى عليه السلام المتضمنة تكذيب من كذبه، وتصديق من صدقه، وبرأته من ادعاء النصارى أنه ابن الله، وإقرار بأنه عبد الله ورسوله، ودعوته إلى عبادة الله تعالى ربه وربهم، ومراقبته لهم أثناء حياته، واعتذاره عن انحرافهم بعد وفاته ^(٣).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٤/٦.

(٢) صحيح البخاري، سبق تخريج الحديث .

(٣) انظر: التفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٥/٦.

المقطع الخامس

بيان عاقبة ظلم اليهود وأخذهم الربا وثواب المؤمنين منهم

قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠-١٦٢].
أولاً: المناسبة:

الآيات استمرار تعداد منكر اليهود، فبعد أن عدد الله تعالى قبائحهم وأفعالهم التي أدت إلى غضب الله تعالى عليهم، ذكر هنا نوع العقاب الذي عاقبهم به في الدين، وهو تحريم بعض الطيبات، وفي الآخرة العذاب الأليم، وكما ذكر جزاء المؤمنين الصالحين، حيث أعد الله تعالى لهم الأجر العظيم وهو الجنة^(١).

ثانياً: معاني المفردات:

* **فبظلم**، [الظلم، ظلم ظلماً، جار وجاوز الحد، ووضع الشيء في غير موضعه، وهو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، ومجاوزة الحد، وقيل: هو التصرف في ملك الغير]^(٢).
* **وبصدهم**: الصد هو الإعراض، والصدود، صد عنه ويصد صدوداً، أعرض، ورجل صاد من قوم صداد، وامرأة صادة من نسوة صداد، ويقال: صد عنه الأمر، يصد صدأً، منعه وصرفه، وصد عنه وأصده وصرفه، وفي التنزيل: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]^(٣).
الراسخون: [رسخ، الرأ والسين والحاء، أصل واحد، يدل على الثبات ويقال: رسخ، ثبت، وكل راسخ ثابت]^(٤).

والراسخون: [هم الثابتون في العلم، المتقنون له]^(٥).

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥٨٩/٦، وانظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٧/٦.

(٢) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ١٤٤/١.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٤٥/٣، وانظر مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٤٢٧/٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٩٥/٢.

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٦/٦.

ثالثاً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾

تحتل كلمة ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ ستة أقوال: (١).

الأول: النصب على المدح.

الثاني: الجر عطفاً على (ما).

الثالث: الجر عطفاً على الكاف في (قبلك).

الرابع: الجر عطفاً على الهاء والميم في (منهم).

الخامس: الجر عطفاً على الكاف في (إليك).

السادس: أنه مضاف إليه مجرور، وحذف المضاف.

معاني الإعراب:

* المعنى الأول: وفيه ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ، وخبره الجملة الفعلية (يؤمنون)، وكان النصب على المدح مفيد لبيان فضل الصلاة، وتقدير الكلام، أعني أو أمدح المقيمين الصلاة.

ورجح كل من السمين الحلبي وأبو حيان هذا القول في تفسيرهما (٢)، وذلك لأن العرب تفعل هذا بين الشيء الواحد وصفته، إذا طال الكلام فتمدح أو تدم، فتخالف بين إعراب أول الكلام وأوسطه أحياناً، ثم ترجع بآخر الكلام إلى إعراب أوله.

وأنكر البعض هذا القول بحجة أن العرب إنما تنصب على المدح بعد تمام الخبر، وخبر ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ هو جملة ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، فلا يجوز نصب المقيمين على المدح وهو وسط الكلام، ولما يتم خبر المبتدأ بعد.

(١) انظر: إعراب القرآن النحاس، ٢٤٩/١، ومعاني القرآن وإعرابه، ١٣٠/٢، وكتاب مشكل إعراب القرآن، مكي

ابن أبي طالب، ٢١٢/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٥٣/٤-١٥٤.

(٢) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ١٥٣/٤، وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٣٤/٤.

ورد كل من الإمامين: الألوسي، والرازي على كل مَنْ أنكر هذا القول بأنه لا دليل على أنه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره، وأن الخبر هو الجملة الفعلية (يؤمنون) وليس جملة ﴿أُولَئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

* **المعنى الثاني:** ويكون معنى ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، فيه هم الملائكة، لدليل قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فيكون معنى الكلام: لكن الراسخون في العلم منهم، والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد ﷺ من الكتاب، وما أنزل من قبلك من الكتب السماوية، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة.

ورجح الإمام الطبري هذا المعنى على هذا القول، وأنه أولى الأقوال بالصواب^(٢)، وقد يكون المراد بالمقيمين الصلاة على هذا القول هم (الأنبياء)، وذلك لأنه لم يخل شرع أحد من الصلاة، حيث قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ويكون المعنى: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، أي: ويؤمنون بالنبیین المقيمين، أي يؤمنون بالكتب والأنبياء^(٣).

* **المعنى الثالث:** وتقديره: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، ومن قبل المقيمين الصلاة، ويكون المقصود بالمقيمين الصلاة هم (الأنبياء)^(٤).

* **المعنى الرابع:** وتقدير: الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة^(٥).

* **المعنى الخامس:** وتقديره: يؤمنون بما أنزل إليك، وإلى المقيمين الصلاة^(٦)، وهم الأنبياء.

* **المعنى السادس:** وتقديره: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وبدین المقيمين الصلاة، يكون المقصود بهم هنا هم (المسلمون)^(٧).

وكل من القول الثالث، والرابع، والخامس، هو قول ضعيف، وذلك لأن فيه عطفًا للاسم الظاهر على المضمرة، وهذا لا يجوز عند البصريين، إلا بعد إعادة الحرف الخافض^(٨).

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٢٢/٦، والتفسير الكبير، الرازي، ٢٦٥/١١.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٤٩/٩.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣١/٢، وروح المعاني، الألوسي، ٢٣/٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٨٠/٢.

(٤) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٠/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٣٥/٤.

(٥) انظر: المرجعين السابقين، نفس الصفحات.

(٦) انظر: المرجعين السابقين، نفس الصفحات.

(٧) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٢٢/٦.

(٨) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣١/٢.

وأرى أن الراجح من تلك الأقوال جمعها: هو القول الأول، فهو الأظهر من جهتي الإعراب والمعنى، ولأن الحديث عن نوع واحد وهذه صفاتهم .

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

يحتمل رفع كلمة ﴿وَالْمُؤْتُونَ﴾ خمسة أقوال: (١).

الأول: أنه مبتدأ.

الثاني: خبر المبتدأ محذوف، (هم المؤتون).

الثالث: معطوف على الضمير في (والمقيمين).

الرابع: معطوف على الضمير في (يؤتون).

الخامس: معطوف على (الراسخون).

معاني الإعراب:

المعنى الأول: ويكون الخبر قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، ومعنى الكلام والمؤتون الزكاة، أولئك سنوتيهم أجراً عظيماً.

المعنى الثاني: والتقدير: هم المؤتون الزكاة، ويكون هذا المعنى من باب المدح، لبيان فضل الزكاة، وهو عند السمين الحلبي أظهر الأقوال (٢).

المعنى الثالث: وتقدير الكلام: أنه لما قال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ علم أنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، فقال: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ على معنى: أذكر أو أمدح المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة (٣).

المعنى الرابع: وتقدير الكلام: والمؤمنون الذين يؤمنون بما أنزل إليك... والذين يعطون زكاة أموالهم الذين أمر الله تعالى بصرفها إليهم سنوتيهم أجراً عظيماً (٤).

(١) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٠/١، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣١/٢، ومشكل إعراب القرآن، مكي

ابن أبي طالب، ٢١٣/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٥٥/٤.

(٢) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٥٥/٤.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣٢/٢.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٣٩٦/٩، وفتح القدير، الشوكاني، ٦١٩/١.

المعنى الخامس: وتقدير الكلام: لكن الراسخون في العلم، والمؤتون الزكاة سنوتيتهم أجراً عظيماً، واعتبر السمين الحلبي هذا القول ضعيفاً، لأنه إذا تم قطع التابع عن متبوعه، لم يجز أن يعود ما بعده إلى إعراب المتبوع، فلا نقول: مررت بزيد العاقل الفاضل، بنصب (العاقل) وجر (الفاضل) (١).

رابعاً: القراءات:

قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

١- ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ قرأها حمزة، وخلف بالياء ﴿سَيُؤْتِيهِمْ﴾، وقرأها الباقون بالنون ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾ (٢).

معاني القراءات:

* القراءة الأولى: ﴿سَيُؤْتِيهِمْ﴾، إخبار من الله تعالى.

* القراءة الثانية: ﴿سَنُؤْتِيهِمْ﴾، إخبار الله تعالى عن نفسه ﷻ.

حيث يبين الحق ﷻ أن هناك طائفة من اليهود، وهم الذين ثبت العلم في قلوبهم فأثمر الإيمان واليقين بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك من الكتب، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وآمنوا بالله جل وعلا واليوم الآخر، أولئك "سنوتيتهم" بالنون والياء، "أجراً عظيماً" هو (الجنة) (٣).

خامساً: البلاغة:

قوله تعالى: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ استعارة، استعار الرسوخ للثبوت في العلم والتمكن منه. ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيه التفات من الغيبة، إذ الأصل (سيؤتيتهم) إلى الخطاب، وتتكبير الأجر للتفخيم (٤).

الإبهام في قوله: (فبظلم)، ليعلم القارئ أو السامع أن أي نوع من التكاليف يكون سبباً للعقاب في الدنيا قبل الآخرة، والعقاب قسمان: دنيوي وأخروي، الأول قسمان: "وضعي"، كالتكاليف الشرعية الشاقة، في زمن التشريع والجزاء الوارد فيها مع العلم من حد أو تغرير، "وطبيعي": وهو ما اقتضته سنة الله ﷻ في نظام الاجتماع من كون الظلم سبباً لضعف الأمم وفساد عمرانها، واستيلاء

(١) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٥٦/٤.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٢٥٢/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٦٨/٢، بتصرف.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٦/٦.

أمة على أخرى (١).

سادساً: التفسير الإجمالي:

﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠]

ذكر الله ﷻ في هذه الآية سببين من الأسباب الكثيرة التي عاقب الله تعالى اليهود بها عقاباً دنيوياً وأخروياً، وكفى بالظلم داءً، وهل أهلك الله تعالى الأمم إلا عندما استشرى فيها هذا الداء الوبيل،

وآيات القرآن العظيم خير شاهد على ما ذكرنا من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَمَّا ظَلَمُوا... ﴾ [يونس: ١٣] وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [التقصص: ٥٩] (٢)،

قال رسول الله ﷺ: اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» (٣).

وجاء في الحديث القدسي عن رب العزة أنه قال: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ

بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا) (٤).

وعنه أنه ﷺ قال: «اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَ مَنْ لَا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي...» (٥).

فاليهود بعد أن هادوا (وتابوا) عن عبادة العجل، فكان عقابهم في الدنيا تحريم كثير من

الطيبات التي كانت حلالاً لهم، بسبب ظلمهم (فبظلم) الباء هنا سببية، والتنكير والتنوين

للتعظيم، ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ﴾ [آل

عمران: ٩٣] (٦).

هذه الآية بينت أن جميع الطعام كان حلالاً على بني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على

نفسه، من لحوم الإبل وألبانها، ثم حرم الله تعالى عليهم بعض الطيبات، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ

الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا

أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

(١) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ٣٧٦/٢.

(٢) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٤٧/٦.

(٣) الأدب المفرد، البخاري، باب الظلم ظلمات، ح (٤٨٣)، ١٧٠/١، صححه الألباني.

(٤) صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، ح (٢٥٧٧)، ١٩٩٤/٤.

(٥) المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المتوفى ٣٦٠،

باب من اسمه أحمد، ح (٧١)، ٦١/١.

(٦) فتح القدير، الشوكاني، ٦١٨/١، بتصرف.

حرم الله تعالى على اليهود كل (ذي ظفر)، كل ما له أصبع سواء كان ما بين أصابعه منفرجاً، كأنواع السباع والكلاب والسنانير، أو لم يكن منفرجاً، كالإبل والنعام والإوز والبط، وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا عمّ التحريم، والبقر والغنم متعلق بحرماننا عليهم شحومها لا لحومها، فإنها باقية على الحل، والشحوم: الثروب^(١)، وشحوم الكلوتين، إلا ما حملت ظهورها، استثنى من الشحوم، ما اشتملت على الظهر والحبوب، من شحم الكتفين إلى الوركين من داخل وخارج، أو الحوايا: عطف على ظهورها، والذي حملته الحوايا: (المباعر والمصارين)، أما ما اختلط بعظم وهو شحم الألية واختلاطه بالعظم، اتصاله بالعصعص، وهو عجب الذنب (أي عظمه) وأصله أنه أول ما يخلق، وآخر ما يبلى، ذلك الجزاء بسبب بغيتهم وبسبب ظلمهم، وقتل الأنبياء بغير حق، ﴿وَبَصَدَّهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ يحتتمل أن يريد صداهم في ذاتهم، ويحتتمل أن يريد صداهم غيرهم^(٢)، وقد رجح الطبري - رحمه الله - "صداهم غيرهم فقد صدوا عباد الله تعالى عن دينه وسبله التي شرحها لعباده صدأً كثيراً، وكان صداهم عن سبيل بقولهم على الله تعالى الباطل، وادعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب الله تعالى وتحريف معانيه عن وجوهه، وكان من عظيم ذلك جحودهم نبوة نبينا محمد ﷺ وكتمانهم ما قد علموا من أمر محمد ﷺ"^(٣).

ويقول السعدي^(٤): "وهذا التحريم لبني إسرائيل، تحريم عقوبة بسبب ظلمهم، وصداهم أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله تعالى ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا، وكانوا قد نهوا عنه خلاف التحريم الذي لأمة محمد ﷺ فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم"^(٥).

وذلك يفيد ادعاء اليهود أنها كانت محرمة على أسلافهم، وأنهم ليسوا بأول من حرمت عليهم، وإنما كانت محرمة على نوح، وإبراهيم، ومن بعدهما، فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة من آياته، وبكتبتهم، وعندما أمرهم الرسول ﷺ بإخراج التوراة، لم يجروا أحد على إخراجها، لما فيها من التحريم بظلمهم، كان مسطوراً فيها، فبهتوا، وانقلبوا صاغرين^(٦).

(١) الثروب: جمع ثرب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش، روح البيان، ١١٥/٣.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٣٥/٢ بتصرف.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٣٩١/٩.

(٤) السعدي: هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، ولد سنة ١٣٠٧هـ، لازم الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة حتى توفي، وقرأ عليه في التفسير والتوحيد والنحو والفقه وأصوله، جلس للتدريس وعمره ٢٣ سنة، من مؤلفاته: الخطب العصرية، والرياض الناضرة، توفي قبل فجر الخميس الموافق ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ - انظر: مشاهير نجد وغيرهم - عبد الرحمن آل الشيخ ص ٣٩٢-٣٩٧ بتصرف.

(٥) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٢١٣/١.

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢٥٣/٢.

﴿وَأَخَذِهِمُ الرَّبُّ﴾ كما بينت الآية سبباً آخر لهذه العقوبة وهو (أكل الربا) عن علمهم بحرمته، فقد نهاهم الله تعالى على السنة أنبيائهم، ومع ذلك أصروا لا عن جهل، فقد نهوا عنه فأصروا عليه، وأكلهم أموال الناس بالرشا والخيانة، والحيل الأخرى، وغيرها من أنواع أكل أموال الناس بالباطل.

بسبب هذه المنكرات، وما ذكره الله ﷻ قبل هذه، حرمت عليهم طيبات أحلت لهم وأعد الله تعالى للكافرين منهم عذاباً أليماً^(١). وهكذا تتكشف طبيعة اليهود، وتاريخهم المشين، وعدم استجابتهم للرسول ﷺ، وتسقط بذلك وتتهاوى دسائس اليهود في الصف المسلم وكيدهم ومكرهم وحبائلهم، وتعرف الأمة المسلمة ما ينبغي أن تعرفه في كل حين عن طبيعة اليهود، وجبائلتهم، ووسائلهم وطرائقهم، ومدى وقوفهم للحق في ذاته، سواء جاء من غيرهم، أو نبع فيهم، فهم أعداء الحق وأهله، وللهدى وحملته، في كل أجيالهم، وفي كل أزمانهم، مع أصدقائهم وأعدائهم، وما كان هذا التعريف بهذا الصنف من الخلق ليقتصر على الجماعة الأولى في المدينة، فالقرآن هو كتاب هذه الأمة ما عاشت، فإذا استفتت عن أعدائها أفتاها، وإذا استصحت في أمرهم نصح لها، وإذا استرشدت بها أرشدها، وقد أفتاها ونصح لها وأرشدها في شأن يهود، فدانت لها رقابهم، ثم لما اتخذته مهجوراً دانت هي لليهود، كما رأيناها تتجمع تتغلبها منهم الشرذمة الصغيرة، وهي غافلة عن كتاب ربها (القرآن) شاردة عن هديه، ملقية به وراءها ظهرياً! متبعة قول فلان وفلان، وستبقى كذلك غارقة في كيد يهود، وقهر يهود، حتى تتوب إلى القرآن^(٢).

ولا يترك السياق الموقف مع اليهود حتى ينصف القليل منهم، ويقرر حسن جزائهم، وهو يضمهم إلى موكب الإيمان العريق، ويشهد لهم بالعلم والإيمان، ويقرر أن الذي هداهم إلى التصديق بالدين كله ما أنزل إلى الرسول ﷺ وما أنزل من قبله، هو الرسوخ في العلم وهو الإيمان. فالعلم الراسخ، والإيمان المنير، كلاهما يقود أهله إلى الإيمان بالدين كله، كلاهما يقود إلى توحيد الدين الذي جاء من عند الله الواحد.

وذكر العلم الراسخ بوصفه طريقاً إلى المعرفة الصحيحة كالإيمان الذي يفتح القلب للنور، أما العلم السطحي كالكفر الجاحد، هما اللذان يحولان بين القلب وبين المعرفة الصحيحة، ونحن

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف: أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٦١.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف: أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٦١، وفي ظلال القرآن، سيد

قطب، ٥٩٠/٦.

نشهد هذا في كل زمان، فالذين يتعمقون في العلم، ويأخذون منه بنصيب حقيقي، يجدون أنفسهم أمام دلائل الإيمان الكونية، أو على الأقل أمام علامات استفهامية كونية كثيرة، لا يجيب عليها إلا الاعتقاد بأن لهذا الكون إلهاً واحداً مسيطراً، مدبراً، متصرفاً، فالراسخون في العلم النافع هم الثابتون فيه المطلعون على حقائق الدين، الذين يؤمنون إيماناً صادقاً بالله تعالى وبما أنزل إليك، وما أنزل على من قبلك من الرسل كموسى وعيسى عليهما السلام ولا يفرقون بين أحد منهم، والمؤمنون إيماناً حقيقياً بالله تعالى واليوم الآخر، أي بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال، والمؤدون زكاة أموالهم للمستحقين، والمطيعون أوامر الله تعالى. (١)

[وأخص منهم (مقيمي الصلاة) الذين يؤدونها على أتم وجه، مستوفية أركانها وشروطها، وتخصيص المدح لإقامة الصلاة، لأنها تستدعي إيتاء الزكاة، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر، وتزكي النفس، وتهون على النفس إيتاء المال لمستحقه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢] ﴿٢﴾.

هؤلاء الموصوفون بما تقدم من الصفات، كلها صفات المؤمنين المتقين التي جاءت في أول سورة البقرة، ونلاحظ قوله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالَةَ﴾ جاءت منصوبة، على غير سائر ما عطف عليه، وذلك نصب على المدح لإبراز أهمية الصلاة، وختمت الآية ببيان أجر هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، ونظراؤه، أولئك سيؤتيهم الله تعالى أجراً عظيماً وهو الجنة، لا يدرك حقيقته إلا الله، ونلاحظ ارتباط هذا المقطع الذي يتناول انحرافات أهل الكتاب عن الاعتقاد الصحيح بمحور السورة، حيث يظهر من سلوك أهل الكتاب المنحرف، حقيقة العبودية لله وطاعته. (٣)

الهدايات المستنبطة من المقطع:

أ. قضايا العقيدة:

أساس أركان الإيمان، الإيمان بالله تعالى رباً معبوداً لا إله سواه والإيمان برسوله محمد ﷺ وبالقرآن الذي نزل عليه، ويبني على ذلك الإيمان بما أخبر به القرآن، كالإيمان بالله تعالى والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر (٤).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥٩٠/٦ بتصرف.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٨/٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/٦.

(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٦٢-٢٦٣.

ب. الأحكام الشرعية:

يجوز التعامل المادي مع أهل الكتاب غير المحاربين، لأن المعاملة بالبر والعدل غير الولاء، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [المتحنة: ٨-٩] (١).

ج. الجوانب التربوية:

- ١- الكشف عن طبيعة اليهود وتاريخهم، وفضح سلوكهم، وكشف نفوسهم بأسلوب من أساليب القرآن لتربية المسلمين، وتعريفهم على عدوهم ليحذروه، ويحذروا عقائده وسلوكه.
- ٢- من أساليب القرآن مدح العلم وأهله، وبيان أن العلم الراسخ الذي يؤدي إلى الإيمان الصحيح، هو العلم النافع، الذي يكون البحث فيه عن بواطن الأمور، وأهدافها وحكمها، أما العلوم الدنيوية البحتة، والانغماس بالمادية، فإنها تؤدي إلى الغفلة عن الحق والبعد عنه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الرُّوم: ٧] (٢).

ما ترشد إليه الآيات:

ذكر ﷺ أسباب استحقاق اليهود العذاب الأليم في نار جهنم، وتحريم بعض الطيبات في عالم الدنيا وهي الظلم، وقدم على التحريم، إذ هو الذي قصد الإخبار عنه بأنه سبب التحريم، وصد أنفسهم وغيرهم من أتباع محمد ﷺ وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، وهذا كله تفسير للظلم الذي تعاطوه، وكذلك ما قبله من نقض الميثاق، وعبادة العجل، وغير ذلك مما ذكر (٣).

وهذا يؤيد مذهب الجمهور غير الحنفية القائلين بأن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة قال ابن العربي: "لا خلاف في مذهب مالك في أن الكفار مخاطبون بمعنى أنهم مطالبون بأن يؤمنوا، وأن يؤديوا الفرائض الشرعية بعد الإيمان، وقد بين الله تعالى في هذه الآية أنهم نُهوا عن الربا، وأكل المال بالباطل، فإن كان ذلك خبراً عما نزل على محمد ﷺ في القرآن، وأنهم دخلوا في الخطاب، فبها ونعمت، وإن كان ذلك صبراً عما أنزل الله تعالى على موسى في التوراة، وأنهم بدلوا وحرفوا، وعصوا وخالفوا، فهل تجوز لنا معاملتهم، والقوم قد أفسدوا أموالهم في دينهم، أم لا؟، ظنت

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢/٢٦٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٢٨.

طائفة أن معاملتهم لا تجوز، وذلك لما في أموالهم من هذا الفساد، والصحيح جواز معاملتهم مع رباهم، واقتحامهم ما حرم الله ﷺ عليهم، فقد قام الدليل على ذلك قرآناً وسنة^(١)

قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا نص في مخاطبتهم بفروع الشريعة، وقد عامل النبي ﷺ اليهود، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لعياله، ثم استثنى مؤمني أهل الكتاب، لأن اليهود أنكروا وقالوا: إن هذه الأشياء كانت حراماً في الأصل، وأنت تحلها، ولم تكن حرمت بظلمنا، فنزل: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [النساء: ١٦٢]، والراسخ: هو المبالغ في علم الكتاب الثابت فيه^(٢).

هؤلاء المؤمنون من الكتابيين، مثل عبد الله بن سلام، وكعب الأحرار، ونظراؤهما، والمؤمنون من المهاجرين والأنصار، أصحاب محمد ﷺ ومقيموا الصلاة، ومؤدوا الزكاة، سيعطيهم الله تعالى ثواباً عظيماً لا يقدر وصفه إلا الله تعالى وهو الجنة.

وأشارت الآيات إلى أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين: الظلم للخلق، والإعراض عن الدين الحق، أما ظلم الخلق فالإشارة بقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وأما الإعراض عن الدين الحق، فالإشارة بقوله تعالى: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

مظاهر الظلم كثيرة: وهي أكل الربا، وأخذ أموال الناس بالباطل بطريق الرشوة والاحتيال، والغش ونحوها، وسماع الكذب، وأكل السحت، وهذه الذنوب الأربعة هي الموجبة لتشديد العقاب عليهم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهو تحريم الطيبات عليهم، وأما في الآخرة فهو العذاب المؤلم في نار جهنم^(٣).

(١) أحكام القرآن، لابن العربي، أبو بكر بن العربي، ٦٤٧/١.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٩/٦ بتصرف.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٣٠/٦.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة النساء من آية (١٦٣-١٧٦)

يشتمل على سبعة مقاطع:

المقطع الأول: وحدة الرسالات السماوية ومهمة الأنبياء والمرسلين.

المقطع الثاني: ضلال الكافرين وصددهم عن سبيل الله تعالى.

المقطع الثالث: دعوة الرسول ﷺ للناس كافة.

المقطع الرابع: الغلو في الدين والقول بألوهية عيسى بن مريم.

المقطع الخامس: عقوبة المستكبرين في الأرض.

المقطع السادس: دعوة الناس إلى الإيمان بالنور المبين.

المقطع السابع: حكم الكلاله وبعض أحكام المواريث.

المقطع الأول

وحدة الرسالات السماوية ومهمة الأنبياء المرسلين والحكمة من إرسالهم

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٦].

أولاً: المناسبة:

[تستمر الآيات في مناقشة أهل الكتاب، وبيان ألوان عنادهم، فهم كما سبق لا يؤمنون بكل الرسل، ويطلبون أشياء من الرسل من باب التعجيز والاختبار، سواء من موسى أو محمد عليهما السلام، وهنا تذكر الآيات في ختام محاجتهم أن الوحي، جنس واحد، لا يختلف بين الرسل، فلو صدقوا الإيمان بموسى عليه السلام لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يفرقوا بين نبي ونبي] ^(١) واستمرار الوحي من الله تعالى إلى الرسل المتتابعين في البشرية من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وخاتمهم، والعامل الذي يريد الحق، قد أرسل إليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالحق، فإن آمن به وبالرسل قبله فقد اهتدى إلى طريق الحق، وإن آمن ببعض الرسل، وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالحق المنزل من عند الله تعالى، فالمقطع يبين وحدة الرسالة، ووحدة المصدر ^(٢).

ثانياً: سبب النزول:

روى الطبري بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: سكين وعدي بن حاتم ^(٣) يا محمد، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٣/٦.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢٦٤/٢.

(٣) الأثر: ١٠٨٤٠، سيرة ابن هشام، ٢/٢١١، وهو تابع الآثار التي أخرجها قديماً ٩٧٩٢ وكان في المطبوعة والمخطوطة، عدي بن ثابت، وهو خطأ بلا شك ففي سيرة ابن هشام وغيرها "عدي بن زيد"، وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد من بني قينقاع، ذكرهم ابن هشام في السيرة في الأعداء من يهود، ١٦١/٢، تفسير الطبري، ٤٠٠/٩.

وَإِسْرَائِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١﴾
[النساء: ١٦٣] (١).

روي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود، فقال لهم: إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

* **الوحي:** الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقىته إلى غيرك، يقال: أوحيت إليه الكلام، وأوحيت ووحى ووحياً (٣).

الوحي: يقال: وحيته إليه وأوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عنه غيره، والوحي، الإشارة السريعة، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد، وبإشارة بعض الجوارح.

والوحي: مصدر، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين هما: الخفاء والسرعة، ولذا قيل في معناه: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، وهذا معنى المصدر، ويطلق ويراد به الوحي، أي بمعنى اسم المفعول.

والوحي بمعناه اللغوي يتناول:

١- الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

٢- والإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

٣- والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

٤- ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(١) انظر: تفسير الطبري، ٤٠٠/٩.

(٢) رواه ابن جرير عن ابن عباس من طريق محمد بن إسحاق، وهو إسناد حسن، جامع البيان، الطبري، ٤٠٩/٩.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٧٩/١٥.

٥- وما يلقى الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَبَسَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأَنْفَال: ١٢]، ولغة القرآن الظاهرة "أوحى" بالألف، ولم يستعمل مصدرها، وإنما جاء فيه مصدر الثلاثي: [إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى] {النَّجْم: ٤}، ووحى الله إلى أنبيائه قد عرفوه شرعاً بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه، وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول، أي الموحى" (١).

والوحي بالمعنى المصدرى اصطلاحاً: هو إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفية سريعة.

وعرفه الأستاذ محمد عبدو في رسالة التوحيد بأنه: "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة، أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت"، ويفرق بينه وبين الإلهام، فالإلهام: وجدان تستيقنه النفس فتتساق إلى ما يطلب على غير شعور منها، من أين أتى؟ وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن (٢).

* **الأسباط:** واحدها (السَّبَط) وهم ولد الولد، و(الأسباط) من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، وقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]، إنما أنت لأنه أراد اثنتي عشرة فرقة ثم أخبر أن الفرق أسباط، وليس الأسباط بتفسير، وإنما هو بدل من اثنتي عشرة، لأن التفسير لا يكون إلا واحداً منكرًا، كقولك: اثني عشر درهماً، ولا يجوز دراهم (٣).

والمراد بالأسباط هنا: أولاد يعقوب لصلبه أو أولاد أولاده (٤).

زبوراً: الزُّبُر، الكتابة وبابه ضرب ونصر و(الزُّبُر) بالكسر الكتاب، والجمع (زُّبُور) كقدر وقدر، ومنه قرأ بعضهم: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ و(المزير) كالمبضع القلم، و(الزُّبُور) الكتاب وهو فعول بمعنى مفعول من زير.

(والزُّبُور) كتاب داود عليه السلام و(الزُّبُور) بضم الزاء الدُّبُر، وهي تَوْنُث والجمع (الزُّنَابِير) و(الزُّنْبِير) بكسر الزاء والباء مهموز، ما يعلو الثوب الجديد، مثل ما يعلو الخرز، وضم الباء لغة (٥).

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، لمناح القطان، ٢٩/١.

(٢) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص ٤٤.

(٣) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن الرازي، ١٤١/١.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣١/٦، وأيسر التفاسير لكلام العلي

الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٤٦٤/٣.

(٥) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ١٣٤/١.

رابعاً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

تحتل كلمة ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ قولين على النصب:

الأول: أنها مفعول به بإضمار فعل يفسره ما بعده.

الثاني: معطوف على معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(١).

معاني وجوه الإعراب:

المعنى الأول: وقد قصصنا رسلاً عليك، والمعنى على حذف المضاف، أي: قصصنا أخبارهم^(٢).

المعنى الثاني: إن كلمة (أوحينا) تحمل معنى (أرسلنا) والمعنى: إنا أرسلناك موصين إليك وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل^(٣).

واعتبر الزجاج أن القول الأول هو أجود القولين^(٤)، في حين رفض كل من الألويسي وأبي السعود^(٥) القول الأول، وذلك لخلوه من تحقيق المماثلة بين شأنه ﷺ وبين شئون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام في مطلق الإيحاء، ثم في إيتاء الكتاب، ثم في الإرسال، فإن قوله ﷺ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ منتظم المعنى (آتيناك) و(أرسلناك) حتماً، فكأنه قيل: إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى فلان وفلان، وآتيناك مثل ما آتينا فلاناً، وأرسلناك مثل ما أرسلنا الرسل الذين قصصناهم وغيرهم، ولا تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الإيحاء والإرسال، فما للكفرة يسألونك شيئاً لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام^(٦).

وبين الإمام ابن عطية في تفسيره أن كلمة (رسلاً) منصوبة بفعل مضمر تقديره (أرسلنا)، لأن الرد على اليهود، إنما في إنكارهم إرسال الرسل والمراد الوحي^(٧).

(١) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٠/١. ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣٣/٢، والدر المصون في علم

الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٥٩/٤، كتاب مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ٢١٣/١.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣٣/٢.

(٣) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٠/١.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣٣/٢.

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢٥٥/٢.

(٦) روح المعاني، الألويسي، ١٩٢/٣.

(٧) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٣٧/٢.

ورأي ابن عطية هو نفسه معنى القول الثاني، لأن الفعل (أرسلنا) مستلزم للفعل (أوصينا)، فكيف يكون إرسال بدون وحي؟.

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

كلمة ﴿رُسُلًا﴾ فيها ثلاثة أقوال في النصب:

الأول: أنها بدل من ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾.

الثاني: أنها مفعول به بفعل مضمَر.

الثالث: أنها حال (١).

معاني الإعراب:

المعنى الأول: أن هؤلاء الرسل المبشرين والمنذرين، هم أنفسهم الرسل الذين قصصناهم عليك من قبل.

وضعَّه الإمام الألويسي بحجة اتحاد البديل والمبدل منه لفظاً وهو بعيد (٢).

المعنى الثاني: ويكون النصب فيه على المدح، والمعنى: ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورسلاً لم نقصصهم عليك، أعني وأمدح رسلاً مبشرين ومنذرين.

ورجح الزمخشري هذا القول وبين أنه الأوجه (٣).

المعنى الثالث: وتكون الحال فيه موطئة، ومعنى الموطئة أي: أنها ليست هي المقصودة، إنما المقصود صفتها، وهو كما تقول: مررت بزيد رجلاً صالحاً، فالرجولية مفهومة من كلام (زيد)، ولكنها ليست هي المقصودة، وإنما المقصود هو وصفه بالصلاح (٤).

والمعنى: أرسلناهم حال كونهم رسلاً مبشرين ومنذرين، فهي حال موطئة لصفتها، وهي (مبشرين) لأنها هي المقصودة من الحال (٥).

(١) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٢/١، وكتاب مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ٢١٣/١، والدر

المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٦١/٤.

(٢) انظر: روح المعاني، الألويسي، ١٩٢/٣.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٥٩٢/١.

(٤) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٦١/٤.

(٥) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٩/٦.

وضعف الألوسي هذا القول، لأنه لا وجه للفصل بين الحال وصاحبها (١).

* قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].
لقد توحدت دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الناس فكانت الغاية واحدة، وهي تحقيق العبودية لله ﷻ وترك عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ودعوة الرسل جميعاً هي الدعوة إلى توحيد الله ﷻ وإخلاص العبادة له وحده، كما جاء في قوله تعالى على لسان نوح وهود وصالح وشعيب: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠] (٢).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا الآتي:

أولاً: حاجة الناس إلى الرسل والرسالات:

أرسل الله ﷻ رسله إلى عباده، لهدايتهم وإرشادهم طريق الصواب، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترغيبهم في امتثال أوامر الله ﷻ ونواهيه، وفعل الطاعات والأعمال الصالحة، وتبشيرهم بما يلاقونه عند ربهم من الأجر والثواب العظيم، وجنات النعيم، وترهيبهم من عصيان أوامر الله ﷻ ونواهيه، وتذكيرهم بالأمم الماضية، التي عصت أوامر ربها، وما حل عليهم من العذاب في الدنيا، وتخويفهم بما يلاقونه يوم القيامة من العذاب الشديد في نار جهنم.

وكانت الحاجة ماسة إلى إرسالهم، وذلك بسبب بُعد الناس عن الله ﷻ وانغماسهم في ملذات الدنيا وشهواتها، بانتهاك محرمات الله تعالى وانخراطهم في الذنوب والمعاصي، وأكل حقوق العباد، ولا يوجد بينهم ناصح أو مرشد يرشدهم إلى الطريق الصحيح، وبطبيعتهم ويعقولهم القاصرة لا يهتدون من ذاتهم إلى معرفة الخير.

وكانت الحكمة البالغة أن يبعث الله ﷻ الرسل، وينزل عليهم الرسالات، على فترات من الزمن، بحسب ما تحتاجه كل أمة من الأمم السابقة من الإصلاح، وهدايتهم وحفظهم ومصالحهم، وأمورهم (٣).

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، ١٩٢/٣.

(٢) انظر: بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً، وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ٤٣/١.

(٣) انظر: أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ص ٤٩، الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ٧٨/٢.

وأيضاً الحكمة من إرسال الرسل، حتى لا يكون للناس حجة بعدم إرسال الرسل لهدايتهم، والأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح، وكانت بعثة الأنبياء عليهم السلام إلى الناس ضرورة، لتقطع عليهم الحجة والمعذرة (١)، فقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ثانياً: وحدة الرسالات السماوية:

جاءت وحدة الرسل والرسالات من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وينبع من هذه الوحدة ثلاثة أمور وهي:

- ١- **وحدة المصدر:** هو المصدر الذي يتلقى منه الرسل التكليف، وهو من عند الله ﷻ خالق جميع البشر، ولو كان من عند غير الله، لوجدوا فيه أخطاء واختلافات وتناقضات، فمن رحمة الله تعالى أن كانت جميع الرسالات من عند الله ﷻ ولما انحرفوا وأضلوا الطريق بعث إليهم رسله (٢).
- ٢- **وحدة الغاية:** إن الغاية والمهمة التي بعث الله ﷻ جميع رسله وأنبيائه، هي الدعوة إلى الله ﷻ وحده لا شريك له، وطاعته وعبادته على أكمل وجه، وإقامة شرائع هذا الدين، والإيمان برسله جميعهم وبكتبه واليوم الآخر، وهو خطاب تكليفي، وتوحيدي لجميع الرسل، للمحافظة على هذا الدين والعمل به (٣)، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، إذاً تكون وحدة هذه الرسالات في الاعتقاد وأصول التوحيد، وليس في الأحكام الفرعية، ويندرج تحتها ما يلي:

١- عبادة الله ﷻ وتوحيده وعدم الإشراف به.

٢- الإيمان بالأسماء والصفات.

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٣٥٨/١، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٦/٦.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣١٣٩/٥.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ٤١٣/١، والتفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٤٦١/١، والإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، ٩١/٢.

- ٣- الإيمان ببعثه جميع الرسل، والكتب المنزلة والملائكة واليوم الآخر.
- ٤- صيانة الكليات الخمس، وهي حفظ العقل، والدين والنفس والمال والعرض، والحفاظ عليها من أي إخلال بها.
- ٥- الدعوة إلى مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤَظُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٤-١٩] (١).

٣- وحدة الدين: إن الدين الذي اختاره الله ﷻ وارتضاه لعباده منذ أن خلق الخلق إلى قيام الساعة هو الإسلام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقد بعث الله ﷻ الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الرسالات والشرائع، وأمرهم بالتبليغ بدين واحد وهو الإسلام، والاستسلام والطاعة والاتباع، ولا يرضى بدين غير الإسلام، ولا يقبل من أحد أي دين غير هذا الدين (٢).

ثالثاً: مهام الرسل:

إن الدعوة إلى دين الإسلام، مهمة الرسل وأتباعهم، وقد قاموا بتبليغ ما أمروا به لأممهم، وبينوا الشرائع أتم البيان، وقاموا بإصلاح الاعتقاد الفاسد الذي كانت عليه أممهم، وإصلاح الناس بالقدوة الطيبة، والأسوة الحسنة في كل قول وعمل، وإصلاح أحوالهم وشئون حياتهم، ومعاملتهم مع الآخرين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ويقول ابن تيمية: "والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودينه إلا باتباع الرسالة" (٣).

واقفتي رسولنا ﷺ سبيلهم في ذلك فأدى الأمانة، ونصح الأمة، وأصلحها وجاهد في الله حق جهاده، واتبعه الصحابة رضي الله عنهم من بعده وحملوا لواء نشر الدعوة متجهين في طريقهم نحو الإصلاح والتغيير، ثم تبعهم من بعدهم التابعون والسلف الصالح، لاستكمال طريق الدعوة

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٠/٢٥، والتفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٢١/١.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٧٩/٣، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٨٠/١.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٩٩/١٩.

والإصلاح حتى وصلنا هذا الدين غصاً طرياً، فلزم حماة الدين وأتباع الرسل، الدعوة إليه، والعمل على نشره وتبليغه، إذ هو الميراث الذي ورثوه، ودعوتهم إلى الدين مبينة على أصول نطق بها الكتاب وجاءت به السنة.

التفسير الإجمالي:

موكب واحد يتراءى على طريق التاريخ البشري الموصول، ورسالة واحدة يهدي واحد للإنذار والتبشير... موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من بين البشر، نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان، وداود، وموسى... وغيرهم ممن قصهم الله تعالى على نبيه محمد ﷺ في القرآن، وممن لم يقصصهم عليه... موكب من شتى الأقوام والأجناس وشتى البقاع والأرضين، في شتى الآونة، والأزمنة، لا يفرقهم نسب، ولا جنس، ولا أرض ولا وطن، ولا زمن ولا بيئة، كلهم آت من ذلك المصدر الكريم، وكلهم يحمل ذلك النور الهادي، وكلهم يؤدي إلى الإنذار والتبشير، وكلهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة البشرية إلى ذلك النور... سواء منهم من جاء العشيرة، ومن جاء القوم، ومن جاء المدينة، ومن جاء لقطر، ثم من جاء للناس أجمعين، محمد ﷺ خاتم النبيين^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، تأت الآية جواباً لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأنه ليس بدعاً من الرسل، بل أوحى إليه كما أوحى إلى الرسل من قبله، فلم يقطع الوحي من بداية حياة البشر، على الأرض إلى بعثة محمد ﷺ لتحرير الناس من العبودية للأهواء والطواغيت، وعدد ﷺ أسماء بعض من أوحى إليه من الرسل، فإنزال الكتاب إلى محمد ﷺ ليس بدعاً، فقد أنزل الله ﷻ كتباً من قبل منها: الزبور الذي أنزله على داود ﷺ.

خص الله ﷻ نوحاً ﷺ بالذكر لكونه أول نبي شرعت على لسانه الشرائع، وأول نذير على الشرك، وأول من عذبت أمته، لردهم دعوته، وأهلك أهل الأرض بدعوته، وكان أبا البشر كآدم، وأطول الأنبياء عمراً، وصبر على أذى قومه طول عمره، وقيل غير ذلك^(٢).

وأوحى الله تعالى إلى النبيين من بعده، لاسيما إبراهيم ﷺ أبي الأنبياء والذين يدين له العرب وأهل الكتاب، وإسماعيل ابنه الأكبر وأبو العرب، وجد المصطفى ﷺ وإسحاق بن إبراهيم،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٨٠٥/٢ بتصرف.

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن صديق بن الحسين القنوجي البخاري، ٢٩٨/٣، وانظر: تفسير القرآن

الكريم، د. عبد الله شحاته، ٩٩٦/٦.

وأبو يعقوب المسمى بإسرائيل، وإليه تنسب اليهود والأسباط، وهم حفدة يعقوب.

وقيل أولاده لصلبه، وعددهم عشرة، وأولاد يوسف اثنان، فكان المجموع اثني عشر سبطاً، وهم في نسل إسحاق كالقبايل في نسل إسماعيل، وعيسى بن مريم، وقدم على غيره لأنه محل طعن اليهود، وأيوب ويونس وهارون وسليمان بن داود، وخص هؤلاء بالذكر مع اندراجهم في لفظ النبيين لشرفهم وكرامتهم على الله (١).

والله تعالى أوحى إلى هؤلاء الأنبياء المذكورين في هذه الآية، وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك، وما أنزل الله تعالى على أحد من هؤلاء كتاباً جملة واحدة، فلما لم يكن ذلك قادحاً في نبوتهم، فكذا لم يكن إنزال القرآن مفزقاً على محمد ﷺ قادحاً في نبوته، بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم (٢).

﴿كما آتينا داود زيوراً، أي كتاباً مكتوباً، وهو الكتاب الذي أوحاه الله تعالى إلى داود ﷺ وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم، ولا حلال ولا حرام، وإنما هي حكم ومواعظ، وكان داود ﷺ حسن الصوت، فإذا أخذ في قراءة الزبور، اجتمع إليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته، وكان متواضعاً، يأكل من عمل يده، وكان يصنع الدروع﴾ (٣).

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَفَدَّ أُوْتَيْتَ مِرْمَارًا مِنْ مِرْمِيرِ آلِ دَاوُدَ» (٤).

وهناك خلق آخرون من الأنبياء لم يذكروا في القرآن، وعددهم أكثر من ألف، قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي خَاتَمُ أَلْفِ نَبِيِّ، وَأَكْثَرُ مَا بُعِثَ نَبِيٌّ يُتَّبَعُ، إِلَّا قَدْ حَذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالَ، وَإِنِّي قَدْ بَيَّنَّ لِي مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ يَبَيِّنْ لِأَحَدٍ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَعَيْنُهُ الْيُمْنَى عَوْرَاءُ جَاحِظَةٌ، وَلَا تَخْفَى كَأَنَّهَا نُخَامَةٌ فِي حَائِطٍ مُجَصَّصٍ، وَعَيْنُهُ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، مَعَهُ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ، وَمَعَهُ صُورَةُ الْجَنَّةِ خَضْرَاءُ، يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ، وَصُورَةُ النَّارِ سَوْدَاءُ تَدَاخُنُ» (٥).

(١) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٥٠/٦، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٣/٦.

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن الحسين القنوجي البخاري، ٢٩٩/٣، ورحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٥١/٦.

(٣) تفسير القرطبي، ١٧/٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ح (٧٩٣)، ٥٤٦/١.

(٥) مسند الإمام أحمد، باب مسند أبو سعيد الخدري، ح (١١٧٥٢)، ٢٧٥/١٨، وفيه مجالد (ضعيف)، قال ابن كثير: رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة، انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٧٣/٢.

وهنا يخاطب الله تعالى محمداً ﷺ وأرسلناك يا محمد كما أرسلنا رسلاً غير هؤلاء منهم من قصصنا عليك، ومنهم لم نقصهم عليك، لم يذكروا في القرآن، لأن أمهم مجهولة، وفي ذكر غيرهم فائدة أجدى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

والقصد من إيراد قصص الأنبياء العظة والعبرة، والتثبت والذكرى، قال ﷺ ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] (١).

والمشهور في عدد الأنبياء والمرسلين، ما جاء عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فقال "يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتين فقم فأركعهما" فقامت فركعتيهما ثم عدت فجلست إليه قلت فذكر الحديث بطوله في كتاب العلم قال فيه قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال: "مائة ألف وعشرون ألفاً" قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا" (٢)، قلت فذكر الحديث. وعلى كل حال لا بد أن نؤمن بهم جملة.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أي تكليماً حقيقياً بلا واسطة، والتكليم للأنبياء يسمى (وحياً)، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، ثم بين ﷺ الحكمة من إرسال الرسل، وهي التبشير والإنذار، فيبشرون من أطاع الله تعالى واتبع رضوانه وتحرر من العبودية لغيره، بالخيرات، وينذرون من خالف أمره، وكذب رسله بالعقاب والعذاب، وكذلك تبيان طريق الهداية الأسلم، إذ لو لم يسلموا لاحتج البشر بجهلهم ما يجب عليهم من الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤] (٣).

قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمُدْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ» (٤)، وقوله تعالى: ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٥/٦.

(٢) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، باب في عدد الأنبياء والمرسلين وما نزل من الكتب، ٥٠٨/١.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٦٨ بتصرف.

(٤) صحيح البخاري، باب قوله ﷺ قل إنما حرم ربي، ح (٤٦٣٧)، ٥٩/٦، وصحيح مسلم، باب غيرة الله تعالى

وتحريم الفواحش، ح (٢٧٦٠) ٢١١٤/٤.

بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿ [النساء: ١٦٥] ، إشعار برحمة الله تعالى للعباد، فلا حجة لأحد على الله تعالى: ﴿ قُلْ
فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩] .

وهنا اقتضت حكمة الله ﷻ أن يرسل إليهم الرسل يذكرونهم ويبصرونهم، ويحاولون استنقاذ
فطرتهم، وتحرير عقولهم من ركام الشهوات، التي تحجب عنها، أو تحجبها عن دلائل الهدى،
وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق.

"إن دور العقل أن يتلقى عن الرسالة، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول ﷺ، ومهمة
الرسول أن يبلغ ويبين، ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام، فإن أدرك العقل
مقررات الحياة، وفهم النص، لم يعد أمامه إلا التصديق، والطاعة والتنفيذ"^(١).

يقول سيد قطب - رحمه الله -: وفي نهاية المطاف نقف وقفة خاشعة أمام جلال الله
وعظمته، ممثلة في علمه وعدله ورعايته، وفضله، ورحمته وبره بهذا الإنسان الذي يجحد ويطغى،
وما أودعه الله تعالى من القوى والطاقات، وما ركب في كينونته من استعدادات للهدى والضلال،
ونقف أمام عظمة العدل الذي يرتب للناس حجة على الله ﷻ لو لم يرسل إليهم الرسل مبشرين
ومنذرين، هذا مع احتشاد كتاب الكون المفتوح وكتاب النفس المكنون بالآيات الشواهد على الخالق
ووحدانيته، وتدبيره وتقديره، ونقف أمام عظمة الرعاية والفضل والرحمة والبر بهذا المخلوق الذي
يكرمه الله تعالى ويختاره على ما يعلم به من ضعف ونقص، ويكل إليه هذا الملك العريض خلافة
الأرض، ومن عجب ذلك أن يأتي على هذا الإنسان زمان يزعم لنفسه أنه استغنى عن ربه،
استغنى عن رعايته وفضله ورحمته... استغنى عن هدايته ودينه ورسله^(٢).

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ أي كان الله تعالى ولم يزل عزيزاً، وهو القادر الغالب على كل
شيء، حكيماً في بالغ الحكمة في كل ما يدبر من شئون الكون، ومن ذلك تدبير أمر النبوة،
وتخصيص كل نبي بنوع من الوحي والإعجاز على النحو الذي اقتضته حكمته تعالى مراعاةً
للزمان والمكان الذي بعث فيه كل نبي^(٣).

جاء في رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده كلام نفيس عن حاجة البشر إلى إرسال الرسل،
وعن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث قال: الرسل يرشدون العقل إلى معرفة الله

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٠١، بتصرف.

(٢) نفس المرجع السابق والجزء والصفحة، بتصرف.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٦/٩٩٧-٩٩٨.

وما يجب أن يعرف من صفاته، ويبيّنون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان، على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه، ولا يرفع ثقته بما أتاه الله من القوة، الرسل يبيّنون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم، وتنازعت مصالحتهم، ولذاتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع، ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة، ولا يفوت به المصالح الخاصة، الرسل يضعون لهم بأمر الله حدوداً عامة، يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم، كاحترام الدماء البشرية إلا بحق، مع بيان الحق الذي تهدر له، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق، مع بيان الحق الذي يبيح تناوله، واحترام الأعراض، مع بيان ما يباح وما يحرم من الألباض يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذات الفانية، إلى طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرق من الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير حسبما أمرهم الله جل شأنه يفصلون في جميع ذلك، ما يؤهلهم لرضا الله تعالى عنهم، وما يعرضهم لسخطه عليهم، ثم يحيطون ببيانهم بنبأ الدار الآخرة وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبي، لمن وقف عند حدود الله وأخذ بأوامره، وبهذا تطمئن النفوس وتتلق الصدور، ويعتصم المرزوء بالصبر، ينتظراً لجزيل الأجر، أو إرضاء لمن بيده الأمر، وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الإنساني، لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حله إلى اليوم^(١).

* ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ .

في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ مع إثبات نبوته، والرد على من أنكرها، أي وإن كفر بك من كفر يا محمد ممن كذبك وخالفك من أهل الكتاب وغيرهم، فالله تعالى يشهد أنك رسوله الذي أنزل عليك الكتاب، وهو (القرآن) الذي أنزله الله تعالى بعلمه، مما أراد الله أن يطلع العباد عليه، لمشيئته ﷻ وحكمته فيما يحقق مصالحهم، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، والدليل أنه أنزله بعلمه ما فيه من أمور لا يمكن أن تكون إلا عن علم الله، من ذكر للبينات والهدى والفرقان، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وغير ذلك من أوجه الإعجاز في القرآن التي تشهد على صدق نبوة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، وكذلك ما في القرآن من ذكر لصفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، إلا أن يُعلمه الله بها^(٢).

إن في هذا القرآن من العلوم الكونية، والتشريعية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والحقوق العامة والخاصة وغيرها، ما لم يمكن أن يكون إلا من عند رب العالمين، وكفى بذلك

(١) انظر: رسالة التوحيد، للأستاذ الشيخ محمد عبدو، ص ١١٧، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد

طنطاوي، ٣٩٤/٣، تفسير سورة النساء.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٨٩/١، بتصريف.

معجزة لمحمد ﷺ .

فشهادة الله بما أنزله إليه، إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت دعاوى البينات، إذ الحكيم لا يؤيد الكاذب بالمعجزة، وكذلك بما شهد الله ﷻ وقد جعل بعضهم شهادة الملائكة على صدقه ﷺ في دعواه بإتيانهم لإعانتة ﷺ في القتال ظاهرين، كما كان في غزوة بدر وغيرها (١).
وعندئذٍ يجيء التهديد الرهيب للمنكرين في موضعه، بعد شهادة الله تعالى وشهادة الملائكة بكذبهم وتعنتهم والتوائهم (٢).

الهدايا المستتبطة من المقطع:

أولاً: قضايا العقيدة:

الإيمان بالرسول الذين أرسلهم الله تعالى لتحرير البشرية من العبودية لغير الله تعالى ومحمد ﷺ آخر الرسل، أرسله الله ﷻ للناس كافة، وليس بدعاً من الرسل ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] (٣).
ثانياً: الجوانب التربوية:

السياق التربوي منصب على تأكيد صحة الوحي، وصدق القرآن، وقد ختم المقطع بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠] (٤).

ما ترشد إليه الآيات:

- دلت الآيات على أن الوحي جنس واحد، فمن آمن بالنبوات، أو آمن بنبي وجب عليه الإيمان بباقي الأنبياء.
- بيان قدر نبينا محمد ﷺ وشرفه حين قدمه في الذكر على بقية الأنبياء فقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٣] (٥).
- بيان مكانة الكتب المنزلة على الأنبياء الأربعة على غيرها وهي: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وقرآن محمد عليهم السلام، وموسى هو كليم الله ﷻ.
- الأنبياء آلاف كثيرة، والرسول مئات كما سبق، منهم من ذكر اسمه وقصته في القرآن وهم خمسة وعشرون نبياً، ومنهم من لم يذكر، وهذا يتطلب الإيمان بهم جملة ولا نفرق بين أحد منهم.

(١) انظر: روح المعاني، الألويسي، ١٩٦/٣.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٠٤.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢/٢٧١.

(٤) المرجع السابق، ٢/٢٧١.

(٥) انظر: التفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٣٧-٣٨.

المقطع الثاني

ضلال الكافرين وصددهم عن سبيل الله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٧-١٦٩].

أولاً: المناسبة:

أثبت الحق ﷺ في الآيات السابقة نبوة محمد ﷺ بشهادته تعالى له بما أنزل عليه، ثم أنذر في هذه الآيات من يكفر به، وقد ذكر فيها صفات اليهود الذين تقدم ذكرهم، وهي أنهم كفروا بمحمد ﷺ وبالقرآن وصدوا غيرهم عن السبيل (١).

ثانياً: التحليل اللغوي:

* **كفروا**: كفر النعمة، وبها يكفر كفراً وكفوراً وكفوراناً، جردها، ولم يقم شكرها، ويقال: كفر صاحب النعمة، أنكر إنعامه، ولم يقم شكره.

كفر الله وبالله، أنكر وجود الله تعالى فلم يؤمن به، والكفر: عدم الإيمان، أو عدم الشكر وهو مصدر كفر، والكافر: هو غير المؤمن، الذي ينكر وجود الله تعالى أو يشرك به غيره، أو لا يصدق رسول الله ﷺ أو لا يؤمن بما جاءوا به، وجمعه كافرون (٢).

* **ضلوا**: من الضلال، أصل الضلال (ضلل) أو (ضل)، "والضلال والضلالة ضد الهدى والرشاد" (٣).

ومن معاني الضلال لغة: الضياع والهلاك، فإذا ضل الشيء يعني ضاع، كما يستعمل الضلال في بطلان العمل، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٤]، (٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٠/٦.

(٢) مخطوطة الجمل، د. حسن عز الدين الجمل، ص ٦٢-٧٢ بتصرف.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٩/٢٦٠٣، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٩٢٢.

(٤) انظر: مختار الصحاح، أبي بكر الرازي، ص ١٦٠، ومقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/٣٥٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣/١٠٠.

وكما في قول الرسول ﷺ: (لولا أن الله لا يحب ضلالة العمل ما رزأنكم عقاباً) (١).

فضلالة العمل بطلانه وضياعه، ويستعمل الضلال للتعبير عن النسيان وغياب حفظ الشيء (٢)، كما في قوله تعالى: ﴿... وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، أي تغيب عن حفظها، أو يغيب حفظها عنها (٣).

الضلال اصطلاحاً:

"والضلالة هي فقدان ما يوصل إلى المطلوب، وقيل هي سلوك لا يوصل إلى المطلوب" (٤).

والضلال: "هو العدول عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية" (٥)، ويقال: "الضلال لكل عدول من المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً" (٦).

التفسير الإجمالي:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، إن الذين كفروا بالله تعالى وآياته، ورسله، بعد أن تأكدت رسالة الرسول ﷺ بشهادة الله تعالى وتأييده بالمعجزات، ولم يكتفوا بعدم اتباع الحق، بل سعوا في صد الناس عن اتباعه، إن هؤلاء قد خرجوا عن الحق، وضلوا عنه، وبعثوا بعداً عظيماً شاسعاً (٧).

إن كفر الكافر إنما يعود عليه، ويملك الاختيار بين الكفر والإيمان، لكن أن يصد الكافر غيره عن الإيمان، فهذا ضلال مبين، وهو يحاول أن يضل غيره، لذلك لا يحمل وزره فقط، ولكن يحمل أوزار من يضلهم، وكيف يكون الصد عن سبيل الله تعالى؟! بمحاولة أهل الضلال أن يمنعوا آيات الهدى، من أن تصل إلى آذان الناس، فيقول ما رواه الحق عنهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد، ح (٣٦١٢)، ٤٠٠/٣، قال عنه الأرنؤوط، حديث حسن بشواهد، (جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري، ١٠/١٨٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣/١٠٠.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٢٩/٢٦٠٢.

(٤) التعريفات للرجزاني، ص ١٤٣، وقريب من ذلك عرفه الشعراوي في تفسيره: أن تسلك سبيلاً لا يؤدي بك إلى غايتك، ١/٥٢١.

(٥) انظر: مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٢٩٧.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٤٧٦.

وَالْعَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلُبُونَ ﴿﴾ [فصلت: ٢٦]، ولو فهموا معنى هذه الآية، لما قالوا اصنعوا حجة تشوش على سماع القرآن، لأنهم علموا أن هذا القرآن عندما يصل إلى الأسماع فإنه يبلغ الهداية، فلو كان القرآن غير مؤثر لما قالوا ذلك^(١).

فهم صدوا عن دين الله - الإسلام - بإنكارهم نبوة محمد ﷺ، وبقولهم: ما نجد صفته في كتابنا، وإنما النبوة في ولد هارون، وداود عليهما السلام، وبقولهم: إن شرع موسى ﷺ لا ينسخ، فهؤلاء قد ضلوا ضلالاً بعيداً عن الحق بما فعلوا، وجاء بالمصدر التأكيدي ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ أي أنه الضلال بعينه، وهو فوق ذلك ضلال بعيد، عندما ننظر إلى كلمة (بعيد) نعرف أن الشيء البعيد هو الذي بينه وبين مصدره مسافة زمنية طويلة، كالذي يسير في صحراء قاحلة، ولا يجد ماء ولا طعاماً فيموت، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهَا ظَمَانٌ مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩] ^(٢).

فكل من ينطبق عليهم وصف الكفر والصد عن طريق الهدى، والحق، قد ضلوا ضلالاً بعيداً، ضلوا عن هدى الله تعالى وضلوا طريقهم في الحياة الدنيا، فضلوا فكراً، وتصوراً، واعتقاداً، وضلوا سلوكاً ومجتمعاً وأوضاعاً، ضلوا في الدنيا، وضلوا في الآخرة، ضلالاً لا يرجى معه هدى.

وبعد السياق وصفهم الحق تبارك وتعالى بالكفر، ليضم إليه الظلم، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ ، والكفر في ذاته ظلم، إنه ظلم للحق، وظلم للنفس، وظلم للناس، والقرآن يعبر عن الكفر والشرك بأنه الظلم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، بعد أن قرر في الآية السابقة على هذه أنهم الكافرون، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وهؤلاء لم يرتكبوا ظلم الكفر والشرك وحده، ولكن ارتكبوا معه ظلم الصد عن سبيل الله تعالى أيضاً، فأمعنوا في الكفر، أو أمعنوا في الظلم، ومن ثم يقرر الله بعدله جزاءهم الأخير^(٣)،

أعلن الله تعالى حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسله، الظالمين لأنفسهم بذلك، وبالصد عن سبيل الله تعالى وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه، وهو أنه لا يغفر لهم، ولا يهديهم طريقاً إلى الخير، ولا يوفقهم بعدئذٍ إلى صواب، وليس من شأنه أن يوصلهم إلا إلى الجزاء على أعمالهم وهو طريق جهنم، ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ استثناء منقطع، فهي طريق الكافرين الظالمين^(٤). [وذلك لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق، والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة]^(٥).

(١) تفسير الشعراوي، ٢٨٥٥/٥ بتصرف.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٦٢٢/١ بتصرف.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٠٥.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٤٠.

(٥) روح المعاني، الألوسي، ٣/١٩٧.

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، ثم بين مصيرهم في جهنم هو الخلود فيها، والبقاء فيها على حال واحدة لا تغيير فيها ولا فناء، وهو خلود أبدي، والله أعلم باستمراره بما يتناسب مع أعمالهم، وكان ذلك الجزاء سهلاً على الله تعالى دون غيره، لأنه القادر على كل شيء، الواحد القهار، يفعل بما تقتضيه الحكمة والعدل، وفي هذا تحقير لشأنهم^(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، تختل حياتهم، وتضرب في الدنيا والآخرة، ويعيشون عيشة الضنك، والهجم، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]^(٢).

إن هذه الأوصاف وهذه التقريرات، مع كونها عامة لكل من كفر وصد عن سبيل الله تعالى أول ما تنطبق على حال اليهود، وتصور موقفهم من هذا الدين وأهله، بل من الدين الحق كله، سواء منهم الذين عاصروا فجر الدعوة في المدينة، ومن سبقوهم منذ أيام موسى ﷺ ومن جاءوا بعدهم إلى يومنا هذا، إلا القلة النادرة من الذين فتحو قلوبهم للهدى، فهداهم الله تعالى^(٣).

* صفات الكافرين:

١- الاعراض عن دين الله تعالى بالرغم من إرسال الرسل، ونزول الآيات، واستخدام الترغيب والترهيب لهم فهم مستمرون في إعراضهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]^(٤).

٢- استخدام جميع الوسائل للصد عن سبيل الله ﷻ واعوجاج الطريق، ومنع الناس من الإيمان والدخول في دين الله جل وعلا ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٥]^(٥).

٣- نقض العهود والمواثيق، قال تعالى في بني إسرائيل ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

(١) انظر: التفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٠/٦.

(٢) انظر: تفسير التحرير والتوير، ابن عاشور، ١١٢/٩.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٠٥، وروح المعاني، الألويسي، ٣/١٩٧.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٦/٢٨.

(٥) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٨/٣٨٠.

٤- الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ﷻ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

٥- قَتَلَهُمْ فِي سَبِيلِ الْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

عقاب الكافرين:

١- عقاب الكافرين واقع عليهم بتصلبتهم في النار، وتبديلهم جلودهم عند نضجها (١)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

٢- لهم نار جهنم لا يخرجون منها بسبب تكبرهم عن آيات الله ﷻ وعن طاعته وعبادته، واقترافهم الذنوب والمعاصي (٢).

٣- خلودهم في نار جهنم، وعدم المغفرة لهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ١٠] (٣).

٤- إن الله ﷻ ختم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فهم لا يهتدون إلى الحق، ولا إلى الهدى، وسواء أنذروا أو لم ينذروا، لا ينتفعون ولا يتأثرون بالهداية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧] (٤).

٥- اسوداد وجوه الكافرين، وتنكيس رعوسهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

ما ترشد إليه الآيات:

- ١- شر الكفر ما كان مع الصد عن سبيل الله تعالى والظلم وهذا كفر اليهود، والعياذ بالله تعالى.
- ٢- سنة الله تعالى في أن العبد إذا أبعد في الظلال، وتوغل في الشر والفساد يتعذر عليه التوبة فيموت على ذلك، فيهلك (٥).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٩/٥.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٦٥/٨.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، ١٥/٣٥.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٢/١.

(٥) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ٥٠٢/٤-٥٠٣ بتصرف.

٣- اليهود وغيرهم ممن كفر بالإسلام بعيون عن الحق والصواب لأنهم كفروا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن، ومع ذلك منعوا الناس من الإسلام.

٤- عقاب الكافرين الظالمين الخلود في نار جهنم، وعدم المغفرة لهم، وإبعادهم عن طريق الهداية الربانية بظلمهم وبكفرهم وعنادهم، فهم ظلموا محمداً ﷺ بكتمان نعتهم، وظلموا أنفسهم إذ كفروا، وظلموا الناس إذ كتموهم ومنعوهم عن دين الله تعالى (الإسلام)، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ هو فيمن يموت على كفره ولم يتب.

٥- دعوة الإسلام هي دعوة الحق من الله تعالى فهي الدين الحق المشتملة على شهادة أن لا إله إلا الله، المؤيدة بالقرآن المعجز، الداعية إلى عبادة الله تعالى وحده، لا شريك له، والإعراض عما سواه، والعقل يدل على أن هذا هو الحق، مما يدل على أن محمداً ﷺ جاء بالحق من ربه (١).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٤١٠٤٢٠٤١.

المقطع الثالث

دعوة الرسول ﷺ للناس كافة

وهو ما يمكن أن نطلق عليه عالمية الدعوة، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠].

أولاً: المناسبة:

بعد أن أجاب الله ﷻ عن شبهة اليهود على كل الوجوه الكثيرة، وبَيَّن فساد طريقتهم ذكر خطاباً عاماً يعمهم، ويعم غيرهم في الدعوة إلى دين محمد ﷺ^(١)، ففي هذه الآية يُثبت الله ﷻ أن النبي ﷺ أرسل للناس كافة، بعد أن أثبت نبوته ﷺ بشهادته ﷺ له بما أنزل إليه فخطب الناس خطاباً يأمرهم فيه بالانصياع لدعوة محمد ﷺ والإيمان برسالته^(٢).

التفسير الإجمالي:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ نداء من الله ﷻ، حيث وصفهم بالإنسانية حتى يبعث المخاطبين على الامتثال لأمره، ويغرس في نفوسهم المعاني الإنسانية والدينية التي تحفزهم على العمل بما فيها من أحكام والدعوة إليها، ووجه النداء هنا إلى منكري الحق من المشركين الذين خالفوا في قضية الألوهية، وأهل الكتاب الذين خالفوا في قضية الرسالة، وطلب من الجميع الإيمان بالحق الذي جاء به الرسول ﷺ من الرب الذي خلقهم ومنحهم العقل، وجعله حجة عليهم وكلفهم بمقتضاه^(٣).

يخاطب الله تعالى في هذه الآية الكريمة الإنسان، أياً كان عربياً، أم غير عربي، أبيض أم أسود، بعيداً أم قريباً، بالإيمان بالنبي ﷺ فرسالته عامة شاملة^(٤).

وذكر الطبري في تفسيره: أن المخاطب في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ "مشركي العرب، وسائر أصناف الكفر"^(٥).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٧٠/١١.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤١/٦.

(٣) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٣٦، ٢٣٧ بتصرف.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٠/٥، والمحرم الوجيز، ابن عطية، ٦٣٨/٢.

(٥) تفسير الطبري، ٤١٢/٩.

وجاء في فتح البيان: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ خطاب عام، يدخل فيه جميع الكفار، من اليهود والنصارى، وعبدة الأصنام وغيرهم، وقيل هو خطاب لمشركي مكة، والعبارة بمفهوم اللفظ وهو عام^(١).

ونقول: جاء الإسلام رسالة إنسانية، عالمية، لكل الناس، وليس للعرب وحدهم، بل هم فيه سواء مع كل الناس عربهم وعجمهم، فدعوة النبي ﷺ صالحة لكل زمان ومكان، ولهذا تكفل الله ﷻ بحفظها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هنا أمر من الله ﷻ لنبيه ﷺ بإشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع، وذلك أنه لما رجا الأمة المُتَّبِعَةَ للنبي الأمي، التي كتب لهم رحمته، عَقَّبَ ذلك بدعاء الناس إلى الاتباع الذي معه تحصل تلك المنازل، وهذه الآية خاصة لمحمد ﷺ بين الرسل، فإن محمداً ﷺ بعث للناس كافة وإلى الجن، فكل نبي إنما بعث إلى فرقة دون العموم^(٢).

يا أيها الناس جميعاً قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالقرآن والحق والخير والهدى والفلاح، فأمنوا برسالته، يكن الإيمان خيراً لكم، لأنه يزيككم ويطهركم من الأدناس، والأرجاس، ويرشدكم لما فيه السعادة في الدنيا والآخرة والحق الذي أتى به محمد من ربه، هو القرآن المعجز، والدعوة إلى عبادة الله وحده والإعراض عن غيره^(٣).

أما إن كفرتم بالحق الذي جاء به محمد ﷺ فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم ولا تضروه شيئاً^(٤)، ولا يتضرر بكفرانكم، فإن الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصريفاً وعبيداً، وشأن العبيد الخضوع لحكم الله تعالى وأمره، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٨]^(٥).

فأنتم خلق ممن خلق في السموات والأرض، فأنتم في ملكه، وتحت تصرفه، فلا يضركم، بل تضرون أنفسكم باختيار ما تمليه عليكم شهواتكم، وشياطين الإنس والجن، على ما أنزله

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق بن الحسين القنوجي البخاري، ص ٣٠٦.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية، ٤٦٥/٢.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤١٧/١.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٧٦/٢.

(٥) انظر: التفسير الوسيط، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤١٧/١.

العليم الحكيم، والله ﷻ عليم بما يكون من إيمان وكفر، هو حكيم في تكليفكم بما أنزل على رسوله مع علمه بما يكون منكم (١).

تميز الأنبياء بصفات معينة، وصفات خاصة ميزتهم عن باقي البشر، وأهلنتهم لحمل الأمانة العظيمة ألا وهي تبليغ شرع الله ﷻ إلى خلقه، ومن هذه الصفات صفة العصمة، وصفة الصدق والأمانة، وصفة التبليغ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولقد أجمعت الأمة الإسلامية واتفقت على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله ﷻ فلم يقل أحد المسلمين أيًا كان مذهبه أن الله ﷻ أرسل من يكذب عليه (٢)، ولم يرد أن أحد الأنبياء كتم شيئاً مما أوحاه الله ﷻ إليه، ولو كتم أحدهم أو غير فإن العقاب الإلهي يحل به، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، فالأنبياء معصومون باتفاق المسلمين في التبليغ (٣)، ولا يخطئون فيه، ولا يزيدون ولا ينقصون ولا يكتُمون شيئاً منه (٤)، لذلك كان الإيمان بهم واجب، والكفر بواحد منهم كفر بواحد (٥)، يقول تعالى: ﴿أَمَرَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وبذلك يتضح أن الله أمر نبيه ﷺ بتبليغ ما أرسله الله ﷻ به إلى الناس، ويدخل في ذلك العقائد، والأحكام الشرعية، والأخلاق، فإنك إن كتمت شيئاً مما أنزل عليك ولم تبلغه إلى الناس، فما بلغت الرسالة على وجه التمام، وما أطعت أمره، والله ﷻ يحميك، وينصرك، ويحفظك ويؤيدك على أعدائك، فبلغ وأنت مطمئن، ولا تخف ولا تجزع، وإنما عليك البلاغ فقط، وهذه مهمتك، والله ﷻ يهدي من يشاء، ومن كفر فإن الله تعالى لا يوفقه إلى الخير، ولا ينير له الطريق بسبب كفره وعناده (٦).

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٢/٢٥٩.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ١/٤٤٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠/١٧٠، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ١/٤٧٠.

(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٢/١٤٤.

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ١٠/٤٣٩.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/١٥٤، وتفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ١/٢٣٩.

ومن مظاهر عصمة الله ﷺ لنبيه ﷺ:

ذكر الإمام ابن كثير بعضاً من مظاهر عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ وهي:

١- حفظه من أهل مكة، وكفارها ومعانديها، مع شدة العداوة والكراهة، ومحاربتة ليلاً ونهاراً، بما يهيبه الله ﷻ من الأسباب بحكمته وقدرته، فعصمه في بداية الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان ذا وجهة ومنزلة في قريش، وخلق الله ﷻ في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان مسلماً لنال النبي ﷺ أذى منهم، ولكنه لما كان كافراً مثلهم احتراموه، فلما مات أبو طالب أذوه المشركون أذى يسيراً.

٢- قيض الله ﷻ له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى حمايته في دارهم، وهي المدينة المنورة، فلما هاجر إليها حموه من كل أجناس البشر، فكلما هم أحد من المشركين أو أهل الكتاب بسوء أو شر، رد الله تعالى كيده عليه، ومن ذلك: لما كاده اليهود بالسحر حماه الله تعالى منهم، وأنزل الله ﷻ عليه سورتي الفلق والناس، دواء لذلك السحر، ولما قدم له اليهود، الشاة المسمومة بخبير، أخبره الله ﷻ بذلك وحماه منه. (١):

وإن حفظ الله لنبيه ﷺ جاء ليتم ما فرط فيه الأقسام الأخرى بعد أنبيائهم، وخاصة أن الرسول ﷺ جاء ليبلغ الناس كافة، ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ ، فانقطعت هذه الحجة بالرسالة العامة للناس والزمان، وكانت هذه الرسالة الأخيرة، فإنكار أن هناك رسالة بعد أنبياء بني إسرائيل غير عيسى، أو بعد موسى عليهما السلام لا يتفق مع عدل الله تعالى في أن يأخذ الناس بالعقاب بعد البلاغ (٢).

ولم يسبق أن كانت هناك رسالة عامة، ولم يكن بد من هذه الرسالة العامة، فكانت بعدل الله تعالى ورحمته بالعباد، وكان حقاً قول الله ﷻ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، رحمة في الدنيا، ورحمة في الآخرة، كما يتجلى من هذا البيان.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/١٥٤-١٥٥، بتصرف.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٠٦.

المقطع الرابع

الغلو في الدين والقول بألوهية عيسى بن مريم

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧١-١٧٢].

أولاً: المناسبة:

لما أجاب الله تعالى عن شبهات اليهود وأنصف القرآن عيسى بن مريم، وأمه الطاهرة من افتراءات اليهود، وأنصف العقيدة الصحيحة في حكاية صلب المسيح ﷺ وأنصف الحق نفسه من يهود وأفاعيل يهود، وتعنتهم، وألزمهم ذلك بمحاجة النصارى، ويتجه السياق إلى إنصاف الحق وإنصاف عيسى بن مريم من غلو النصارى في شأن المسيح ﷺ من الأساطير الوثنية التي تسربت إلى النصرانية السمحة من شتى الأقسام، وشتى الملل التي احتكت بها النصرانية^(١).

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢].

ثانياً: التحليل اللغوي:

* لا تغلو: نقول غلا بالسهم غُلُوا وغلُوا، رفع يده لأقصى الغاية، ويأت الغلو بمعنى: مجاوزة الحد، يقال في السعر: غلا غلاءً فهو غال ضد (رخص)، ومن مجاوزة الحد ورد منه الفعل تغلو ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(٢)، والغلي والغليان يقال في القدر إذا طفحت، ومنه استعير، قوله تعالى: ﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٤-٤٦]^(٣).

* وكلمته: [كلمة تكلم بها الله ﷻ، فكان بها عيسى، ولم تكن تلك الكلمة، وإنما كان بها هذا من باب إضافة التشريف والتكريم]^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٤/٦، وانظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٠٧.

(٢) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٢١٣/٣.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٦/٦١٣.

(٤) تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، ١٧١/٤.

* روح: جاءت بمعانٍ منها:

١- رُوحٌ: ﴿وَلَا تَيْسَّرُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْسَّرُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ، وروح الله: رحمته.

٢- الرُّوح: بضم الراء، ما به من حياة الأجسام، وقد يضاف إلى الله للملك والتشريف، والرُّوح يطلق على كل أمر خفي لطيف كالوحي وأمر النبوة، وهو ما به حياة النفوس وهواها، والرُّوح: ورُوح القدس يطلق على جبريل عليه السلام، رُوح: هو جبريل عليه السلام، ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] ، وسمي عيسى عليه السلام روحاً من الله تعالى لأنه نشأ بحياة ألقاها إلى مريم عليها السلام دون أن يمسهما بشر، ﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَنَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]^(١).

* يستنكف: وأصله: نَكَفْتُ الشَّيْءَ: نَحَيْتُهُ، ومن النَّكْفِ، وهو تَنْحِيَةُ الدَّمْعِ عن الخَدِّ بِالْإِصْبَعِ، وَبَحْرٌ لَا يُنْكَفُ. أي: لا يُنْزَحُ، وَالْإِنْتِكَافُ: الخُرُوجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ.^(٢)، ومنه نكف الدمع بالإصبع، إذا منعته من الجريان على الخد^(٣).

رابعاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١] .

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾

تحتل كلمة ﴿ابْنُ﴾ وجهين:

الأول: أنها بدل مرفوع.

الثاني: أنها خبر المبتدأ (المسيح)^(٤).

(١) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٢٢٦/٢-٢٢٧.

(٢) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد، ابن الهائم، ١٤٥/١.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٨٢٤/١، مادة نكف، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج،

١٣٦/٢، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٢٣٧/٨.

(٤) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٢/١، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ١٣٥/٢، والدر المصون في علم

الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٦٥/٤.

معاني الإعراب:

المعنى الأول: أن عيسى عليه السلام هو ابن مريم عليها السلام وأتى بهذا البديل لتقييد بطلان ما زعموه فيه من نبوته عليه السلام لله تعالى فهو ابن مريم ومن غيرها دون الخلق، ولا نسب له سوى ذلك ^(١).

المعنى الثاني: إنما المسيح ابن مريم، فكيف يكون عيسى عليه السلام إلهاً وهو محدث ليس أزلياً، وحق الإله أن يكون أزلياً، لا محدثاً بالله تعالى هو الأزلي الذي لم يزل ولم ينته ^(٢).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿انتهوا خيراً﴾.

كلمة ﴿خَيْرًا﴾ منصوبة على ثلاثة أقوال ^(٣):

الأول: مفعول به لفعل محذوف واجب الإضمار.

الثاني: نعت لمصدر محذوف.

الثالث: خبر كان المضمرة.

التقدير الأول: وفيه أنه لما بعثهم الله تعالى على الإيمان والانتها عن الكفر، وعقيدة التثليث، علم أنه يحملهم على أمر فيه خير لهم فقال: ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ أي: اقصدوا أو اتتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث ^(٤).

أي: إنه لما نهاهم عن الكفر والتثليث فهو يريد إخراجهم من الأمر الذي هم عليه، وإدخالهم فيما هو خير منه.

التقدير الثاني: وتقدير الكلام: انتهوا انتهاء خيراً لكم.

التقدير الثالث: وتقدير الكلام: انتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم ^(٥).

ورد هذا القول بأن (يكن) المقدر، هي جواب شرط محذوف، فيكون المحذوف هو الشرط وجوابه، لأن التقدير: إن تنتهوا يكن الانتهاء خيراً لكم، فيكون قد حذف الشرط وهو (إن تنتهوا)، وجوابه يكن الانتهاء، وأبقى معمول الجواب وهو ﴿خَيْرًا﴾ ^(٦).

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٤١٧/٩، وروح المعاني، الألويسي، ١٩٩/٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢١/٦.

(٣) انظر: إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٣/١، وكتاب مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ٢١٣/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٦٤/٤.

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٥٩٣/١.

(٥) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٧٢٥/١.

(٦) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٦٥/٤.

في حين اعتبر الإمام الشوكاني، أن أقوى تلك الأقوال هو القول الثالث^(١)، ولكن الإمام الطاهر ابن عاشور، لم يعتد بأي قول من تلك الأقوال، ورأى أن (خيراً) منصوبة على الحال، فقال: "وعندي: أنه منصوب على الحال من المصدر الذي تضمنه الفعل وحده، أو مع حرف النهي، والتقدير: فأمنوا حال كون الإيمان خيراً لكم، وحسبك حال كون الاكتفاء خيراً، ولا تفعل كذا حال كون الانتهاء خيراً، وعود الحال إلى مصدر الفعل في مثله كعود الضمير إليه في قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، لاسيما وقد جرت هذا مجرى الأمثال، وشأن الأمثال قوة الإيجاز^(٢).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ .

تحتل كلمة ﴿وَكِيلًا﴾ بالنصب على قولين^(٣):

الأول: النصب على البيان .

الثاني: النصب على الحال.

معاني الإعراب:

المعنى الأول: كفاكم وحسبكم الله ﷻ، ربكم ولياً لكم ويلي أموركم، وأحوالكم بأن يحرسكم من أعدائكم، أن يستفروكم في دينكم، أو يصدوكم عنه، وحسبكم الله ناصرًا لكم على أعدائكم، وعلى من بغى عليكم^(٤).

المعنى الثاني: كفى الله حال كونه ولياً لكم، وحال كونه ناصرًا لكم.

معنى الإعراب:

أنه كفى الله ﷻ أن يقوم بتدبير أمور مخلوقاته، وأحوالها، وبحفظها، فلا حاجة له إلى ولد يعينه على ذلك، لأنه هو الغني المالك لكل شيء^(٥).

خامساً: البلاغة:

* قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أطلق العام، وأريد به الخاص، وهم النصارى، بدليل قوله بعده ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾ وهو قول النصارى.

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٦٢٢/١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٠/٦.

(٣) إعراب القرآن، النحاس، ٢٥٣/١، مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ١٩١/١.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٤٢٤/٩.

(٥) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني، ٢٩٦/١.

* ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ فيه قصر موصوف على صفة.
 * ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: جاءت لابتناء الغاية، كما هنا قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجن: ١٣] (١).

غلو النصارى في عيسى عليه السلام :

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وصف (أهل الكتاب) الذي نادى به السورة مرتين، فهو يدل على أن للمنادين بالوحي السماوي والهداية الإلهية صلة وثيقة عن طريق الكتاب الذي أوتوه وصاروا أهلاً له، وفيه تقرير الحق في الألوهية، وما لله من أوصاف الجلال والجمال، التي تأبى الحلول والاتحاد، كما تأبى النبوة التي زعموها لبعض رسله الكرام، وفيه الآيات الواضحات على أن رسولاً يأتي بعد التوراة والإنجيل مصداقاً لما فيها من أصول الدين، وأركان الهداية، ويكون إعراضهم عن رسالة هذا الرسول الذي جاء مصداقاً لما معهم، وغلوهم في رسولهم، وقد دعاهم إلى توحيد الله ﷻ وتنزيهه عن الوالد والولد، ويكون هذا غير ملائم لوصفهم بأنهم أهل كتاب، فهو يسجل عليهم به عدم أهليتهم لهذا الانتساب.

إن القول بالغلو ظاهرة خطيرة موجود منذ القدم في الأمم السابقة مع أنبيائهم، ويعد الغلو من أكبر أسباب الانحراف عن الصراط المستقيم.

وقد كانت النصرانية في عهد المسيح عليه السلام صحيحة وسالمة من جميع الشوائب والزيادات، ثم بعد زهاب ذلك العهد بدأ الغلو في عيسى عليه السلام وتحريف الإنجيل، وكذلك اليهود وجد عندهم الغلو، وبقي هذا الغلو متفشياً حتى مع الرسول ﷺ عند بعض الفرق الضالة (٢).

وفي هذه الآية ينهى الله ﷻ أهل الكتاب من الغلو في دينهم، وفي أنبيائهم، وتجاوزهم الحدود، وعدم القول على الله ﷻ إلا الحق الثابت، وأن عيسى هو ابن مريم البتول الطاهرة القديسة وأنه عبد الله ورسوله، مرسل إلى بني إسرائيل ليأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، والمعاصي، ووجوده كان بكلمة من الله ﷻ التكوينية وهي (كن) لا بمادة أخرى كبقية الناس، وقد دعاهم الله ﷻ

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٣/٦.

(٢) انظر: محبة الرسول بين الإتيان والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، ١/١٤٧.

إلى عبادته، والإيمان برسله، وعدم الإشراف به، وعدم القول بالتثليث، وأن الله تعالى هو الواحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو مالك السموات والأرض وما فيهما^(١).

إن النصارى تجاوزوا الحدود في عيسى عليه السلام وأفرطوا في وصفه، وجعلوه في مرتبة عالية جداً فوق المنزلة التي أعطاها الله ﷻ لعيسى عليه السلام وذلك من خلال زعمهم أنه ابن الله تعالى وقولهم بالتثليث، بأن الآلهة ثلاثة الآب، والابن، وروح القدس، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه ورفعته إلى مقام الألوهية، كما غالت النصارى في مدح عيسى عليه السلام كما جاء عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تُظْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^(٢).

وقد رد الله ﷻ غلو النصارى، وزعمهم الباطل في عيسى عليه السلام وأنه هو عبد الله ورسوله، وإن الله ﷻ إله واحد ليس له شريك، وتنزهه وتقدس أن يكون له ولد، وله كل ما في السموات والأرض، والمسيح من جملتها^(٣).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » قَالَ الْوَلِيدُ: وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ أَيَّهَا شَاءَ"^(٤).

* تأليه عيسى عليه السلام:

إن المسيحية في بدايتها كانت ديانة توحيد شأنها في ذلك شأن كل الديانات السماوية التي نزلت لترسيخ فكرة وحدانية الله ﷻ والتوجه إليه بكافة أنواع العبادة، ثم طرأت عليها العقائد الفاسدة، مثل التثليث والتجسد والفداء، ومما يؤكد أن هذه العقائد طارئة ودخيلة على المسيحية، أن المسيح عليه السلام لم يتطرق إلى الحديث عن هذه العقائد، ولم ترد في حديثه مع تلاميذه، ومما يزيد هذا الأمر تأكيداً أن محققى النصرانية أنفسهم يعترفون أنه إنجيل مزور غير صحيح^(٥).

(١) انظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ٤١٨/١-٤١٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله واذكر في الكتاب مريم، ح (٣٤٤٥)، ١٦٧/٤.

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٧٢/٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ » ، ح (٣٤٣٥)،

١٦٥/٤.

(٥) انظر: الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي، ص ٩٧-٩٩.

إذا ما هو أصل هذه العقيدة الباطلة، وكيف وصلت إلى المسيحية؟

يشير علماء الأديان إلى أن بولس اليهودي الذي لم ير المسيح، ولم يسمع منه، هو أول من وضع بذور فكرة ألوهية المسيح ﷺ حيث كان رجلاً يضطهد المسيحيين، ولكنه اعتنق المسيحية فجأة، وأصبح اسمه بولس، وأصبح من أنشط دعاة المسيحية، ولكن هذا اليهودي أدخل في المسيحية الكثير من الأفكار الوثنية، التي كانت سائدة آنذاك، وغرس في الناس فكرة أن عيسى ﷺ هو ابن الله، نزل ليقتل ويصلب فداءً للبشرية، وتكفيراً عن خطيئتها الموروثة عن أبيها آدم ﷺ^(١).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٠٠٠ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٦].

ويتضح من الآيات الكريمة إبطال هذه العبادة بأكثر من أمر مثل:

- ١- أن المسيح ﷺ الذي يشركونه في العبادة مع الله، لا يستطيع دفع الموت لا عن نفسه ولا عن أمه إذا أراد الله تعالى ذلك، فضلاً عن أن يدفعه عن غيره فكيف تولهونه؟^(٢).
- ٢- عيسى ﷺ يعبد الله ﷻ فكيف تعبدون عيسى ﷺ.
- ٣- بيان بشرية عيسى وأمه عليهما السلام من خلال وصفهما بأكل الطعام، وهذه الصفة يستحيل أن تكون للخالق، الرب، وإنما للمخلوق.
- ٤- عيسى ﷺ لا يملك لهم دفع الضر عنهم إن أحله اللهم بهم، ولا يجلب لهم النفع إن لم يقضه الله ﷻ لهم، فكيف يكون رباً وإلهاً، من كانت هذه صفاته؟ بل الرب المعبود الذي يملك كل شيء والقادر على فعل أي شيء، لذلك هو الذي يستحق العبادة دون غيره^(٣).

سادساً: التفسير الإجمالي:

وبعد أن عالجت السورة في آيات سابقة وسائل الدفاع عن الوجهة المادية، خلصت إلى نوع آخر من العلاج من ناحية الحرب الفكرية، التي تُعلن على المسلمين ابتغاء زلزلة الإيمان في

(١) انظر: المسيحية، أحمد شلبي، ص ١٤٦، والميزان في مقارنة الأديان، محمد الطهطاوي، ص ٩٨.

(٢) انظر: الميزان في مقارنة الأديان، محمد الطهطاوي، ص ١٠٥، والمسيحية، أحمد شلبي، ص ١٤٩.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٤٨٤/١٠.

قلوبهم، وإضعاف معتقداتهم، وصرفهم عن مبادئهم القويمة، وفي هذه الجانب تعرض السورة للكثير من فتن أهل الكتاب الدينية، وأساليبهم في صرف المؤمنين عن حق الله ﷻ وهداياته، تعرضت لعنت اليهود مع الرسول ﷺ، وطلبهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، ثم تخفف ذلك على وقع قلب الرسول ﷺ بأن هذا شأنهم الذي ارتكبه أسلافهم مع نبيهم موسى ﷺ، وتعرض لموقفهم من مريم والمسيح عليهما السلام، وتعلن صحيفة أسلافهم الماضين في نقض المواثيق، والكفر بآيات الله ﷻ وأكلهم الربا، وأموال الناس بالباطل.

ثم تعرض لغلو النصارى في شأن المسيح وإساءتهم في حق الألوهية، حيث يقول ﷻ:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(١).

ينهى الله ﷻ عن الغلو والإطراء، وقد أفرط اليهود في الغلو في حط المسيح ﷺ عن منزلته، بعدما رأوا معجزاته، حتى قالوا أنه ابن زنا^(٢)، وكذلك غلو النصارى، حيث أنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياها، وهي العبودية والرسالة، حيث نقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله تعالى يعبدونه كما يعبدون الله تعالى بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، فمن زعموا أنهم على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، ضلالاً أو رشاداً، وهذه هي العبودية لغير الله ﷻ قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ^(٣).

ولا بد لنا أن نلفت النظر هنا في موضع الغلو والإطراء للبشر، حتى يصلوا إلى درجة العصمة، فيحلوا ويحرموا للناس ما لم يأذن به الله، فيذلونهم، ويستعبدونهم، وهم يحسبون أنهم يتقربون بها إلى الله تعالى بهذه الطاعة للمعصومين، وهذا متحقق في البابا والأحبار والرهبان، كما وضحت ذلك آية سورة التوبة، الذي ذكرت قبل قليل، ويدخل في ذلك ما تفعله بعض الفرق الإسلامية عندما تغلو في مرجعيتها الدينية، وتوصلها إلى حد العصمة لتكون معبودة من دون الله تعالى ويدخل في ذلك بعض الشيوخ الضالين المضلين، أو المغضوب عليهم، حين يدعون الناس بأسلوب مباشر أو غير مباشر، إلى تقديسهم، وإطرائهم، وطاعتهم طاعة عمياء، كالميت بين يدي الغاسل^(٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، محمود شلتوت، ص ٢٥٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي، ٢١/٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٧٧/٢.

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ص ٢٧٤ بتصرف.

وهنا درس تربوي مهم في عدم الانسياق في تيار العبودية لغير الله ﷻ عن طريق الغلو والإطراء، ولهذا نهاهم الله تعالى عن الغلو في دينهم، ثم نهاهم أن يفتروا على الله تعالى وأن يجعلوا له صاحبة أو ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتتنزه وتقدس، وتوحد في سوؤده وكبريائه، وعظمته، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

إن المسيح ﷺ عبد من عباد الله تعالى، وخلق من خلقه، قال له كن فكان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، فهو ﷺ رسول من رسل الله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام فنفخ فيها من روحه بإذن الله تعالى فكان عيسى ﷺ بأمره ﷻ لذلك قيل لعيسى ﷺ كلمة الله وروح منه (١).

وقد نفخ الله تعالى في طينة آدم من قبل روحه فكان "إنساناً"، كما يقول تعالى: ﴿ فَاذًا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]، وكذلك في قصة عيسى ﷺ ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحریم: ١٢]، فالأمر له سابقة، والروح والنفخة فيه من روح الله تعالى إن آدم إله، ولا أقنوم من أقانيم الإله، كما قالوا عن عيسى ﷺ مع تشابه الحال، من حيث قضية الروح والنفخة، ومن حيث الخلقة كذلك.

بل إن آدم خلق من غير أب وأم، وعيسى ﷺ خلق مع وجود أم، وكذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١] (٢).

وقال النبي ﷺ: " مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ " (٣).

قال الشيخ أبو زهرة رحمة الله عليه: " وقوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أي خلقه بكلمة منه وهي كن فيكون، كما خلق آدم، وكان عيسى بهذا كلمة الله، لأنه خلقه بها، فقد خلق من غير بذر يبذر في رحم أمه، فما كان تكوينه نماء لبذر وجد ولا الأسباب التي تجري بين الناس، بل كان السبب هو إرادة الله تعالى وحده وكلمته "كن" وبذلك سمي كلمة الله، وسمى الله تعالى عيسى ﷺ روحاً باعتباره نشأ من الروح مباشرة، ولأنه غلبت عليه الروحانية، وبهذا يزول الوهم الذي

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٧٨/٢.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦١١/٦.

(٣) مسند أحمد، باب حديث عبادة بن الصامت، ح (٢٢٦٧٤)، ٣٤٩/٣٧، صحيح على شرط الشيخين.

سيطر على عقول من غالوا في شأن عيسى عليه السلام فخلوه ما ليس له، وما ليس من شأنه، إذ جعلوه إلهاً، أو ابن إله " (١).

وبعد أن قرر تعالى حقيقة عيسى عليه السلام نهاهم أن يجعلوه وأمه أو ما يسمونه الروح القدس مع الله تعالى شريكين، فنهاهم عن التثليث بعد أن أمرهم بالإيمان بالله تعالى ورسله عليهم السلام ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ ، وإذا كان الخلق الحقيقي لله تعالى لعيسى عليه السلام وغيره، فأمنوا بالله تعالى وحده الواحد الأحد، لا ولد له ولا صاحبة، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وآمنوا إيماناً لا تقاً بكل الرسل دون تفرقة وأنهم عبيد الله تعالى لهم مهام فوضهم الله تعالى بها، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة: الأب والابن والروح القدس، ولا تجعلوا عيسى وأمه عليهما السلام مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ففي هذا ترك للتوحيد الخالص الذي جاءت به المسيحية في أصلها الصحيح، وهو المبدأ الذي دعا إليه عيسى عليه السلام ومن قبله إبراهيم وسائر الأنبياء، ولا يعقل الجمع بين التثليث والتوحيد، فهو تناقض ترفضه براءة العقول، لذا ندد الله تعالى بالقاتلين بالتثليث (٢).

وهذه الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى ورسله عليهم السلام ومن بينهم عيسى عليه السلام بوصفه رسولاً، ومحمد صلى الله عليه وسلم بوصفه خاتم النبيين، والانتهاه من تلك الدعاوى والأساطير تجيء في وقتها المناسب بعد هذا البيان الكاشف (٣).

ثم نزه جل وعلا ثناؤه نفسه وعظمها ورفعها عما قال فيه أعداؤه الكفرة به، فقال ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾، فإله صلى الله عليه وسلم له ما في السموات والأرض، بما فيهم عيسى عليه السلام وغيره، ملكه وخلقه، وجميع ما فيها عبيده، وهم تحت تدبيره وتصريفه، وهو وكيل على كل شيء، فكيف يكون له صاحبة وولد، وهو الحافظ والمدبر للمجتمع، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] (٤)، وفي قوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ إشارة إلى دليل آخر، لأن الوكيل بمعنى الحافظ، فإذا استقل صلى الله عليه وسلم في الحفظ لم يحتاج إلى الولد، فإن الولد يعين أباه في حياته، ويقوم مقامه بعد وفاته، والله صلى الله عليه وسلم منزّه عن كل هذا، فلا يتصور له ولد عقلاً، ويكون افتراؤه حمقاً وجهلاً، ثم يأتي الاستئناف المقرر لما سبق من التنزيه، وهنا برأ الله صلى الله عليه وسلم جهة المسيح صلى الله عليه وسلم من أقوالهم، وخَلَصَه للذي يليق به، فقال: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي وهؤلاء الذين هم

(١) مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٩، تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد أبو زهرة.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٥/٦.

(٣) انظر: ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦١١.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠٠/٢.

في أعلى درجات المخلوقين لا يستتفون عن ذلك، فكيف بسواهم (١).

لن يستكبر ولن يحتشم المسيح ﷺ أن يكون عبداً لله تعالى ولا الملائكة المقربون يستكبرون عن العبودية لله تعالى بل هم فخرهم وشرفهم، وهذا ينفي عن الملائكة صفة الألوهية، كما افتراها بعض أهل الجهل، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٨]، ثم بين الله ﷻ أن من يستكبر عن عبادة الله تعالى والتحرر عن العبودية لسواه، فإن الله تعالى سيجمعهم إليه يوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، الذي لا يجور ولا يحيف، وحكمه وجزاؤه ضمن قاعدة هي: أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيعطيه من الأجر والثواب على قدر أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وسعة رحمته وامتتانه (٢).

الهدايا المستنبطة من المقطع:

أولاً: قضايا العقيدة:

١- التغالي في الأمور ممنوع شرعاً، فقد تغالى اليهود في عيسى ﷺ حتى قذفوا مريم عليها السلام وتغالى النصارى فيه حتى جعلوه رباً، وأول عبارة في الإنجيل هي: "هذا كتاب إلهنا وربنا يسوع المسيح" فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذا ورد في صحيح البخاري عنه ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، وقولوا عبد الله ورسوله).

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ فيه إشارة إلى ثلاثة أحكام: الأول: قوله ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ دل على أن من كان منسوباً بوالدته، كيف يكون إلهاً؟ وحق الإله أن يكون قديماً لا محدثاً.

الثاني: لم يذكر الله ﷻ امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران، فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعاً لحكمة: هي ترسيخ صفة العبودية لها، ومجارة عادة العرب في ذكر الإماء بأسمائهن، أما الحرائر فكانوا يصونون أسماءهن عن الذكر والتصريح بها، لئلا تبتذل أسماؤهن.

الثالث: اعتقاد أن عيسى ﷺ لا أب له واجب، فإذا تكرر اسمه منسوباً للأم، استشعرت القلوب نفي الأب عنه، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود وقذفهم لها بالزنا (٣).

(١) انظر: تفسير ابن عطية، ١٤٠/٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٨٠/٢.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٩/٦.

٣- كان لعيسى ﷺ أربعة أسماء: المسيح، وعيسى، وكلمة، وروح، والمراد بالكلمة في أنه وجد بكلمة (كن) التكوينية، فكان بشراً من غير أب، والمراد بقوله (روح منه) أنه وجد بنفخة جبريل ﷺ ويسمى النفخ في كلام العرب (روحاً) فإن الروح والريح متقاربان، والنفخ والريح يخرج من الروح، والمراد من قوله (منه) التشريف والتفضيل، لا أنه جزء أو بعض من الله، فكل الخلائق من روح الله تعالى كما يقال: هذه نعمة من الله، والمراد: كون تلك النعمة كاملة شريفة، ويقال: هذا روح من الله، أي من خلقه، وقد وقع النصارى في الخطأ والضلال حينما قالوا: عيسى جزء من الله تعالى لأنه روح من الله تعالى.

٤- الإيمان بأن الله تعالى إله واحد، خالق المسيح ومرسله، وبأن الرسل ومنهم عيسى ﷺ عبيد الله، هو الواجب الذي لا محيد عنه، وهو الحق الذي تقبله العقول الرشيدة، فلا يصح جعل عيسى إلهاً^(١).

٥- يحرم القول بتعدد الآلهة، أو بأن الآلهة ثلاثة، قال ابن عباس: يريد بالتثليث: الله تعالى وصاحبته، وابنه، والنصارى مجمعون على التثليث ويقولون: إن الله جوهر واحد، وله ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلهاً، ويعنون بالأقانيم، الوجود والحياة والعلم، والسائد أنهم يعبرون عن الأقانيم بالآب والابن وروح القدس، فيعون بالآب: الوجود، وبالروح: الحياة، وبالابن: المسيح ﷺ ومحصل كلامهم كما تقدم يؤول إلى القول بأن عيسى ﷺ إله، بسبب ما كان يظهر على يديه من المعجزات، وخوارق العادات، وذلك خارج عن مقدور البشر، فيكون المقتر علىها متصفاً بالألوهية، وليس أدل على إسقاط صفة الألوهية عنه: أنه لو كان إلهاً لخلص نفسه من أعدائه، ودفع شرهم، ولم يمكنهم من صلبه، كما يزعمون.

٦- الانتهاء عن القول بالتثليث هو الخير المحض، وهو الصواب، لأن الله تعالى إله واحد، فزده عن أن يكون له ولد، بل له ما في السموات وما في الأرض، والملكية تنافي النبوة، فلا شريك له، وعيسى بن مريم، من جملة ما في السموات وما في الأرض وما فيها مخلوق، فكيف يكون عيسى ﷺ إلهاً وهو مخلوق.

٧- لن يستكف المسيح ولن يحتشم من أن يكون عبداً لله تعالى وكذلك الملائكة المقربون من رحمة الله تعالى ورضاه، لن يترفعوا عن عبوديتهم لله تعالى، ومن يأنف عن عبادة الله تعالى ويستكبر فلا يلتزم بفعل العبادة أو الطاعة، فإن الله تعالى سيجمع الخلائق إلى المحشر، ويجازي كلاً بما يستحق، فالمؤمنون العاملون الصالحات لهم ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، ويزيدهم الله ﷻ من فضله، ورحمته وإحسانه، والمستكفون، المتكبرون يعذبون عذاباً

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٩/٦.

مؤلماً، دون أن يجدوا لهم ولياً يلي أمورهم، أو نصيراً ينصرهم^(١).
٨- استدل بعضهم بقوله ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ على تفضيل الملائكة على البشر، وأنهم أعظم من المسيح خلقاً وأفعالاً، ورد عليهم بأن الآية في معرض تفضيل الملائكة، في عظم الخلق والقدرة على الأعمال العظيمة، فهم أقدر على الامتناع من عبادة الله تعالى من المسيح عليه السلام ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع أن يكونوا أفضل^(٢).

ثانياً: الجوانب التربوية:

١- عرض حال النصارى، ونهيههم عن الغلو الذي أوقعهم في التثليث والشرك، والترغيب في الإيمان، والعمل الصالح مع الترهيب، لمن استكبر واستتكف عن الإيمان والطاعة، كل ذلك من أسباب تربوية تبين حقيقة التوحيد وتدعو أهل الكتاب إلى الحق، وتقر في قلوب المؤمنين الثبات عليه^(٣).

٢- إن الغلو يبعث على المبالغة، وينأى بصاحبه عن الجادة من أجل ذلك، يقول الله تعالى لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]، والحق أن التثقيب في الكون، والبحث الشاق في السموات والأرض لا يسفر إلا عن إله واحد أين الآخر؟ أين ما خلق ورزق؟ من الذي شارك الله تعالى في خلق المجرة والذرة؟ من الذي شاركه في خلق النطفة والبويضة؟ من الذي يساعده في تدبير الأمور؟ إن العالم الكبير لا تديره شركة من أي نوع! إنما الله تعالى إله واحد! الخضوع له حق، والامتناع له حق، والزلفى إليه واجبة وعبادته فريضة على الكل، ولذلك قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٩/٦-٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٠/٦.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف مصطفى مسلم، ٢٧٧/٢.

(٤) انظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، ص ٦٩.

المقطع الخامس

عقوبة المستكبرين في الأرض، وبيان جزاء المؤمنين

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧٣].
أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله ﷻ العقيدة الصحيحة، في حقيقة عيسى ﷺ ومولده، قسم الناس إلى فريقين يوم القيامة، حيث سيجمعهم، ويفصل بينهم بحكمه بالعدل، الذي لا يجور فيه ولا يحيف، فريق سيجزيه الجزاء الأوفى، وفريق يعذبهم العذاب الأليم (١).

ثانياً: التحليل اللغوي:

فيوفِّيهِمْ: يقال: وَفَّى بعهد، وأوفى فهو موف، وَفَّى، يَفِي، وفاءً (٢).

وَفَّى الشيء يَفِي وفياً: تم، ولم يذهب منه شيء، ويقال: وَفَى بالعهد، ونحوه وفاءً: نفذه وقام به، والوصف واف ووافية، واسم التفضيل الأوفى.

- ويقال وَفَى بالشيء: أتى به كاملاً، ويقال وَفَى بالعهد: وبما أمر به، وقد تحذف الصلة، ﴿ أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِهَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم: ٣٦-٣٧] (٣).

نصير: نصره نصراً، أعانه وأيده، نقول نصره على عدوه، والفاعل ناصر، والمفعول منصور.

ويقال: نصر المؤمن الله ﷻ أيد دينه وشريعته، وهذا على سبيل المجاز.

والنصير: مبالغة الناصر، وجمعه الأنصار، كشريف وأشراف، ويتيم وأيتام (٤).

ثالثاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧٣].

(١) تفسير ابن كثير، ٤٨٠/٢، وانظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤٧/٦.

(٢) مجمل اللغة، لابن فارس، ٩٣٢/١.

(٣) مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٢٥٣/٥، ٢٥٤ بتصرف.

(٤) المرجع السابق، ٢٣٠/٥.

الإعراب:

يحتمل الاسم الموصول في قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وفي قوله ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا﴾ قولين (١):

الأول: أن يكون في محل رفع مبتدأ، وجملة ﴿فَيُؤْتِيهِمْ﴾ خبر الأول، وجملة ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ﴾ خبر الثاني.

الثاني: أن يكون في محل نصب مفعول به بفعل مضمّر يفسره ما بعده.

- **التقدير الأول:** يكون المعنى إخبار من الله ﷻ عن الذين كفروا، أنه يعاقبهم على كفرهم هذا بتعذيبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة. وفي المقابل يخبر عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنه يجزيهم على إيمانهم، وعملهم الصالحات بتوفيتهم أجورهم أتم الوفاء.
- **التقدير الثاني:** وتقدير الكلام فيه: أعذب الذين كفروا، وفي الموضع الآخر، يوفي الذين آمنوا وعملوا الصالحات. (٢):

والأظهر منهما الوجه الأول، أما الوجه الثاني: فإنه ضعيف، وذلك لأن "أما" لا يأتي بعدها إلا الاسم ويكون مبتدأ، فإذا كان لا يأتي بعدها إلا المبتدأ امتنع جعل الاسم الذي بعدها منصوباً بفعل مضمّر، ومن أجاز ذلك تكلف، لأنه يجعل الفعل المضمّر متأخراً عن الاسم المنصوب ولا يضمه قبله، بحجة أن "أما" لا يليها فعل البتة، وهذا لا يجوز في الكلام الفصيح، فكيف بأفصح الكلام، وهو كلام الله ﷻ.

إن مرجع جميع العباد إلى الله ﷻ، فأما الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة سيثيبهم الله ﷻ على أعمالهم الأجر الكامل من غير نقص، بل ويعطيهم زيادة عليه من الرضا والفضل، ومضاعفة الأجر، وأما الذين تكبروا واستكفوا عن عبادة الله ﷻ، فسيعذبهم عذاباً لا يحيط به وصف، ولا يجدون أحداً يدافع عنهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم وينجيهم مما هم فيه من العذاب (٣).

(١) إعراب القرآن، النحاس، ٣٨٢/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ٢١٥/٣.

(٢) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ٢١٥/٣، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، العكبري، ١٣٧/١.

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي، ٤٠٧/٣.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن ذكر الله ﷻ أنه جامع الناس ليوم الحساب، بين الجزاء لكل فريق من عباده، فأما المؤمنون المقرون بوحداية الله، جل وعلا- الخاضعون له بالطاعة، المتذللون له بالعبودية، والعاملون الصالحات من الأعمال، وذلك أن يردوا على ربهم وقد آمنوا به وبرسله، وعملوا بما أتاهم به رسله من عند ربهم، بفعل ما أمرهم به، واجتناب ما أمرهم اجتنابه^(١).

إن الذين أقرؤا بعبوديتهم لله ﷻ وحده، هم الذين آمنوا فعرفوا حقيقة الصلة بين الخالق والمخلوق، وعملوا الصالحات، لأن عمل الصالحات هو الثمرة الطبيعية لتلك المعرفة.

وما يريد الله ﷻ من عبادة أن يعبدوه لأنه بحاجة إلى عبادتهم، لا لأنها تزيد في ملكه، أو تنقص منه شيئاً^(٢) ولكنه يريد لهم أن يعرفوا حقيقة الألوهية والعبودية، لله ﷻ لتصح تصوراتهم ومشاعرهم، كما تصح حياتهم وأوضاعهم. وحتى تستقر الحياة والأوضاع على أساس قويم سليم.

[يريد الله ﷻ أن تستقر هذه الحقيقة في حياتهم، ليخرجوا من عبادة العباد إلى عبادة الله ﷻ وحده، ليعرفوا من صاحب السلطان في هذا الكون وهذه الأرض، فلا يخضعوا إلا لمنهج الله تعالى وشرعه جل وعلا، يريد أن يعرف العبيد أنهم كلهم عبيد لله ﷻ ليرفعوا حياتهم أمام كل من عاده، حتى تغنوا له الوجوه والجباه، يريد أن يستشعروا العزة أما المتجبرين والطغاة، حين يخرجون له راكعين ساجدين، يذكرون الله ﷻ وحده، ولا يذكرون أحداً سواه جل وعلا، وليعلموا الخير يبيغون به قربه ورضاه ﷻ وليتجردوا من شهواتهم وعصيانهم، وملايساتهم الأرضية متطلعين إلى وجهه في علاه، وليرتفعوا عن ثقله الأرض، وضرورتها وهم يطلعون إلى ذلك الأفق الوضيء الكريم، ولهذا يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، لأنهم عرفوا وعملوا، ولأنهم أصلحوا في الأرض، ولأنهم زادوا محصول الحياة]^(٣).

فالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿فِيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣] أي يعطيهم أجورهم على إيمانهم، وعملهم الصالح وافية تامة، كما يستحقون بحسب سنته تعالى في ترتيب الجزاء على تأثير الإيمان والعمل في النفس، ويزيدهم عليه من محض فضله، وجوده من عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف^(٤). قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) انظر: تفسير الطبري، ٤٢٦/٩.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦١٦/٦.

(٣) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٠٧/٦.

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٧٩/٦، وتفسير المراغي، ٣٥/٦.

كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٦١﴾.

وبالمقابل لهذا الفريق الذي عمل صالحاً، فريق آخر استكبر عن عبادة الله ﷻ وعن شكره لما أعطاه، فسيعذبهم الله تعالى المتعزز برداء العظمة والكبرياء، المتفرد بعلو المجد والبهاء عذاباً يطردهم من ساحة عز حضوره جل وعلا ، وألم أشد من ذلك، ومع ذلك لا يجدون لهم من دون الله ﷻ ولياً يدفع عنهم الأذى ^(١)، ولا ينصرهم من بأس الله جل وعلا وينجيهم من عذابه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي ختام المقطع نرى أنه يطالب أهل الكتاب بتوحيد الله ﷻ ومعرفته، وترك العبودية لسواه، ويكون ذلك بالعمل الصالح، بعد الإيمان الصحيح، فدل ذلك على أن العبادة مجموعة أمور: معرفة الله ﷻ بذاته وصفاته، والإيمان به، والعمل الصالح الذي أمر به وشرعه سبحانه وتعالى وهو مضمون محور السورة ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي الثواب الذي لم تتله أعمالهم، ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم، ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المآكل والمشارب والمناجح، والمناظر، والسرور ونعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني ودنيوي رتب على الإيمان، والعمل الصالح،

وقال الرسول ﷺ: : «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ " ^(٣).

[وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ووطن الناس إلى ذلك فقالوا: "اللهم بالفضل لا بالعدل"، لأن الفضل هو الذي يعطينا المنازل المتميزة، وقد يضيعنا العدل، فالله جل وعلا سيجزيهم الجزاء الأوفى الكامل، ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على التضعيف، على ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الثواب الذي لم تتله أعمالهم، ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم، ويدخل بذلك كل خير ديني أو دنيوي، رتب على الإيمان والعمل الصالح ^(٤).

(١) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية، نعمة الله بن محمود النخاجي، ١/١٨٠.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف مصطفى مسلم، ٢/٢٧٧.

(٣) صحيح البخاري، باب تمنى المريض الموت، ح (٥٦٧٣)، ٧/١٢١.

(٤) تفسير الشعراوي، ٥/٢٨٧٥.

إن الله ﷻ خلق الإنسان، وجعله خليفة الأرض لعمارة الكون، ولعبادته وتوحيده، والإخلاص وعدم الإشراك به، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وبعث الله ﷻ الرسل لهداية الناس، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وترغيب من يؤمن بالله ﷻ بالجنان، وترهيب من يكفر بالله ﷻ بنار جهنم.

* صفات المؤمنين:

١- مداومتهم على تلاوة القرآن الكريم، كما أنزله الله ﷻ من غير تحريف أو تبديل، ويفهمون الفهم الصحيح، ويعملون به.

٢- إذا قرعوا آيات الله ﷻ، أو استمعوا لها استنارت أبصارهم، وخشعت قلوبهم لعظمة الجبار، وخرروا بكل أعضائهم سجداً لله ﷻ غير مستكبرين، منقادين لأوامر ربه^(١).
﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥].

٣- مداومتهم على قيام الليل، وملازمتهم للتسبيح والاستغفار عند السحر، فهؤلاء لهم حظ وافر عند ربه تعالى فقد خصهم وميزهم عن سائر البشر، فوصفهم بالمتقين، والمحسنين، لأنهم حرموا أنفسهم من لذة النوم والراحة^(٢)، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

٤- الانقياد والاستجابة لأوامر الله ﷻ والرضا في تلبية وتنفيذ العبادات، في إقامة الصلوات الواجبة على وقتها، والإنفاق في سبيل الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]^(٣).

٥- يؤدون الأمانات إلى أصحابها، من الودائع وغيرها، ولا ينكرونها، ويوفون بالعهد والمواثيق، في العبادات والطاعات، وفي المعاملات^(٤)، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المعارج: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٠٧/٢١، والتفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ٦١٨/١١.

(٢) انظر: كتاب فضل قيام الليل والتهدج، أبو بكر محمد بن الحسن الأجرى، ص ٧٤.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨١/٢٥.

(٤) انظر: تفسير المراغي، ٦/١٨.

- ٦- العفة والطهارة، والبعد عن الفواحش والمحرمات والرذائل، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاحِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦].
- ٧- ينظرون إلى الفقراء بكل إشفاق ورحمة، يبذلون أموالهم طول حياتهم، لإطعام المحتاجين والفقراء، ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة في هذا المال، فيسارعون لدفع الزكاة والصدقات (١).
- ٨- الحكم بالعدل والقسط بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].
- ٩- طاعتهم لله والرسول وأولي الأمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].
- ١٠- يقاتلون في سبيل الله ﷻ ويشترون الآخرة، ولا يلتفتون إلى الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

* ثواب المؤمنين:

- ١- يكافئ الله ﷻ عباده المؤمنين، ويبشرهم بالجنات الدائمة والباقية، التي تجري من تحتها الأنهار، لمن آمن بالله تعالى إيماناً يقيناً، وعمل الصالحات، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].
- ٢- الإيمان والإصلاح يزيل الخوف والحزن في الدنيا والآخرة. ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨] (٢).
- ٣- ثوابهم محقق ويقيني، وعيشة الخلد في جنات النعيم، والزواج بحور العين، والظل يوم القيامة (٣)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٣/٢٩، والتفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١١١٢/٩.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١١١١/٩.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي، ١٠١/١.

أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدَّخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿النساء: ٥٧﴾^(١).

- ٤- جزاء المجاهدين في أعلى مرتبة، حيث يكفر عنهم سيئاتهم، ويجزيهم على أعمالهم بأفضل وأحسن مما عملوا^(٢) وفضلهم على القاعدين بالثواب والمغفرة العظيمة، قال تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].
- ٥- إن الله ﷻ يدفع عن المؤمنين شرور الدنيا والآخرة، ويحميهم ويحفظهم، وموالاته الله ﷻ لهم، ويرفعهم في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].
- ٦- حملة العرش يستغفرون للمؤمنين ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].
- ٧- فوزهم بالدرجات العالية، والمغفرة والرزق الدائم^(٣).
- ٨- وقد أعد الله ﷻ للذين يخلطون بالإيمان بالعمل الصالح أعلى مكان وأشرف وأرفع مرتبة، وهي جنات الفردوس خالدين فيها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]^(٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٥).

ما ترشد إليه الآيات:

- الدعوة إلى العبادة والعمل الصالح، فالمؤمنون العاملون الصالحات لهم ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، ويزيدهم الله ﷻ من فضله ورحمته وإحسانه، والمستكفون المتكبرون، يعذبون عذاباً مؤلماً، دون أن يجدوا ولياً يلي أمورهم، أو نصيراً ينصرهم^(٦).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٠/٥.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، أ.د. وهبة الزحيلي، ٣٦٧/١.

(٣) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية، ص ٦٤.

(٤) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٤٤٠/٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، ح ٢٧٩٠، ١٦/٤.

(٦) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢٧٧/٢.

المقطع السادس

دعوة الناس إلى الإيمان بالنور المبين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

أولاً: المناسبة:

بعد أن تناولت الآيات السابقة دعوة أهل الكتاب إلى التوحيد الصحيح، وترك الشرك والغلو، وتناولت كذلك انحرافات اليهود وتعنتهم قبل بيان غلو النصارى وأهل الكتاب عموماً وكذلك بيان العبودية لله تعالى وأن التوحيد الصحيح لا يكون إلا بالتحرر من النفاق، وتحرير النفس من كل عبودية لغير الله تبارك وتعالى، يأتي هذا المقطع ليدعو الناس كافة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ كما بدأت السورة بـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يدعو الله جل وعلا الناس جميعاً إلى الرسالة الأخيرة، التي تحمل برهاناً من الله، وهي نور كاشف للظلمات والشبهات، فمن أطاع الله ورسوله، واستقام على أمره، سبحانه وتعالى سُد في الدنيا والآخرة^(١).

ثانياً التحليل اللغوي:

* برهان: "هو الحجة الفاصلة البينة، والمقصود هنا هو محمد ﷺ"^(٢) "البرهان هو البيان والحجة البينة"^(٣)، والبرهان: "الآيات القاهرة المبنية عن المعجزات، وبنور القرآن لأنه به يعرف الطريق إلى الله"^(٤).

* نوراً: النور يجمع على أنوار ونيران ويجيء لما يأتي:^(٥).

أ. فالنور: ضوء كل جرم مضيء يعين على الإبصار، ويكون هذا في الدنيا والآخرة.

ب. والنور: اليقين بالحق والهدى وتلج الصدر به، وهو في أغلب أمره يذكر مع الظلمات، التي يراد بها الشكوك والشبهات. ويفسر بعضهم النور بالإيمان والظلمات بأنواع الشرك، على أن النور المقابل للظلمات قد يراد به النور الحسي.

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف مصطفى مسلم، ٢٧٨/٢ بتصرف.

(٢) مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ١٧٨/١.

(٣) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري، ١٤٤/١.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني، ٢٤٣/٤.

(٥) مخطوطة الجمل، ١٢٥/٥.

ج. والنور: المعارف والحقائق والدلائل، التي تجلو الشك، وتجلب اليقين، في العقائد، وتنفي البلبلة والوسوسة، وعقائد الضلال.

د. والنور: الكتاب السماوي، إذ هو يأتي بما يجلو الشك وينير السبيل.

هـ. والنور: النبي الذي يجيء بما ينير السبيل، أو النبوة والدين ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

و- والنور: القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

* واعتصموا: اعتصم: أي استمسك، وفي الآية: أي تمسكوا بالقرآن وما يحمله من الشرائع^(١).

* صراطاً: الصراط: لغة في السراط، والصاد أعلى، وقد قرئ لفظ الصراط، بالصاد والسين، والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج، وقد يقال: إنه لا يكاد يراد به الخير إلا مقتزناً بوصف، أو إضافة منه تخلصه لذلك، كما في القرآن: ﴿... إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ولقد يرجع هذا ما في القرآن: ﴿فَاهْتَدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، فهو للخير والشر معاً، وتخصصه الصفة أو الإضافة على ما في القرآن، حيث ورد بضعاً وأربعين مرة كان موصوفاً أو مضافاً في جمهرتها، ولم يرد بغير وصف أو إضافة إلا مرتين فقط: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاجِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤]، ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

يقول الله تعالى مخاطباً جميع الناس، جميع الأصناف والملل، يهودها ونصاراها ومشركها، دعوة للتأمل في صدق الدعوة المحمدية، وهي آخر الرسالات السماوية إلى الأرض، التي اشتملت على أسباب السعادة الدنيوية والأخروية، الرسالة الأخيرة التي تحمل برهاناً من الله تعالى وهي نور كاشف للظلمات والشبهات، فمن اهتدى بها واعتصم بالله تعالى من الشبهات المضلة، فسيجد رحمة الله تعالى تؤويه، ويجد فضل الله تعالى يشمل^(٢).

والبرهان الذي جاء لتصحيح العقيدة والنظام، فقرر التوحيد الخالص، وحارب الوثنية والشرك، وأبان زيف اليهودية والنصرانية المحرفة الحالية وأرسى معالم الهداية، وأوضح طريق

(١) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، ١٣٦/٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦١٧/٦.

العبادة الصحيحة لله تعالى ووضع أسس الأخلاق، وأنظمة الحياة الرشيدة في السياسة، والحرب والسلم، والاقتصاد، والاجتماع، وعلم الكون^(١).

قال الفخر الرازي:

" أعلم أنه تعالى لما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى، وأجاب عن جميع شبهاتهم، عمم الخطاب، ودعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد ﷺ، فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، فالقرآن هو معجزة الرسول ﷺ الخالدة، الباقية إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وإذا كان كثير من الناس، ظنوا أن إعجاز القرآن في الجوانب اللغوية فقط لكثرة الكتابة فيه، فإن أوجه إعجاز القرآن كثيرة، إضافة إلى اللغة والبيان، نذكر منها بإيجاز"^(٢).

١- فالقرآن معجز في أساليبه التربوي، من تدرج في الأحكام، وتحرير للنفس البشرية وترغيب، وترهيب، وتشبيه وتمثيل، وغير ذلك من الأساليب التي نقل بها الأفراد والمجتمعات، بل البشرية جمعاء، لا من آمن به فقط، رويداً، رويداً، نقلهم من جاهلية جهلاء إلى حضارة إنسانية ومادية فريدة لا مثيل لها، وقلنا "البشرية جميعاً" لأنه لا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرآن والإسلام في الشرق بعد غزو التتار، وأثره في الغرب بعد الحروب الصليبية.

٢- والقرآن معجز في أخباره عن الماضي والمستقبل.

ومن ذلك إخباره عن خلق الإنسان في ظلمات ثلاث، وظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وتكوين الجنين، نطفة فعلاقة، فمضغة، فعظاماً، ثم كائناً، إنساناً متكاملًا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

فهل كان محمداً ﷺ وهو أُمِّي متخصصاً في علوم الأجنحة، مما لم تصل إليه العلوم الحديثة إلا في العصر الحديث، لا شك أن هذا من عند خالق الإنسان^(٣).

- ووضع أسس الاقتصاد والعلاقات المالية، فحرم الربا، والغش، والغرر، والرشوة، والاحتكار، وكل تصرف مالي يؤدي إلى تكوين الثروة بأيدي جماعة قليلة في المجتمع، ولذلك فتت

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٢/٦.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧٤/١١.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف مصطفى مسلم، ٢٧٩/٢ بتصرف.

الثروات بالإرث الذي يتوافق مع فطرة الإنسان، وحقق النمو الاقتصادي المتوازن، وحل القرآن مشكلة الفقر بسنوات قليلة، وعجز العالم عن حلها. (١)

فمن أين لإنسان أُمي أن يأتي بهذه العلوم، التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور، وترسم للإنسانية طريق السعادة، وقد عجزت البشرية كلها، بمجالسها النيابية والشعبية، وبعلمها المادية والإنسانية، وبتعاون أممها وشعوبها، وتبادل خبراتها، أن تصل إلى تحقيق العدل والخير في بعض ما وصلت إليه العلوم والمعارف التي جاء بها القرآن، بعد أن تخبطت البشرية طويلاً، ﴿سُنَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] (٢).

وهذا القرآن الذي هو البرهان والحجة، هو النور المبين الذي تتحلى تحت أشعته الكاشفة حقائق الأشياء واضحة، ففيه العقائد والشرائع، والأحكام والمواعظ، التي تفرق بين الحق والباطل في داخل النفس، وفي السلوك، وفي الحياة، كما قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وإذا جاء البرهان والبيان، فلا بد من الإيمان لمن يدرك البرهان، ويعي بقلبه النور المبين، ومن استنكف تعنتاً واستكبر عن الحق بعد بيانه، فقد ذكر السياق قبل قليل في قوله تعالى: وهذا يذكر في الختام من استنار بالنور، وأمن بالحق، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]. (٣).

ولما قرر الله تعالى على كل العالمين كون محمد رسولاً، كون القرآن كتاباً حقاً، أمرهم بعد ذلك أن يستمسكوا بشريعة محمد ﷺ ووعدهم عليه بالثواب الجزيل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ [النساء: ١٧٥]، والمراد آمنوا بالله تعالى في ذاته وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأسمائه، واعتصموا به.

والاعتصام بالله تعالى ثمرة الإيمان الصحيح، فمتى عرفت النفس حقيقة الله تعالى بصفاته، وعرفت حقيقة عبودية الكل له، فلا يبقى أمامها إلا أن تعتصم بالله تعالى وحده، وتثق به وتتوكل عليه، لأنه وحده صاحب السلطان والقدرة، وهؤلاء يدخلهم الله تعالى في رحمة منه وفضل.

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، ٢/٢٨٠ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢/٢٨٠.

(٣) اتفق علماء التفسير على أن النور المبين هو القرآن، وقال بعضهم عن البرهان والحجة: إنها محمد ﷺ وقال بعضهم: إشارة إلى محمد ﷺ والمعنى: قد جاءكم مقترناً بمحمد برهان من الله تعالى على صحة ما يدعوكم إليه. انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/١٤١، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/٢٧.

فالإيمان هو الواحة الندية التي تجد فيها الروح الضلال من هاجرة الضلال، في تيه الحيرة والقلق والشroud، كما أنه هو القاعدة التي تقوم على حياة المجتمع ونظامه، في كرامة وحرية واستقامة، حيث يعرف كل إنسان مكانه على حقيقته: "عبد الله وسيد مع كل من عداه"، وليس هذا في نظام غير نظام الإيمان، كما جاء به الإسلام، وهذا كله رحمة وفضل من الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، وما في الآخرة خير وأبقى (١).

ويقول الخازن (٢): " فالله ﷻ يثبت المعتصمين به على الإيمان، ويصونهم عن نزع الشيطان، ووعد الله تعالى المؤمنين المختصين بالله تعالى بأمر ثلاثة: الرحمة، والفضل والهداية، قال ابن عباس: "الرحمة: الجنة، والفضل: ما يتفضل به عليهم من إدخالهم الجنة ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" (٣).

والهداية إلى الصراط المستقيم: هي الهداية إلى الدين القويم، الذي يكون باتباعه سعادة الدنيا، وهو طريق الجنة، وتقديم ذكر الوعد بالإدخال في الرحمة، والثواب الجزيل على الوعد بهذه الهداية إلى الصراط المستقيم، للمساعدة للتبشير بما هو المقصد الأصلي (٤).

ففي الكلام تقديم وتأخير، كأنه يقول: يهديهم في الدنيا صراطاً مستقيماً، يعني ديناً لا عوج فيه، ويثيبهم على ذلك، ويدخلهم في الآخرة في رحمة وفضل (٥).

يقول الرازي:

"الرحمة والفضل محمولان على ما في الجنة من المنفعة والتعظيم، أما الهداية: فالمراد منها السعادات الحاصلة بتجلي أنوار عالم القدس والكبرياء، في الأرواح البشرية، وهذا هو السعادة الروحانية، وأخر ذكرها عن القسمين الأولين تنبيهاً على أن البهجة الروحانية أشرف من اللذات الجسمانية (٦).

الهدايات المستنبطة من المقطع:

١- الدعوة الإسلامية دعوة عامة فهي للأبيض والأصفر على حد سواء.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦١٨.

(٢) الخازن: هو علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، أبو محمد الشيخ علاء الدين المعروف بالخازن، (ت: ٧٤١هـ)، طبقات المفسرين للأدنه وي، ص ٢٦٧.

(٣) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ١/٤٥٤، والتفسير الكبير، الرازي، ١١/٢٧٤.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية، ٢/١٤١.

(٥) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ١/٣٦٢.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١١/٢٧٤.

٢- إطلاق لفظ البرهان على النبي محمد ﷺ لأنه بأميته وكماله لا يطمع لبشري أن يساميه فيه برهان على وجود الله تعالى وعلمه ورحمته.

٣- القرآن نور، لما يحصل به من الاهتداء إلى سبيل النجاة، وطرق السعادة والكمال.

٤- ثمن السعادة ودخول الجنة، الإيمان بالله تعالى، ورسوله ﷺ ولقائه والعمل الصالح، وهو التمسك بالكتاب والسنة المعبر عنها بالاعتصام^(١).

٥- البرهان العظيم من الله تعالى لعباده هو محمد ﷺ وسمي برهاناً، لأن معه البرهان، وهو المعجزة أو الحجة، فإن المعجزات حجته ﷺ، والنور المبين، هو القرآن الكريم، وسمي نوراً لأن به تبيين الأحكام، ويهتدى به من الضلالة، فهو نور مبين، أي واضح بين، فمن آمن بالله واعتصم بالقرآن من معاصيه، والعصمة: الامتناع، فاز بالجنة، والرضوان، وحظي بالفضل الإلهي العظيم في الدنيا والآخرة، ودل قوله تعالى على أنه تعالى يتفضل على عباده بثوابه من غير مقابل إذ لو كان في مقابلة العمل لما كان فضلاً^(٢).

والهداية في القرآن نوعان: هداية عامة وهداية خاصة. أما الهداية العامة: فهي كما في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أي طريقي السعادة والشقاوة، والخير والشر، وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة، وهداية العقل، وهداية الدين.

وأما الهداية الخاصة: فهي مثل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠] ومثل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] هذه الهداية ليست الدلالة العامة كما سبق، وإنما هي الإعانة والتوفيق للسير في طريق الخير، والنجاة مع الدلالة، ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال في فهم الدين، وفي استعمال الحواس والعقل، كان محتاجاً إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله تعالى بطلبها منه في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]^(٣).

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ١/٤٧١.

(٢) انظر: تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ٦/٥٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦/٥٢، ٥٣.

المقطع السابع

حكم الكلالة، وبعض أحكام المواريث

قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

أولاً: المناسبة:

إن الإلتزام بمنهج الله في جميع أحكامه نور إلهي عظيم، وخاصة الفرائض التي ينهي سبحانه بها ما يمكن أن ينشأ من خصومات وخلافات كثيرة بين الناس، فقد قال في الآية التي قبلها مباشرة، [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا]، وقال في خاتمة هذه الآية ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وهل هناك ربط بين الآيتين أعظم ن هذا، "أن الله يهدينا صراطاً مستقيماً خوفاً من أن تقع في الضلال" والإلتزام بهذه الفرائض وسيلة لهذه الهداية، وتحصيماً لنا من الضلال...

ثانياً: أسباب النزول:

وردت عدة روايات في أسباب نزول هذه الآية منها:

* عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَا شِيبَيْنِ، فَأَعْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَأَفَقْتُ، قُلْتُ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيَّ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] " (١).

* عن جابر رضي الله عنه قال: "اشتكت وعندي سبع أخوات، فدخل علي رسول الله ﷺ فنفتح في وجهي، فأفقت، فقلت: يا رسول الله ﷺ ألا أوصي لأخواتي بالثلث؟ قال: «أحسن»، قلت: الشطر؟ قال: «أحسن» ثم خرج وتركني، فقال: «يا جابر، لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين»، قال: فكان جابر يقول: "أنزلت هذه الآية في: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] " (٢).

(١) صحيح مسلم، باب ميراث الكلالة، ح (١٦١٦)، ٣/١٢٣٤.

(٢) سنن أبي داود، باب من كان ليس له ولد وله أخوات، ح (٢٨٨٧)، ٣/١١٩، صححه الألباني.

* عن محمد بن المنكدر قال: "سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِمَنِ الْمِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كِلَالَةٌ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ" (١).

* عن البراء ﷺ قال: " آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكِلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] " (٢).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

* الكلاله:

١- كلّ: الرجل يكل كلاله: فقد الولد والوالد.

٢- الكلاله لها معنيان هما:

أ- من ليس له ولد ولا والد، فإذا مات ورثه غيرهما كالأخوة.

ب- الورثة غير الولد والوالد (٣).

* هلك: هلك يهلك هلاكاً وهلوكاً، فنى، ويأتي في الموارد الآتية: (٤)

أ- فيقال هلك الحي: مات، والموت فناء الحياة، وانتهاء خواصها.

ب- ويقال: هلك الشيء مني: ذهب عني وانتقل إلى آخر.

ت- هلك: انحرف في الدين، ويحتمل أن يكون المراد الموت.

* الميراث لغة: الإرث بالكسر: الميراث، وأصل الهمزة فيه واو، والأصل والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول (٥).

الميراث اصطلاحاً عند الفقهاء:

"هو ما خلفه الميت من الأموال والحقوق التي يستحقها بموته الوارث الشرعي" (٦).

* علم الميراث:

"هو قواعد فقهية وحسابية يعرف بها نصيب كل وارث من التركة" (٧).

(١) صحيح البخاري، باب صب النبي ﷺ وضوءه، ح (١٩٤)، ٥٠/١.

(٢) صحيح البخاري، باب يستفتونك قل الله يفتيكم في، ح (٦٧٤٤)، ١٥٣/٨.

(٣) مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٨١/٤.

(٤) المرجع السابق، ١٦٠/٥، ١٦.

(٥) القاموس المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٦٠/١، وتاج العروس من جواهر القاموس، ١٥٥/٥.

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٤٣/٨.

(٧) المرجع السابق، ٢٤٣/٨.

رابعاً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ يحتمل المصدر المؤول ثلاثة أقوال:

الأول: في محل جر بحرف جر محذوف وتقديره اللام قبل (أن).

الثاني: في محل نصب مفعول لأجله على حذف مضاف.

الثالث: في محل نصب مفعول به (١).

معاني الإعراب:

المعنى الأول: وتقدير الكلام: يبين الله ﷻ لكم أمر الكلاله، وحكمها لئلا تضلوا، فسقطت (لا) لفظاً، وهي مطلوبة في المعنى لدلالة الكلام عليها (٢) وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]، والمعنى لئلا تزولا.

المعنى الثاني: وتقدير الكلام: يبين الله ﷻ لكم أمر الكلاله كراهة أن تضلوا فيها (٣).

المعنى الثالث: يبين الله تعالى لكم الضلالة، فإذا بين لكم الضلالة فاجتنبوها.

ورجح الإمام الألويسي هذا المعنى حيث قال: "ورجح هذا بأنه من حسن الختام والالتفات إلى أول السورة وهو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا﴾ فإنه سبحانه أمرهم بالتقوى، وبين لهم ما كانوا عليه في الجاهلية، ولما تم تفصيله قال ﷻ لهم: إني بينت لكم ضلالكم فاتقوني كما أمرتكم، فإن الشر إذا عُرف اجْتَنَبْ، والخير إذا عُرف ارتكَب" (٤).

وفي المقابل رفض الإمام ابن عاشور هذا القول، فقال: "وقد جعل بعض المفسرين ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ مفعولاً به لـ(يبين) وقال: المعنى أن الله تعالى فيما بينه من الفرائض، قد بين لكم ضلالكم

(١) انظر: إعراب القرآن، للنحاس، ٢٥٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٣٦/٢، وكتاب مشكل إعراب

القرآن، مكي بن أبي طالب، ٢١٦/١، والدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ١٤٧/٤.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٤٤٥/٩.

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٣١٦/٢، والتفسير الكبير، الرازي، ٢٧٥/١١.

(٤) روح المعاني، الألويسي، ٢١٨/٣.

الذي كنتم عليه في الجاهلية وهذا بعيد، إذ ليس ما فعلوه في الجاهلية ضلالاً قبل مجيء الشريعة، لأن قسمة المال ليست من الأفعال المشتملة على صفة حسن وقبح بنية، إلا إذا كان فيها حرمان لمن هو حقيق بالمؤاساة والمبرة، ولأن المصدر مع (أن) يتعين أن يكون بمعنى المستقبل، فكيف يصبح أن يراد بـ ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ ضلالاً قد مضى (١).

وأرى أن الأقوال الثلاثة بمعانيها كلها داخلة في بيان مراد الله ﷻ في شأن الكلالة.

أولاً: الميراث عند العرب قبل الإسلام:

لقد كان نظام الميراث عند العرب قبل الإسلام، نظام فوضوي، واستبدادي قائم على الظلم وأكل الحقوق، فكان بعيداً عن العدل والضوابط والقوانين التي تحفظ حقوق الآخرين.

يقول المراغي (٢): "كان الميراث عند الجاهلية على ثلاثة أصناف هي (٣):

- ١- الميراث للأقوياء الأشداء أصحاب القتال والغنائم، ويحرم منه الضعفاء والصغار.
- ٢- يعطى للولد المتبنى مثل الابن الأصلي، ويعطى للذكور وتحرم منه الإناث.
- ٣- أن يتحالف اثنان على الدم والميراث، إذا مات أحدهما انتقل ميراث الميت إلى حليفه. فكان القوي يأكل حق الضعيف، والكبير يأكل حق الصغير، والذكر يأكل حق الأنثى.

ثانياً: الميراث في الإسلام:

لقد بزغ نور الإسلام الأصيل بين ظلمات الجاهلية المتركمة، وقد أنقذ المنهج الرباني المنهج الجاهلي من مستنقع الوثنيات والخرافات والظلمات إلى النور الجديد، حيث جاء الإسلام ليبطل كثيراً من المفاهيم الخاطئة في الجاهلية، خاصة في سورة النساء، حيث أبطل المفهوم الخاطئ في مسألة تعدد الزوجات وهذبه، وأبطل التبني، وبين الحكمة من ذلك، وها هو يقرر الميراث، ونعني بذلك: ميراث الوالدين والأبناء، والإخوة، وميراث الأزواج ليتحقق العدل الرباني، والحكمة الإلهية في قلب موازين الجاهلية، وتغيير أنظمتها الفاسدة التي قام بها المصطفى ﷺ، حيث ساوى بين القوي والضعيف، والكبير والصغير في الحقوق، وأعطى المرأة حقها كامل في الميراث، إنه العدل الرباني.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٦٧.

(٢) المراغي: هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٩٠م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذاً للعبية والشريعة الإسلامية، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٢م، له كتب منها: الحسبة في الإسلام، تفسير المراغي، انظر: الأعلام، للزركلي، ١/٣٥٨.

(٣) انظر: تفسير المراغي ٤/١٩٤.

الأدلة على مشروعية المواريث من القرآن والسنة والنبوية:

أولاً: من القرآن الكريم:

لقد ثبت مشروعية الميراث في كتاب الله تعالى لما لها من الأهمية والمكانة، والآيات التي عالجت الأحكام توضح حق الورثة في الميراث هي ثلاث آيات في كتاب الله تعالى في سورة النساء:

١- ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٧-٨].

توضح هذه الآيات حق الرجال والنساء في قسمة وأعطية المواريث، فهذا هو المنهج الرباني الذي جعل للإنسان قيمته الإنسانية، وكيانه في واقع الحياة، من خلال ضمان حقوقه كاملة دون ظلم أو إجحاف^(١).

وكذلك تبين الآيات أن المواريث من حق القرابة المقربة للميت، بينما هناك قرابة غير مقربة للميت يحجب عنها نصيب الميراث، وفي حال حضور القسمة، يعطى هؤلاء شيء من الثروة التي حصلوا عليها من غير كد ولا تعب، لأجل المحافظة على التودد والترابط الأسري وصلة الرحم، وشكر النعمة، ونزع الحقد والحسد في قلوبهم، وتهدئة نفوسهم بالقول اللين والحسن، عندما يروا المال يتوزع أمامهم، وكذلك يعطى اليتامى والمساكين من باب التكافل الاجتماعي^(٢).

٢- ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمُتَّحِدِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِلْمُتَّحِدِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُلِّ رُبْعٍ مِّمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١١-١٢].

(١) انظر: تفسير المراعي، ٤/١٩٢.

(٢) انظر: تفسير المراعي، ٤/١٩٢، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٤/٢٦٢، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٥٨٧.

شرح الله ﷺ في توزيع الميراث على الورثة، فبدأ بالوصية في الأولاد، لأنهم يكونوا في حالة من الضعف وقلة القدرة على الكسب، فهم بحاجة إلى العطف والرفق بهم^(١).

ثم ذكر في قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ الحكمة في هذه الآية هو أن الحاجة كانت ملحة عندما جعل نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى، لأن الذكر صاحب عيال وراه مسؤوليات، ومستلزمات كثيرة، بينما الأنثى ليس لها أي شيء من المستلزمات، فالرجل مكلف بالنفقة على أهله وإخوته، وزوجته، وأبنائه، بينما الأنثى نفقتها واجبة على أبيها وأخيها وزوجها، وهي غير مكلفة بنفقتها على أحد وإن كانت غنية^(٢).

ثم تحدثت الآية عن ميراث الوالدين وما لهما من الحقوق، وعن ميراث الزوجين^(٣).
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَى فَلَهَا النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، كما تتحدث هذه الآية عن ميراث الكلاله، والكلالة اسم للكلال، وهو التعب والإعياء، ووصف ميراث الكلاله بأنه ليس له ولد ولا والد، ووصفته العرب القرابة غير القرى^(٤).

ثانياً: في السنة النبوية:

عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: « مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ كَلًّا فَلِإِنَّا »^(٥)
عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ »^(٦).

«أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَدْعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ، مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ، وَإِنِّي إِنْ أَعِشَ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٧٥/٤-٢٧٧.

(٢) انظر: تفسير المراغي، ١٩٦/٤، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي،

٢٧٥/٤-٢٧٧، وتفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٣٢/٤، ٣٣٣، والوسيط في فقه المواريث، د. محمود

عبد الله بخيت، ود. محمد عقله العلي، ص ٢٠.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٧٥/٤-٢٧٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦٤/٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ميراث الأسير، ح (٦٧٦٣)، ١٥٦/٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ح (٦٧٦٤)، ١٥٦/٨.

يَفْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ" (١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا تَرَكَتِ الْفَرَائِضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرَ» (٢).

مزايا نظام الميراث في الإسلام:

١ - إنه تشريع رباني:

إن تشريع نظام الموارث هو تشريع رباني، فالله ﷻ هو الذي وضع أسسه وقواعده وفرضه وقسمه بنفسه ووزع ثروته على الناس، ولا دخل لبشر أو نبي، أو ملك في تقسيم الموارث، فكان هذا التقسيم قائم على العدل الرباني الذي يحافظ على حقوق الناس، ويراعي مصالح العباد، بما يتناسب مع حياتهم، فلو كان التقسيم من وضع البشر لضيعت الحقوق ولتآكل الناس بعضهم بعضاً، فكان هذا التقسيم ثابت من عند الله ﷻ لا يقبل التغيير أو التبديل أو التأويل (٣).

٢ - تفتيت الثروة وتوزيعها:

لقد سلك المنهج الرباني مسلكاً إصلاحياً عندما قام بتوزيع الثروة على الجماعة المقربة من الميت، وعدم احتكارها على أفراد قلة، كما كان سائداً في الجاهلية، وكان الهدف من هذا التوزيع هو المحافظة على النظام الاقتصادي، وكذلك لتوسع دائرة المستفيدين، ولمواكبة التعمير والتجديد والتطوير من جيل إلى جيل، ومحاربة الاحتكار والاستبداد (٤).

٣ - الإرث إجباري بالنسبة للموروث والوارث:

لا يحق لأحد من الموروثين أن يمنعوا الورثة من الميراث، فهو حق شرعه الله سبحانه وتعالى لأقرباء الموروث ليستثمروا الثروة، وينتفعوا بها، أما لو من على الورثة من الميراث لأصبحت الثروة سائبة، ولا تستثمر في أوجه الخير.

٤ - ساوى بين الأقوياء والضعفاء في الحقوق:

لقد أنصف الله سبحانه وتعالى بين أصحاب الورثة، إذ جعلهم متساوين في الأعطيات، وقد فرض للمرأة نصيبها الكامل الذي قسمه الله ﷻ لها، كما فرض للذكر نصيبه وإن كان أكثر من

(١) صحيح مسلم، باب ميراث الكلاله، ح (١٦١٧)، ٣/١٢٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب ابني عم أحدهما أخ للأُم والآخر زوج، ح (٦٧٤٦)، ٨/١٥٣.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٥٩٧، والوسيط في فقه الموارث، د. محمود عبد الله بخيت، د. محمد عقله العلي، ص ١٨.

(٤) انظر: فكي ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٥٩٧، والوسيط في فقه الموارث، د. محمود عبد الله بخيت، د. محمد عقله العلي، ص ١٨.

نصيبتها، وفرض للصغير نصيب مثل نصيب الكبير تماماً، والسبب في ذلك أن الصغير ضعيف وبحاجة إلى المراجعة، والأموال أكثر من الكبير، كذلك المرأة فهي تريد أن تعيش مثل غيرها وتتفق على نفسها بدلاً من التسول وسؤال الحاجة (١).

من خلال السابق نستطيع أن نستخلص الحكمة من مشروعية تقسيم الموارث وهي كالتالي:

١- إن الإنسان مجبول بفطرته على حب المال، وهو خليفة الله تعالى في الأرض لتعمير الكون، فكانت الحاجة ماسة إلى توزيع الأموال واستثمارها، ليستفيد منها عدد كبير من الناس في تعمير الأرض، فيصبح المجتمع معمرًا بأفراده، ومتقدماً في حضارته وعلومه، ومتماسكاً ومتعاوناً في أوجه الخير.

٢- إن الإسلام أكرم المرأة وحفظها وأعطاهما حقها الكامل في الميراث، بعد أن كانت جميع حقوقها مسلوية في الجاهلية.

٣- المحافظة على الترابط الأسري وصلة القرابة والأرحام.

٤- توزيع الثروة على عدد من الورثة يؤدي إلى تداول الأموال في المجتمع بين الناس، لقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

أما لو لم يشرع الميراث لبقى الحال كما عليه، قبل الإسلام من احتكار الثروة في أيدي الأقوياء، وحرمان الضعفاء من أبسط حقوقهم، بالإضافة إلى الميراث، ويكون الانتفاع بالثروة في فئة قليلة جداً، دون التوسع في دائرة المستفيدين، كذلك المرأة لبقيت مهانة تشكو الحاجة والفقير لحرمانها ميراثها، أيضاً يعمل على تفكيك الروابط الأسرية، وربما تنتقطع صلة الأرحام، فيشكو المجتمع من قسوة أبنائه، فيعم فيه الحقد والحسد والكراهية، ولتأكل الناس بعضهم بعضاً على أموال الميت لجهلهم بتقسيمها وتوزيعها.

التفسير الإجمالي:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرُّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ ابْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

(١) انظر: الوسيط في فقه الموارث، د. محمود عبد الله بخيت، د. محمد عقله العلي، ص ١٩.

أجمع العلماء على أن هذه الآية في ميراث الإخوة من الأب والأم، (الأشقاء) أو من الأب، وأما الإخوة والأخوات لأم ففيهم نزلت، الآية السابقة في صدر السورة وهي ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢].

روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال في خطبة له: "ألا إن الآية التي أنزلها الله ﷻ في سورة النساء في الفرائض، فأولها في الولد والوالد، وثانيهما: في الزوج والزوجة، والإخوة من الأم، أو من الأب، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام" (١).

يطلب منك أيها النبي الفتيما فيمن يورث كلاله، كجابر بن عبد الله رضي الله عنه ليس له ولد ولا والد وله أخوات من العصبية، لم يفرض لهم شيء من التركة قبل، وإنما فرض للإخوة لأم، السدس للواحد، والثلث لاثنتين فأكثر، والكلالة: مأخوذ من الإكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه، وهي اسم يقع على الوارث وعلى الموروث. فإن وقع على الوارث: فهو من سوى الوالد والولد، قال أبو بكر: الكلالة ما عدا الوالد والولد، وإن وقع على الموروث، فهو الذي مات ولا يرثه أحد الوالدين ولا أحد من الأولاد، إن هلك امرؤ غير ذي ولد، وله أخت شقيقة أو لأب، فلها نصف التركة. (٢).

وقد أشكل حكم الكلالة على عمر فقال: "...وَثَلَاثٌ، وَدِدْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُفَارِقْنَا حَتَّى يَعْهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا: الْجَدُّ، وَالْكَالَةُ، وَأَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبَا" (٣).

والمراد بالولد هنا: ما يشمل الذكر والأنثى، لأن الكلام في الكلالة: وهو من ليس له ولد أصلاً، لا ذكر ولا أنثى، وليس له والد أيضاً، واقتصر على ذكر الولد لظهور الأمر، والمقصود بالأخت هنا: الأخت الشقيقة أو لأب، أما الأخت لأم فقد بين الله تعالى حكمها في أول السورة بالإجماع.

وتستحق الأخت النصف، إن كان للميت بنت، فإن كان له ابن فلا شيء لها، أما ظاهر الآية هو الأخت تأخذ النصف عند عدم الولد، ذكراً أو أنثى، فليس مراداً.

ويشترط لاستحقاقها النصف ألا يكون للميت والد، وظاهر الآية أنها تستحق النصف إذا لم يكن للميت ولد، غير مراد أيضاً، لأن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع (٤).

ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ يعني أن الأخ يرث تركة أخته جميعاً بالتعصيب، إذا لم يكن للأخت ولد، ولا والد يحجبه عن الإرث.

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي، ٢٧٤/١١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٧٤/١١.

(٣) صحيح البخاري، باب ما جاء أن الخمر ما خامر العقل، ح (٥٥٨٨)، ١٠٦/٧.

(٤) انظر: تفسير الرازي، ٢٧٥/١١.

والمقصود بالأخ هنا: الأخ الشقيق أو لأب، أما الأخ لأم فلا يستغرق الميراث وإنما فرضه السدس. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ أي: إذا كان للبيت أختان، أو أكثر، فلهما الثلثان، إذا كانتا اثنتين، وإن كن أكثر من ذلك فلهن الثلثان أيضاً بالإجماع ثم قال: ﴿ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً ﴾ يعني إخوة وأخوات ﴿ فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ يعني لكل أخ سهمان، ولكل أخت سهم، هذا إذا كان الإخوة والأخوات من الأب والأم، أو من الأب خاصة، أما إذا كانوا من قبل الأم فهم شركاء في الثلث، ليس لهم أكثر من ذلك، وهذا بالإجماع (١).

ويبين الله ﷻ لكم أمور دينكم وجميع الأحكام من حلال وحرام، كراهة أن تضلوا، أو عند الكوفيين لثلاث تضلوا عن الحق بعد البيان في قسمة التركات وغيرها.

وختمت السورة بقوله: ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو سبحانه عالم بعواقب الأمور ومصالح العباد. حيث ختمت السورة التي بدأت بالأمر بالتقوى لله ﷻ، والتقوى: عبادة الله وحده وترك الشرك والله الذي يجب على الناس أن يعبدوه وحده، هو الذي خلقكم من آدم وحواء، أول أسرة خلقها الله ﷻ ثم تتحدث السورة عن علاقات الأسرة، وذكرت كثيراً من تنظيماتها الاجتماعية، والحقوقية، وختمت السورة بتكملة أحكام الكلاله (٢).

الهدايا المستنبطة من المقطع:

أ. قضايا العقيدة: الإيمان بالقرآن الذي أنزل على محمد مبني على القناعة والبرهان (٣).

ب. الأحكام الفقهية: إتمام أحكام الكلاله من الأخوة والأخوات لأب وأم، ولأب فقط (٤).

ج. الجوانب التربوية: إذا تراكم الصدا على فطرة الإنسان، فلا بد من تكرار الأساليب التربوية، وتنوعها، لجلاء الفطرة، وإنقاذ العقل من الانسياق وراء المألوف، إذا كان غير صحيح، وتحريره من سلطان الشهوات، لذلك كرر القرآن الدعوة إلى استعمال العقل كقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٢] ، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] ، وأحياناً يأتي القرآن بأسلوب التحدي، ليثبت الإعجاز، ويقم الحجة، وأحياناً يشير إلى الحجة والبرهان مع أسلوب الترغيب والترهيب، كما في المقطع الذي ختمت به السورة (٥).

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٣٦٢/١.

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٣٦٢/١.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢٨٤/٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢٨٤/٢.

(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢٨٤/٢.

- ١- الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية في تقسيم الميراث بين الأقارب.
- ٢- إعطاء الفقراء واليتامى نصيب من الميراث عند حضور القسمة، حفاظاً على المشاعر الإنسانية.
- ٣- المساواة بين الرجل والمرأة في حق الميراث.
- ٤- من العدل أن يكون نصيب الرجل أكثر من نصيب الأنثى.
- ٥- الحرية الكاملة للمرأة في ميراثها، ولا يجوز للأهل أو الزوج المساس بميراثها إلا أن يكون بموافقتها.

اشتملت الآية في ميراث الأخوة والأخوات من الميت الكلاله أربع حالات:

الأولى: أن يموت امرؤ وترثه أخت واحدة، فلها النصف فرضاً، والباقي، للعصبة إن كانوا، وإلا فيعود لها الباقي بالرد. وكذلك ترث الأخت من أختها النصف.

الثانية: العكس وهو أن تموت امرأة ويرثها أخ واحد، فله جميع التركة، وكذلك يرث الأخ جميع تركه أخيه.

الثالثة: أن يكون الوارث للأخ أو الأخت أختان فأكثر، فلهما الثلثان. وقد أجمع العلماء على أن الأكثر من أختين كالأختين: لأن الأكثر من بنتين لا يزدن عن الثلثين، فبالأولى لا يزيد الأكثر من أختين عن الثلثين.

الرابعة: أن يكون ورثة الأخ أو الأخت عدداً من الإخوة والأخوات، فللذكر مثل حظ الأنثيين، لكن إذا اجتمع إخوة أشقاء، وإخوة لأب، قدم الأشقاء، لأن الإخوة لأب يحجبون بالإخوة الأشقاء، أما إذا كان إخوة الميت الكلاله عدداً من الإخوة الذكور، فإنهم يرثون جميع التركة. وجمهور الصحابة والتابعين غير ابن عباس، وداود الظاهري، يجعلون الأخوات عسبة مع البنات، وإن لم يكن معهن أخ، أما ابن عباس وداود فلا يجعلون الأخوات عسبة مع البنات، لظاهر قول الله تعالى: ولم يورثوا الأخت إلا إذا لم يكن للميت ولد، قالوا: ومعلوم أن الابنة من الولد، فوجب ألا ترث الأخت مع وجودها^(١).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٥٩/٢.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة المائدة من الآية (٢٦-١)

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف عام بسورة المائدة.

المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١-٥).

المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (٦-١١).

المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١٢-٢٦).

المبحث الأول

تعريف عام بسورة المائدة

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السورة.

المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية.

المطلب الثالث: مكان وزمان نزول السورة.

المطلب الرابع: فضائل السورة، وجو نزولها.

المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة.

المطلب السادس: مناسبة سورة المائدة لما قبلها وبعدها.

المطلب الأول

أسماء السورة ووجه التسمية

إن سورة المائدة لها عدة أسماء كغيرها من السور، خاصة أن هناك سور لها اسم واثنان وأكثر.

اسم السورة:

١- المائدة: عن المسور بن مخزومة أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةَ النَّسَاءِ، وَسُورَةَ الْمَائِدَةِ، وَسُورَةَ الْحَجِّ، وَسُورَةَ النُّورِ، فَإِنَّ فِيهِنَّ الْفَرَائِضَ»^(١).
وجه التسمية:

لورود قصة المائدة التي سألتها الحواريون من عيسى عليه السلام؛ لتدل على صدق نبوته: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا بِحُكْمِ مُؤْمِنِينَ...﴾ [المائدة: ١١٢] ، ولأنها السورة الوحيدة التي ذكر فيها المائدة^(٢)، والحكمة من تسميتها بهذا الاسم، أن من زاغ عن الطمأنينة بعد الكشف الشافي والإنعام الوافي نوقش الحساب، فأخذه العذاب.

٢- العقود: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وجه التسمية:

يقول ابن حيان^(٣): "سميت بالعقود لأن هذا اللفظ ورد في أول آية من السورة"^(٤)، وهي السورة الوحيدة التي افتتحت بطلب الإيفاء بالعقود من المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وقد برزت فيها، ذلك عناية خاصة بالتحدث عن ميثاق الله للمؤمنين، والحث على الوفاء شكراً لله على نعمه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧] ، وعن ميثاق الله لمن كان قبلهم من أهل الكتاب، وقد أرشدت

(١) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد النيسابوري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، ح (٣٤٩٣)، ٤٢٩/٢، صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٦٩، وتفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٦١.

(٣) أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان النفري، الأندلسي، الجبالي الأصل، الغرناطي المولد والمنشأ، المصري الدار، أبو حيان، شيخ النحاة، اتفق أهل عصره على تقديمه وإمامته، (ت: ٧٤٥هـ)، انظر: الأعلام، للزركلي، ص ٢٧٨.

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٤/١٥٧.

المؤمنين أن النقص الديني والفساد الخلقي والانحلال الجماعي والارتطام في الشهوات والأهواء، والخروج عن حدود الله وشرائعه، إنما أصاب أهل الكتاب بسبب نقضهم لهذه المواثيق والعهود^(١).

- ١- المنقذة: قال ابن الفرس^(٢): "سميت بالمنقذة لأنها تتقذ صاحبها من ملائكة العذاب"^(٣).
- ٢- الأخيار: سميت بالأخيار؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسمون المائدة سورة الأخيار^(٤)، وفي كتاب كنايات الأدباء لأحمد الجرجاني: "يقال لا يقرأ سورة الأخيار، أي لا يفي بالعهد"^(٥).

* لفتات إيمانية في معاني أسماء سورة المائدة:

والمتمأمل في معاني أسماء السورة يجد لفتات إيمانية، فاسم المائدة: يذكر بالمعجزة التي تنفح القلوب بالثبوت، وطلب الحواريين أنصار عيسى عليه السلام مائدة تزيد قلوبهم تصديقاً وثباتاً. واسم السورة "العقود" التي تميز المسلم بوفائه بعقوده مع الله تعالى، ومع الناس ليكون الإنسان المؤمن الحضاري الذي يلتزم بكلمته، وفي بعده أميناً صادقاً. واسم السورة "المنقذة" التي تصور هدف الشريعة ومقصدها في إنقاذ أهلها من النار، وتحملهم إلى عليين، وتتقدهم من رجس الهوى والمعصية والجاهلية.

وهي أيضاً سورة "الأخيار" وكأنها عنوان للمجتمع القرآني، مجتمع الأخيار الذين اجتباهم الله تعالى ليكونوا خير أمة أخرجت للناس بصدق إيمانهم، ونصرة دينهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقامتهم لحدود الله تعالى، والتزامهم بأحكامه، وتحليهم بأخلاقه، واستقامتهم على طريقه، وقد وجدت على هذه السورة العظيمة كنوزاً من القيم الإيمانية، والتربوية، والأخلاقية والأحكام التشريعية التي تكون الشخصية الإسلامية الحضارية، وتبرز معالم الأمة المسلمة وخصائصها الحضارية^(٦).

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٦٠.

(٢) ابن الفرس: هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي، ولد سنة ٥٢٤ هـ - ١١٣٠ م، قاضي أندلسي له مصنفات عديدة منها أحكام القرآن، توفي في البرة ٥٩٩ هـ - ١٢٠٣ م، انظر: الأعلام للزركلي، ١٦٨/٤.

(٣) روح المعاني، الألوسي، ٢٢١/٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦٩/٦.

(٥) انظر: كنايات الأدباء وإرشادات البلقاء، أحمد بن محمد الجرجاني، ص ١٢١.

(٦) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٨.

المطلب الثاني

ترتيب السورة، وعدد آياتها، ومكيثها أو مدنيثها

* ترتيب السورة:

سورة المائدة هي السورة الخامسة في ترتيب المصحف، وهي السورة السابعة والعشرين في ترتيب نزول السور المدنية، بعد سورة الفتح، وقبل سورة التوبة^(١)، وهي السورة المائة واثنى عشر في ترتيب نزول سور القرآن كله^(٢).

* عدد آياتها:

عند الكوفي مائة وعشرون آية، وعند البصري مائة وثلاث وعشرون آية، وعند المدنيين، والمكي، والشامي، مائة واثنان وعشرون آية.

وكلماتها: ألفان وثمان مائة وأربع، وحروفها: أحد عشر ألفاً وتسع مائة وثلاثة وثلاثون حرفاً^(٣).

والمختلف فيه ثلاث آيات:

١- ﴿... أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ [المائدة: ١]، عدها البصري والمدنيان والمكي والشامي، وترك الكوفي عدّها.

٢- ﴿... وَيَعْمُوا عَنْ كَثِيرٍ...﴾ [المائدة: ١٥]، عدها البصري والمدنيان والمكي والشامي، وترك الكوفي عدّها.

٣- ﴿... فَإِنَّكُمْ غَالِيُونَ...﴾ [المائدة: ٢٣]، انفرد البصري بعدّها، وترك باقي علماء العد عدّها^(٤).

* سورة المائدة مكية أم مدنية؟

أما بالنسبة لمكيثها أو مدنيثها فسورة المائدة من السور المدنية^(٥)، وقال الإمام القرطبي: "مدنية بإجماع"^(٦)، لأنها نزلت بعد الهجرة.

وهذا ما لخصه صاحب مصاعد النظر فقال: إن سورة المائدة مدنية إجماعاً وإن نزل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [المائدة: ٣] بعرفة فإن العبرة في المدني بالتنزيل بعد الهجرة.

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ٣٣/١.

(٢) انظر: التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، محمد عزت دروزة، ١٦/١.

(٣) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٥٩/٦.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ١٧٨/١، وفنون الأفتان في عيون علوم القرآن، للحافظ ابن الجوزي، ٢٨٢/١، ويشير اليسر شرح ناظمة الزهر، عبد الفتاح القاضي، ص ٨٢-٨٣.

(٥) انظر: الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣٣/١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٠/٦.

وقال الأصفهاني: "وروي أن السورة نزلت ورسول الله ﷺ منصرف من الحديبية، ومنها ما نزل عام الفتح" وهو: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اِغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] (١). ويتفق العلماء دون استثناء أن سورة المائدة سورة مدنية، ولقد عرف العلماء القرآن المكي بأنه: "ما نزل قبل هجرته ﷺ إلى المدينة وإن كان نزوله بغير مكة"، والقرآن المدني: "ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة" (٢)، وهذا هو التعريف المعتمد عند العلماء، وعن خصائص القرآن المدني ما يلي: (٣).

١. فضح المنافقين وكشف مؤامراتهم، وتسفيه شعاراتهم.
٢. مجادلة أهل الكتاب، ومناقشة آرائهم التي تعارض الحقائق الدينية والتاريخية.
٣. طول الآيات لاحتوائها على مسائل التشريع في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.
٤. احتوائها على "يا أيها الذين آمنوا" لقوة المسلمين في المدينة، فأصبح الخطاب لهم دون غيرهم.
٥. احتوائها على الحدود والفرائض والقصاص.
٦. تعلق آياتها بالأحكام الشرعية، كالعبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق وأمور الأسرة .

ونلاحظ أن هذه الخصائص تتوافر في سورة المائدة، فهي مدنية، وعد العلماء الآيات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَحَلْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقَ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ...﴾ [المائدة: ٣-٥] ، مما نزل بمكة وحكمه مدني فإنها نزلت يوم الجمعة أثناء وقوف الناس بعرفات (٤).

مكان وزمان نزول السورة:

سورة المائدة نزلت بالمدينة، على اعتبار نزولها بعد هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وإن كان النزول بمكة.

-
- (١) انظر: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، ١٠٤/٢.
 - (٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٥٧.
 - (٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ١٦٣/١-١٩٧ بتصرف، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١٨٧/١-١٨٨، وعلوم القرآن، أمير عبد العزيز، ٦٠/٦١.
 - (٤) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١٩٤/١-١٩٥.

مرحلة نزولها:

١- في روايات كثيرة أنها نزلت بعد سورة الفتح التي نزلت بعد صلح الحديبية في شهر شوال سنة ٦هـ (١).

٢- في رواية أنها نزلت جملة واحدة ما عدا آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ، في مسير رسول الله ﷺ في حجة الوداع (٢).

٣- يورد الشهيد سيد قطب تحليلاً منطقياً لهذين الرأيين نوجزه فيما يلي:

• محادثة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة، والتي وردت في السورة كانت معلومة للمسلمين لاستشهاد سعد بن معاذ بقول بني إسرائيل حين جمع النبي ﷺ المسلمين في ساحة بدر بعد ذهاب العير، ومجيء النفير قال: "لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون"، وغزوة بدر وقعت في رمضان سنة ٢هـ.

• الحملة على اليهود في السورة تبين أن لهم نفوذاً قوياً، اقتضى هذه الحملة عليهم لكشف موقفهم، وإبطال كيدهم وخمول ذكركم بعد هذا الكشف بعد غزوة الخندق التي انتهت فيها الدور اليهودي نهائياً في المدينة.

• يرجع أن بعض مقاطع السورة - في أولها- نزلت بعد الفتح، وبعض المقاطع نزلت بعد ذلك (٣)، وأقول: أرجح نزول بعض آياتها في العام التاسع قبل سير النبي ﷺ لحجة الوداع وذلك لقدم وفد نصارى نجران في هذا العام، في الجزء الأخير منه، فأبوا أن يسلموا، ودعوا للمباهلة فأبوا وأقروا الجزية، وحادثة العرنيين الذين قدموا المدينة في السنة الخامسة قبل صلح الحديبية، واستوخموا المدينة فأرسلوا إلى إبل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبوالها، والذين نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّهَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المائدة: ٣٣].

ويقول ابن عاشور: "ولذلك اختلفوا في أن هذه السورة نزلت متتابعة أو متفرقة؟ ولا ينبغي التردد في أنها نزلت متفرقة" (٤).

أما اليوم الذي نزلت فيه فقد ورد فيه روايتان:

الأولى: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَفْرَعُوْنَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٧١.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٨٣٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٧٢.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿المائدة: ٣﴾ قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ» (١)

• والثانية: يوم الاثنين، فعن ابن عباس ﷺ: "ولد نبيكم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين".

وقد رجح الطبري رواية عمر بن الخطاب ﷺ أنها نزلت يوم عرفة، يوم الجمعة، لصحة سنده، ووهي أسانيد غيره (٢)، وقد ورد هذا الحديث في الصحيحين.

وقد جاء في بعض التفاسير، نزولها بعد صلح الحديبية، على اعتبار أنها نزلت بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية، في السنة السادسة من الهجرة (٣).

موقعها من النزول:

فهي آخر ما نزل من القرآن الكريم، وقد جاء في رواية عائشة ﷺ أنها آخر سورة نزلت، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَجَبْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ، فَقَالَتْ لِي: يَا جُبَيْرُ تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: «أَمَا إِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ، فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ (٤).

عن عبد الله بن عمر ﷺ أَنَّ «آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " (٥).

المطلب الرابع

فضائل السورة، وجو نزولها

أنزل الله ﷻ القرآن فيه هدى ونور ورحمة، وشفاء للمؤمنين، وهذا الأمر ينطبق على سور القرآن كلها دون استثناء، ولكن هناك بعض السور تتميز بفضائل خاصة، ميزتها عن السور الأخرى، ومن هذه السور، سورة المائدة فهي لها فضل عظيم على الأمة الإسلامية، لما تضمنته من أحكام وشرائع هامة، من شأنها تنظيم شؤون الفرد والمجتمع على حد سواء، كتميز الحلال من

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ح (٤٥)، ١/١٨١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٩/٤٥٠.

(٣) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني، ١/٣٠١، والتفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٠، وأهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، ١/٥٩.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة، ح (٣٢١٠)، ٢/٣٤٠، وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة، ح (٣٢١١)، ٢/٣٤٠.

الحرام في المأكولات، والنهي عن شرب الخمر، والأمر بالحج والوضوء، والغسل والتيمم، والعدل في الحكم، وبيان حد أحكام الحرابة، وغير ذلك.

ومما ورد في فضلها ما يلي:

روى الإمام أحمد رحمه الله عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: "إِنِّي لَأَخِذُ بِزِمَامِ الْعَضْبَاءِ" (١)
نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "إِذْ أَنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْمَائِدَةُ كُلُّهَا فَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَدُقُّ بَعْضُ النَّاقَةِ" (٢)
وروي عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: "أَنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُورَةُ الْمَائِدَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْمِلَهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا" (٣)

وقد جاء في المستدرک عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يقول: «تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةَ النَّسَاءِ، وَسُورَةَ الْمَائِدَةِ، وَسُورَةَ الْحَجِّ، وَسُورَةَ النُّورِ، فَإِنَّ فِيهِنَّ الْفَرَائِضَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" (٤).

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: حَجَبْتُ فِدَخْلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ﷺ، فَقَالَتْ لِي: يَا جُبَيْرُ تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: «أَمَا إِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ، فَاسْتَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" (٥).

(١) العضباء: هي المقطوعة الأذن أو المشقوقة، واختلف هل العضباء هي القصواء أو غيرها فمن العلماء من قال هي نفسها وتسمى القصواء والعضباء والجدعاء وهذه ألقاب وصفات لها ومنهم ابن سعد عن الواقدي وابن فارس، والقاضي عياض الذي يقول: "كانت معضوبة الأذن ومقصوته ومجدوته فوصفت مرة بعضباء ومرة بقصواء ومرة بجدعاء ولا تبقى حبة لمن زعم أنها نوق للنبي ﷺ وكل منها اسم أو صفة بخلاف غيرها على ما ذهب إليه بعضهم إذ لم يكن ﷺ في خطبته في حجة الوداع إلا على واحدة" ومنهم من قال أنها تختلف ولكن العلماء ومنهم ابن حجر وعلي القاري يرجحون أنها ناقة واحدة ذات صفات متعددة، انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى المالكي، ٩٥/٢-٩٦، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٧٣/٦، ومرقاة المفاتيح لعلي بن سلطان القاري، شرح مشكاة المصابيح لمحمد ابن عبد الله التريزي، ٣٩٤/٧-٣٩٥.

(٢) مسند الإمام أحمد باب من حديث أسماء بنت زيد ح (٢٧٥٧٥)، ٥٥٧/٤٥، قال الأرنؤوط: الحديث حسن لغيره.

(٣) مسند الإمام أحمد، باب أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ح (٦٦٤٣)، ٢١٨/١١، قال شعيب الأرنؤوط: الحديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف ابن لهيعة وحصي بن عبد الله، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، والأكثر على ضعفه، وقد يُحسن حديثه، انظر: بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي.

(٤) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور، ح (٣٤٩٣)، ٤٢٩/٢.

(٥) المستدرک على الصحيحين، للنيسابوري، ح (٣٢٤٠)، ٢٤٠/٢.

أن ابن جريج قال: وأخبرني يوسف بن ماهك، قال: إني عند عائشة أم المؤمنين ﷺ، إذ جاءها عراقي، فقال: أي الكفن خير؟ قالت ويحك، وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك؟ قالت: لم؟ قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية أعب: ﴿بَلِ السَّاعَةِ وَعِدُّهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده "، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور" (١)

١. وقد جاء في التفسير الكامل لابن تيمية ﷺ قوله: "سورة المائدة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع، من التحليل والتحریم، والأمر والنهي ... وذكر فيها ما لم يذكر في غيرها" (٢).

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

نزل هذا القرآن على قلب رسول الله ﷺ لينشئ به أمة، وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعاً، وليربي به ضمائر وأخلاقاً وعقولاً، وليحدد به روابط ذلك المجتمع، فيما بينه، وروابط تلك الدولة مع سائر الدول، وعلاقات تلك الأمة بشتى الأمم، وليربط ذلك كله برباط قوي واحد، يجمع متفرقه، ويؤلف أجزاءه، ويشدها كلها إلى مصدر واحد، وإلى سلطان واحد، وإلى جهة واحدة، وذلك هو الدين، كما هو في حقيقته عند الله تعالى وكما عرفه المسلمون، أيام أن كانوا مسلمين، نجد سورة المائدة كما وجدنا في السور الثلاث الطوال قبلها موضوعات شتى، الرابطة بينها جميعاً هو هذا الهدف الأصيل الذي جاء القرآن كله لتحقيقه: إنشاء أمة وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع على أساس عقيدة خاصة وتصور معين، الأصل فيه أفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان، وتلقي منهج الحياة وشريعته ونظامها وموازينها وقيمها منه وحده بلا شريك (٣).

نزلت سورة المائدة بعد أن اشتد عود الإسلام في المدينة المنورة، ورسخت أركان الدولة الإسلامية، واستنقام للنبي ﷺ أمر العرب، وأمر المنافقين، ولم يبق في عناد الإسلام إلا اليهود والنصارى، ويبدو أن السورة نزلت منجمة، وأن الفترة الزمنية لنزولها كانت ممتدة بعد صلح الحديبية، الذي حصل في السنة السادسة والنصف للهجرة النبوية إلى عام حجة الوداع.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح (٤٩٩٣)، ١٨٥/٦.

(٢) انظر: التفسير الكامل، آي القرآن الكريم، ابن تيمية، ٤/٣.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٢٣.

وقد وردت الروايات في نزول بعض آياتها بعد الحديبية، وبعضها في حجة الوداع، كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] (١)، وهذه الفترة الزمنية الممتدة من السنة السادسة إلى العاشرة للهجرة قبيل التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، كانت من الأهمية بمكان لاستكمال شرائع الإسلام المتصلة بوجود الأمة الإسلامية، وهويتها، والمحافظة عليها، وترسيخ القيم الإيمانية والتربوية في بناء الشخصية الإسلامية، والمجتمع الإسلامي، وقد احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة، وذكر القرطبي: أن فيها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها، وذلك لاستكمال شرائع الإسلام، وترسيخ دعائم المجتمع الإسلامي، وتمييزه الحضاري والتشريعي (٢).

المطلب الخامس

المحور الأساسي للسورة

سورة المائدة كغيرها من السور المدنية تعني بقضايا ذات الصلة الوثيقة بإقامة الدولة الإسلامية على أسس متينة، وقواعد صلبة، ومبادئ راسخة، لذا فإننا نجد أن المحور الذي تدور حوله هذه السورة الكريمة هو: التشريع القائم على تحقيق العدالة، وتهذيب المجتمع، وتصحيح العقيدة، المؤدي إلى توطيد أركان الدولة الإسلامية (٣).

وقد برزت في سورة المائدة عناية خاصة بالتحدث عن ميثاق الله تعالى للمؤمنين، والحث على الوفاء به شكراً لله تعالى على نعمه، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

وعن ميثاق الله ﷻ لمن كان قبلهم من أهل الكتاب، ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

وقد أرشدت المؤمنين بذلك إلى أن النقض الديني والفساد الخلقي، والانحلال الجماعي، والارتطام في الشهوات والأهواء، والخروج عن حدود الله ﷻ معهم وتكاليفه لهم، والإخلال بما وثقوه

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٧٣.

(٢) انظر: خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٦.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٢٣.

بينهم من التزامات الخير والصلاة، ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣] ، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤] ، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠] ^(١)، وهكذا تبنى السورة من أولها إلى آخرها على حرفين واضحين:

أحدهما: حث المؤمنين على التزام المواثيق والعهود، وتحذيرهم عاقبة إهمالها، أو الإخلال بشيء منها.

والآخر: النعي على أهل الكتاب نقضهم مواثيق الله تعالى وأن هذا كان شأن جميعهم، تلقاه خلفهم الحاضر عن سلفهم الغابر، وأن الحاضرين إذا كانوا نقضوا ما بينهم وبين الله من مواثيق، وبدلوا كتبهم، و خانوا رسله، فإن فيما أصاب سلفهم من عقاب على نكث العهود عبرة لهذا الخلف إذا استمر على خلف السلف، ولا بد أن يصيبهم جزاء نقضهم للعهود، ما أصاب آباءهم وأجدادهم من قبل، وتلك سنة الله تعالى في خلقه، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ^(٢).

وكذلك تحدثت السورة على الأمر بالوفاء بالعهود، وبيان ما أحله الله ﷻ من البهائم، وذكر تحريم المحرمات، وبيان إكمال الدين، وذكر الصيد، والجوارح، وحل طعام أهل الكتاب، وجواز نكاح المحصنات منهن، وتفصيل الغسل والطهارة، وحكم الشهادات والبيئات، وخيانة أهل الكتاب القرآن، ومن أنزله عليه، وذكر المنكرات من مقالات النصارى، وقصة بني إسرائيل مع العمالقة، وحبس الله تعالى إياهم في التيه، وحديث قتل قابيل أخاه هابيل، وحكم قطاع الطرق، وحكم السرقة وحد السرقة، وذم أهل الكتاب، وبيان نفاقهم وتجسسهم، وبيان الحكم بينهم، وبيان القصاص في الجراحات وغيرها، والنهي عن موالاته اليهود والنصارى، والرد على أهل الردة وفضل الجهاد، وإثبات ولاية الله ورسوله للمؤمنين، وذم لليهود في قبائح أقوالهم، وذم النصارى بفساد اعتقادهم، وبيان كمال عداوة الطائفتين للمسلمين، ومدح أهل الكتاب الذين قدموا من الحبشة، وحكم اليمين وكفارتها، وتحريم الخمر، وتحريم الصيد على المحرم، والنهي عن السؤالات الفاسدة وحكم شهادات أهل الكتاب وفصل الخصومات، ومجاورة الأمم رسلهم في القيامة، وذكر معجزات عيسى ﷺ ونزول

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. محمود شلتوت، ص ٢٦٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦١.

المائدة، وسؤال الحق جل وعلا إياه في القيامة تقريباً للنصارى، وبيان نفع الصدق يوم القيامة للصادقين^(١).

المطلب السادس

الأهداف العامة لسورة المائدة

أولاً: بيان العديد من الأحكام الشرعية، مثل أحكام العقود، ونكاح الكتابيات، والوصية عند الموت، الردة، أحكام الطهارة، حد السرقة، حد البغي والإفساد في الأرض، تحريم الخمر والميسر، والمطعومات من ذبائح وصيود، كفارة اليمين، حكم ترك العمل بما أنزل الله ﷻ ... إلى آخر ما هنالك من الأحكام الشرعية، قال العلماء: فيها ثمان عشرة فريضة ليست في غيرها^(٢).

ثانياً: بيان العديد من المواعظ والعبير المستخلصة من بعض القصص التي وردت في السورة مثل: قصة بني إسرائيل مع موسى ﷺ وهي ترمز إلى التمرد والعصيان والطغيان، حيث قالوا لرسولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤] ، وما حصل لهم من التشرد والضياغ والنتيه، نتيجة ذلك^(٣).

وكذلك قصة ابني آدم ﷺ ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٣٠] ، التي ترمز إلى الصراع العنيف بين قوتي الخير والشر، ممثلة في قصة قابيل وهابيل، حيث قتل قابيل أخاه هابيل، وكانت أول جريمة تحدث في الأرض فهي تعرض لنموذجين من نماذج البشرية، نموذج النفس الشريرة الأثيمة، ونموذج النفس الخيرة الكريمة.

كما ذكرت السورة قصة المائدة، التي كانت معجزة لعيسى ﷺ بعد أن طلب منه الحواريون ذلك، وهي تدل على طبيعة بني إسرائيل، ومدى تمردهم وعدم إيمانهم إلا بعد حصول المعجزات^(٤).

(١) انظر: في رحاب التفسير، الشيخ عبد الحميد كشك، ١٠٥٩/٦.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦١/٦.

(٣) انظر: قيس من نور القرآن، محمد علي الصابوني، ص ٧١.

(٤) انظر: قيس من نور القرآن، للصابوني، ص ٧٢.

ثالثاً: تكشف السورة عن الوجه البشع لليهود والنصارى، بما نسبوه لله تعالى مما لا يليق من الذرية والبنين، وبما نقضوا من العهود والمواثيق، وبما حرفوا من التوراة والإنجيل، وتحذر من اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين وبما كفروا برسالة محمد ﷺ إلى آخر ما هنالك من ضلالات وأباطيل.

رابعاً: بيان أن دين الله تعالى واحد، وإن اختلفت الشرائع والأنبياء، وتذكر الناس بنعم الله ﷻ عليهم.

خامساً: بيان عموم بعثة النبي ﷺ وأمره بالتبليغ العام ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩] (١).

سادساً: بيان أصول صلاح المجتمع الإسلامي، من خلال إصلاح النفوس، والوفاء بالعقود والعهود، وتحريم الاعتداء على الآخرين، والتعاون على البر والتقوى، وتحريم التعاون على الإثم والعدوان، وتحريم موالاته الكفار، ووجوب الشهادة بالعدل، والحكم بالقسط والمساواة بين المسلمين.

سابعاً: بيان أحكام المطعومات والمشروبات، من حيث الحل والحرم، وتحريم العديد من العادات التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك، مثل الخمر، والميسر، الأنصاب، الأزلام (٢).

والخلاصة أن من أهم مقاصد السورة أنها تتحدث عن "الوفاء بما هدى إليه الكتاب ... وهي تقرر أصلاً تهدف تأصيله وتحثيمه وهو: أن الحكم بما أنزل الله جوهر الإسلام، وأن ما شرعه الله للناس من حلال أو حرام، هو المنهج الحق الذي ينبغي للمؤمن أن يلتزمه ويتمسك به، فإن تركه وحاد عنه فليس من الإيمان في شيء" (٣).

ثامناً: تقرير أهداف الشريعة الإسلامية ومقاصدها الخمسة وهي:

١- حفظ الدين: ويعد أكبر الكليات الخمسة وأرقاها، ومعناها تثبيت أركان الدين وأحكامه في الوجود الإنساني والحياة الكونية، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله تعالى ويعارضه، كالبدع، ونشر الكفر، والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤] (٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٢.

(٢) انظر المرجع السابق، ٦/٦٢.

(٣) انظر: مساعد النظر، للبقاعي، ٢/١٠٦.

(٤) انظر: علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص ٨١.

٢- **حفظ النفس:** هو الكلية المقاصدية الشرعية الثانية، ومعناها مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] ، ومن أجل حفظ النفس شرعت أحكام كثيرة منها، منع القتل وتشريع القصاص، ومنع التشويه والتمثيل ومعاقبة المحاربين، وقطاع الطرق، والمستخفين من حرمة النفس البشرية، كما أمر بتناول ما تقوم به النفس من أكل وشرب وعلاج، قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢] (١).

٣- **حفظ العقل:** هو الكلية المقاصدية الشرعية الثالثة التي أقرها الإسلام وأثبتها في كثير من المواضع والمواطن، من ذلك اهتمامه بالعقل وجعله شرطاً في التكليف فهماً وتنزيلاً، ومناطقاً في التعامل مع أحوال النفس والكون، اكتشافاً لأسرارها واستنباطاً لقوانينها والاستفادة من خيراتها، وقد أمر الله ﷻ الإنسان بالتفكير والتدبير والتأمل، كما أن الإسلام حفظ العقل، واهتم به من خلال منع ما يعيقه ويعطله، وذلك كمنع المسكرات والمخدرات والمفترتات، وكل ما يغييب العقل عن دوره في التفكير والتدبير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] (٢).

٤- **حفظ النسل:** معناه القيام بالتناسل المشروع عن طريق العلاقة الزوجية الشرعية وليس بالتناسل الفوضوي كما هو عند الحيوانات، أو بعض المجتمعات الإباحية المادية، التي لا تعلم منها لا أصول ولا فروع ولا آباء ولا أبناء، وكذلك حفظ العرض ومعناه: صيانة الكرامة والعفة والشرف، والمعاني الثلاثة المذكورة (النسل والنسب والعرض) تعد المقصد الشرعي الكلي الرابع الذي أقره الإسلام (٣).

٥- **حفظ المال معناه:** إنماؤه وإثراؤه، وصيانته من التلف والضياع والنقصان، والمال كما يقال: قوام الأعمال، لذلك عد مقصداً شرعياً كلياً وقطعياً لدلالة النصوص والأحكام عليه، ومن تلك الأحكام:

(١) انظر: علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ص ٨٢.

(٢) انظر: علم مقاصد الشريعة، نور الدين الخادمي، ص ٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٤.

أ. معاقبة آكلي أموال الناس بالباطل بالحدود والتعزيزات، كمعاقبة السارق بقطع يده، والمحارب أو قاطع الطريق بإحدى العقوبات المنصوص عليها بحد الحرابة في سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ب. تحريم السرقة، والغصب والغش، والرشوة والربا وكل وجوه أكل مال الغير بالباطل.
ج. منع اكتناز الأموال وتكديسها، كي لا يسهم في تعطيل ترويجها والانتفاع بها والاستفادة منها^(١).

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

أولاً: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

قصة المائدة وردت في آخر السورة، حيث طلبها حواريو عيسى عليه السلام فطلبها عيسى عليه السلام من الله ﷻ آية وعيداً، واشترط الله ﷻ لها شروطاً، والسورة من محورها، محاربة عقيدة التثليث، التي يعتقدونها النصارى فارتبط الاسم بالمحور.

ثانياً: المناسبة بين مضمون السورة (المائدة) ومضمون ما قبلها:

يوجد تناسب وتشابه بين سورة المائدة وما قبلها (سورة النساء) ويأتي هذا التناسب والتشابه على وجوه:

١- إن سورة النساء اشتملت على عدة عقود منها الصريح والضمني، والعقود الصريحة تتمثل في التالي:

أ. عقود الأنكحة، وعقد الصداق، وعقد الحلف، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيحَتَهُمْ﴾ [النساء: ٣٣].

ب. عقد المعاهدة والأمان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: ٩٠]، وقوله أيضاً: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ﴾ [النساء: ٩٢]^(٢).

أما الضمني يتمثل في التالي:

أ. عقد الوصية: وهو تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع، سواء كان ذلك في الأعيان أو في المنافع ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ﴾ [النساء: ١٢]^(٣).

(١) انظر: علم مقاصد الشريعة، نور الدين الخادمي، ص ٨٥.

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، ص ٩٥.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ٤٣/٢٢١.

ب. **الوديعة:** هي المال الموضوع عند أجنبي ليحفظه ^(١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

ج. **الوكالة:** وشرعاً تفويض شخص ما له فعله عما يقبل النيابة إلى غيره ليفعله في حياته ^(٢): ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

١- بعد أن ذكر هذه العقود في هذه السورة ناسب أن تفتتح سورة (المائدة) بالأمر بالوفاء بالعقود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

٢- افتتحت سورة النساء بصفة القدرة، وختمت سورة المائدة بتلك الصفة.

٣- افتتحت سورة النساء ببدء الخلق، وختمت المائدة بالبعث، وجزاء الصادقين.

٤- تحدثت سورة النساء عن الحكم بين الناس، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٠٥]، وكذلك ذكر الحكم في سورة المائدة ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ^(٣).

٥- إن سورة النساء مهدت لتحريم الخمر، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ [النساء: ٤٣]، بينما حرمت تحريماً قطعياً في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] ^(٤).

٦- ذكرت سورة النساء أحوال أهل الكتاب ونقضهم للمواثيق، ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقْتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥]، وقد ذكر ذلك في سورة المائدة ﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] ^(٥).

(١) انظر: منهاج الطالبين وعمدة المتقين، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، ١/١٩٥، (ت: ٦٧٦هـ)، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(٢) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد الخطيب الشريني، ٢/٢١٧، على متن منهاج الطالبين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.

(٣) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، ١/٧٧.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦١.

(٥) تفسير المراغي، ٦/٤١.

٧- قد ذكر في سورة النساء مشروعية التيمم عند فقدان الماء، ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٤٣] ، وبنفس الموضوع ذكر في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة:٦] (١).

ثالثاً: مناسبة خاتمة سورة المائدة لفاتحة النساء:

ختمت سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٢٠] ، وافتتحت سورة النساء بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] ، وفي كلا الآيتين حديث عن القدرة لله ﷻ.

وقد اختتمت سورة المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء بقوله تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ... ﴾ [المائدة:١١٩] ، وافتتحت سورة النساء ببدء الخلق وذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] (٢).

١- إن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحاً وضمناً، فالصريح: عقود الأُنكحة والصدقات والحلف والمعاهدة والأمان، والضمني: عقود الوصية والوديعة والوكالة والإجارة (سورة المائدة تحدثت عن الوفاء بالعقود).

٢- وأن سورة النساء مهدت لتحريم الخمر، وسورة المائدة حرمتها البتة فكانت متممة لشيء مما قبلها.

٣- أن معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصارى، مع ذكر شيء من المنافقين والمشركين، وقد تكرر ذلك في سورة النساء وأُطيل فيه في آخرها (٣).

رابعاً: المناسبة بين خاتمة سورة المائدة مع افتتاحية ما بعدها (سورة الأنعام):

لما قال ﷻ في ختام سورة المائدة: ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٢٠] ، ناسب ذلك بيان وتقرير تفردته تعالى بهذا الملك لأنه تعالى خالق السموات

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٩٦/٦.

(٢) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، ص ٨١-٨٢ بتصرف.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٦٠/٢.

والأرض وما فيهن، فقال ﷺ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

قال السيوطي - رحمه الله-: "... لما ذكر في آخر المائدة ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠] ، على سبيل الإجمال... !! افتتح جل شأنه هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، إذ بدأ ﷺ بذكر خلق السموات والأرض، وضم إليه تعالى: أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ثم ذكر تعالى أنه خلق الإنسان، وقضى له أجلاً، وجعل له أجلاً آخر للبعث، وأنه تعالى منشىء القرون، قرناً بعد قرن" (١).

كذلك بين السورتين ارتباطاً من ناحية أصول الدين، واتفاقاً في نواحٍ تشريعية من تحليل أو تحريم، فنجد سورة الأنعام تستهل بتمجيد الله ﷻ بشمول الملك والقدرة، وهذا يلتقي مع قول عيسى عليه السلام في آخر سورة المائدة، وفيه إثبات صفات الكمال له ﷺ.

وكذلك المناسبة في مراعاة الترتيب الزمني بين السورتين، حيث سورة المائدة من أواخر ما نزل في المدينة، وسورة الأنعام مما نزل في مكة، ومع هذا فهناك ارتباط بينهما وهذا من إعجاز ترتيب القرآن (٢).

ذلك لما ختمت سورة المائدة بفصل القضاء بين العباد، وجزاء الصادقين، قال تعالى: ﴿ إِن تَعَدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨-١١٩] ، ناسب ذلك حمده تعالى على نعمة القضاء بين خلقه وعلى نعمة إثابة الصادقين، فاستفتحت سورة الأنعام بالحمد ... كما قال تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥] (٣).

وقال الشيخ أبو زهرة - رحمه الله-: "كان ختام السورة السابقة: إثبات سلطان الله تعالى الكامل وقدرته الشاملة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وفي مستهل سورة الأنعام يبين ﷺ السبب في كمال سلطانه، والمظهر الأعظم، لكمال قدرته ﷺ" (٤).

(١) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور، للسيوطي، ص ٤٧-٤٨ بتصرف.

(٢) انظر: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، لمحمد القاسمي، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) تناسق الدرر كفي تناسب السور، للسيوطي، ص ٤٩.

(٤) زهرة التفسير، الشيخ محمد أبي زهرة - رحمه الله- ، ٢٤٢٩/٥.

خامساً: المناسبة بين مضمون سورة المائدة مع ما بعدها:

ومن أوجه الصلات بين سورتي المائدة والأنعام، التشابه في المضمون، حيث الرد على كثير من الانحرافات العقديّة، التي ضل بها الكافرون، ودحض شبهاتهم، وتفنيدهم مزاعمهم، ففي سورة المائدة يأتي الحديث موجهاً إلى أهل الكتاب مع بيان ضلالات المشركين، وفي سورة الأنعام تبين السورة ما عليه أهل الشرك من أباطيل وأوهام، مع بعض الإشارات إلى ضلالات أهل الكتاب. من هنا نلمس التنوع في العرض والتناسب والتكامل بين سور القرآن، فمع تفرد كل سورة بأسلوبها ومحورها وهدفها إلا أننا نجد التناسب والتناسق بين جميع السور، فالمائدة فيها حجاج لأهل الكتاب، وردُّ على اقتراحهم الآيات، وتقرير لرسالة محمد ﷺ ونبوته للقرآن، ودعوته، والأنعام فيها حجاج للمشركين، ردُّ عليهم في اقتراحهم الآيات، وتقرير لعقيدة التوحيد، ولدعوة محمد ﷺ، فالغرض واحد من السورتين، أو كالواحد، والمغزى والهدف واحد أيضاً^(١).

كذلك تعالج السورتان قضية التحليل والتحريم، فتصحح تلك المفاهيم التي سادت بين المشركين، فدفعتهم إلى تحكيم أهوائهم، وتقديم مصالحهم على شرع الله ﷻ، فتراهم يجرمون ما أحل الله، ويستحلون ما حرم الله^(٢).

كذلك أشارت سورة المائدة إلى استثنائه تعالى بعالم الغيب، وجاءت سورة الأنعام مفصلة ومقررة لذلك فضلاً عن إحاطته تعالى بعالم الشهادة، بكل دقائقه وتفصيلاته^(٣).

(١) تفسير القرآن الحكيم، محمد عبد المنعم خفاجي، ٢٠٣/٧ بتصرف.

(٢) من ذلك ما جاء في سورة المائدة (الآيات: ٤٨-٤٩-٥٠) والآيتان (٨٧-٨٨)، وسورة الأنعام (١٣٩-١٤٠).

(٣) من ذلك ما جاء في سورة المائدة (١٠٩)، وسورة الأنعام (٥٠-٥٩-٦٧)، التفسير الموضوعي لسور القرآن،

إشراف مصطفى مسلم، ٢/٢٤٠.

المبحث الثاني

مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١-٥)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: الوفاء بالعقود، ومنع الاعتداء، والتعاون على الخير

وتعظيم شعائر الله تعالى.

المقطع الثاني: أنواع المحرمات من الأطعمة، وبيان إكمال الدين.

المقطع الثالث: أنواع الحلال من الأطعمة، وأحكام الصيد والنكاح.

المقطع الأول

الوفاء بالعقود ومنع الاعتداء، والتعاون على الخير، وتعظيم شعائر الله تعالى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَعُونَ فُضُلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ١-٢] .

أولاً: المناسبة:

ذكر الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - "أن هناك مناسبة، وترابطاً بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١]، قال - رحمه الله - اعتراض بين الجمل التي قبله، وبين جملة ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [المائدة: ٢]، لذلك أعيد الخطاب بالنداء بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا ﴾ [المائدة: ١]، وتوجيه الخطاب إلى الذين آمنوا مع أنهم لا يظن بهم إحلال المحرمات، يدل على أن المقصود النهي عن الاعتداء على الشعائر الإلهية، التي يأتيها المشركون، عما يأتيها المسلمون" (١).

قال البقاعي - رحمه الله -: "ولما استثنى بعض ما أحل الله تعالى على سبيل الإبهام شرع في بيانه، ولما كان منه ما نهى عن التعرض له لا مطلقاً، بل ما يبلغ محله، بدأ به لكونه في ذلك كالصيد، وقدم على ذلك عموم النهي عن انتهاك معالم الحج المنبه عليه بالإحرام، أو عن كل محرّم في كل مكان وزمان..." (٢).

وقال أبو السعود - رحمه الله -: "لما بين جل وعلا حرمة إحلال الإحرام الذي هو من شعائر الحج عقب ببيان حرمة إحلال سائر الشعائر، وإضافتها إلى الله ﷻ لتشريفها وتهويل الخطب في إحلالها" (٣).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨١/٦.

(٢) نظم الدرر، البقاعي، ٨/٦.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٣/٣.

ثانياً: أسباب النزول:

قال تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ ، أخرج ابن جرير الطبري عن عكرمة قال: "قدم الحطيم ابن هند البكري المدينة، في عير له محمل طعاماً فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولى خارجاً، نظر إليه، فقال لمن عنده، لقد دخل عليّ بوجه، وولى بقفا غادر، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهباً للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقنعوه (١) في عيره، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَوَّعُونَ فُضُلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] ، فانتهى القوم" (٢).

* قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ﴾ ، أخرج بن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: "كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه، حيث جلاهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء، كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] (٣).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

العقد لغةً: هو الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع، والعهد وغيرهما، فيقال: عاقدته، عقدته، وتعاقدنا، وعقدت يمينه، والعقد مصدر استعمل اسماً فجمع نحو: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] (٤).

العقود اصطلاحاً:

العهود، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وقال الزجاج: "العقود أوكد العهود" (٥)، وحكى ابن جرير "الإجماع على أنه يقصد بالعقود، العهود"، قال ابن عباس: والمراد بالعقود هنا

(١) ليقنعوه: أي ليقمعوه ويذلوه، (التفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٥).

(٢) لباب النقول: السيوطي، ١/٧٥.

(٣) المرجع السابق، ١/٧٥.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني، ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١/٥٠٥.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ، يعني ما أحل الله وما حرم، وما فرض، وما حدّ في القرآن كله، ولا تغدروا، ولا تتكثروا، ثم شدد في ذلك، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

والمراد بالعهود: "لقد جاء في زاد المسير في علم التفسير، على خمسة أقوال": (١).

أحدهما: أنها عهود الله ﷻ الكتي أخذها على عباده فيما أحل وحرم، وهذا قول ابن عباس ومجاهد.

الثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله حسن.

الثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحلف الذي كان يفهم، قاله قتادة.

الرابع: أنها العهود التي أخذها الله تعالى على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جرير، وأن الخطاب للكتابين.

الخامس: أنها عقود الناس بينهم من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

وأول عقد قرره الله هو الإيمان بالله، هذا العقد تنبثق عنه سائر العقود، فعقد الإيمان بالله يؤدي إلى الالتزام الشامل والطاعة المطلقة، وهذا العقد أخذه الله (٢).

١- ابتداء مع آدم عليه السلام وهو يسلم مقاليد الخلافة في الأرض بشرط فقال له: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩] ، فهذه الخلافة مشروطة باتباع هدي الله.

٢- ولقد تكرر هذا العهد مع ذرية آدم وهم في ظهور آبائهم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٣- ولقد أخذ الله العهد على بني إسرائيل فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

(١) انظر: : زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٥٠٥/١.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٤١.

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ [المائدة: ١٢] ، لقد كان هذا الميثاق والعقد بين نقباء بني إسرائيل وبين ربهم، ولكنهم كفروا به وحرفوا كتبهم ونسوا شرائعه فلم ينفذوا بنود العقد بينهم وبين الله فاستحقوا بذلك ما نالهم من الله (١).

٤- ثم جاء التعاقد بين أتباع محمد مع ربهم على السمع والطاعة، في المنشط والمكروه، وتعاقدا على الإيمان به والعبودية له، وتعاقدا على القوامة على البشرية بالعدل الذي لا يتأثر بالقرابة أو المصلحة، العدل الذي ينبثق عن القيام لله وحده.

وبذلك يتبين لنا أن العقود ثلاثة أضرب:

- عقد يحدد علاقة الإنسان مع نفسه.

- وعقد يحدد علاقة الإنسان بغيره من البشر.

- وعقد يحدد علاقة الإنسان مع ربه.

وهذه العقود هي أساس كل حياة، وقد أطلق سيد قطب الضوابط التي تضبط حياة الإنسان، يحددها بدقة ووضوح، ويربطها كلها بالله سبحانه، ويكفل لها الاحترام الواجب، فلا تنتهك، ولا يستهزأ بها، ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات المتقلبة، ولالمصالح العارضة، أو تراها مجموعة، أو يراها جيل من الناس فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط، ثم قال: وهذه الضوابط التي أقامها الله وحددها تسمى بالمصالح (٢).

* بهيمة الأنعام:

البهيمة لغة: كل داب أربع قوائم، ولو في الماء، وكل حي لا يميز... والأبهم الأعجم، واستبهم عليه، استعجم، فلم يقدر على الكلام (٣).

وبهيمة الأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم، قاله: الحسن، وقتادة، وغير واحد (٤).

قال ابن الجوزي: في بهيمة الأنعام ثلاثة أقوال هي:

الأول: أنها أجنة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا نبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس، وفي الحديث: «ذُكَاةُ الْجَنِينِ ذُكَاةُ أُمَّه»، من حديث جابر، وهو حديث صحيح (٥).

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٤١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٦/٦٤٠.

(٣) انظر: المعجم القاموس، الفيروز أبادي، فصل الباء، باب الميم، ٤/٨٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٢، وتفسير البغوي، ٢/٦.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين، ح (٢٨٢٨)، ٣/١٠٣، والترمذي، كتاب الأطعمة

عن رسول الله ﷺ باب ذكاة الجنين، ح (١٤٧٦)، ٤/٧٢، انظر: صحيح الترمذي، ٢/٨٣.

الثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسدي.

الثالث: أنها وحش الأنعام، كالظباء، وبقر الوحش (١).

قال ابن عطية: "وهذا قول حسن، وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج، وما انضاف إليها من سائر الحيوانات يقال لها: أنعام مجموعة معها، وكأن المفترس كالأسد، وكل ذي ناب خارجة عن حد الأنعام، فبهيمة الأنعام هي: الراعي من ذوات الأربع... وعلى القول بتخصيص بهيمة الأنعام والإبل، والبقر، والغنم، تكون الإضافة بيانية، ويلحق بها ما يحل مما هو خارج عنها بالقياس، بل النصوص التي في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقد نهى النبي ﷺ "عن كل ذي ناب من السباع فأكله حرام"، وقوله ﷺ: «كُلْ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ فَأَكُلْهُ حَرَامٌ» (٢)، فإنه يدل بمفهومه على أن ما عداه حلال، وكذا سائر النصوص الخاصة كما في كتب السنة المطهرة (٣).

قال ابن العربي: "أما من قال: إن النعم هي الإبل والبقر، والغنم، فقد علمت صحة ذلك دليلاً، وهو أن النعم عند بعض أهل اللغة اسم خاص للإبل يذكر ويؤنث... وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ...﴾ [النحل: ٥-٧]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةٌ وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَبْغُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْآ اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبُّونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْآ اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّأَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٢-١٤٤]، فهذا مرتبط بقوله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةٌ وَفَرَشًا﴾، أي: خلق جنات، وخلق من الأنعام حمولة وفرشاً، يعني كباراً وصغاراً، ثم فسرها بقوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّذَكْرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأُنثَيْنِ أَمْآ اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبُّونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤).

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٥٠٦/١، روي ذلك عن ابن عباس وأبي صالح.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل لحمه، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، ح (١٩٣٣)، ١٥٣٤/٣.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/٢.

(٤) انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ٥٢٩/٢.

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا ﴾ [النحل: ٨٠] ، وهي الغنم، ﴿ وَأَوْبَارِهَا ﴾ وهي الإبل، ﴿ وَأَشْعَارِهَا ﴾ وهي المعزى، ﴿ أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ [النحل: ٨٠].

هذه ثلاثة أدلة تنبئ عن تضمن اسم النعم لهذه الأجناس الثلاثة: الإبل، والبقر، والغنم، لتأنيس ذلك كله، فأما الوحشية فلم أعلمه إلى الآن إلا اتباعاً لأهل اللغة... (١).

* **الشعائر لغة:** جمع شعيرة، مأخوذ من الشعور والإعلام، والمراد معالم دينه.

أشعرها، جعل لها شعيرة، وشعائر الحج مناسكه، وعلاماته، والشعيرة والشعائر والمشعر معظمها، وشعائره: "معالمه التي ندب إليها، وأمر بالقيام بها، وكلما ألقته بشيء أشعرته به، والشعائر جمع شعيرة، على وزن فعيلة... ومنه الإشعار للهدى، والمشاعر المعالم، واحدها مشعر (٢).

* **الهدى:** هداه الشيء، وإليه وله هدياً وهداية، وهدى، فهو هاد يجيء لما يأتي:

أ- فيقال هداه الطريق ونحوه، وإليه عرفه له، وأزال حيرته فيما يسلك تقول: "هديت الحاج طريق مكة"، وقد يحذف أحد المفعولين، أو كليهما للعلم به.

ب- ويقال: "هداه الحق ونحوه، وإليه أرشده إليه، ودله عليه بلطف ويكون ذلك في الخير، وهذا الهدى المنسوب إلى الأنبياء والكتب السماوية، وكذا إلى الوعاظ، ومن جرى مجراهم".

ج- ويقال: هداه إلى الإيمان، دل عليه وأدخله فيه، ووصله إليه، وهذا للهدى المضاف إلى الله ﷻ ﴿ وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [نصّلت: ١٧] ، فاهدوهم: ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ

الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣] ، إطلاق الهداية على الدلالة على الشر، جاء على سبيل التهكم،

ونقول هَدَى، يَهْدِي، هَدَاءً: اهتدى، وصيغة الهداء مغيرة من صيغة الاهداء بالإدغام، فأصل

هَدَى، اهتدى، وأصل يَهْدِي: يهتدي، يَهْدِي: ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا

أَنْ يُهْدَى ﴾ [يونس: ٣٥] (٣)، والهدى واحدة هدية: وهو يجيء لما يأتي:

أ- **فالهدى:** "ما يهدى ويساق إلى البيت الحرام من الإبل، والبقر والغنم، لينحر ويذبح هناك ويتصدق بلحومه".

(١) انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، ٥٢٩/٢.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي فصل الشين، باب الراء، ٥٩/٢.

(٣) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ١٥٠/٥.

ب- **والهَدْي**: ما يلزم الناسك ذبحه في الحرم من الإبل والبقر والغنم، لأمر وقع في بعض شئون النسك، أو لقتل الصيد.

* **القلائد**: قَلَد الشيء، يَقْلِدُه قَلْدًا: لواه، وقلد الحبل: قَتَلَهُ^(١).

ومن هذا أخذت القلادة، وهو ما يُفْتَل، ويجعل حول الرقبة، وقد استعملت بمعنى عام وهو كل ما يجعل حول العنق من خيط، أو فضة أو ذهب، أو نحوهما من أنواع الحلبي، والجمع قلائد، والقلائد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٢]، أي البدن ذوات القلائد، التي تطوق أعناقها بقلائد من لحاء شجر، أو نحوه لعلم أنها مهداة، فالعطف من قبيل عطف الخاص على العام، تشريفًا لذوات القلائد وتنويهاً بشأنها^(٢).

وقيل المراد هو القلائد نفسها، فإن النهي عن إحلالها يستلزم النهي عن إحلال البدن من باب أولى، والقلادة في الهدى: ما قُلِد به من نعل، أو عروة مُزادة، أو لحا شجر أو غيره، وكان الحَرَمِيُّ ربما قُلِد ركابه بلحا شجر الحرم فيعتصم بذلك من السوء، وقيل إن النهي عن التصرف في القلائد ذاتها ببيع أو نحوه، فيجب ألا تمس، وألا يتصدق بها وإن كانت ذات قيمة^(٣).

وقد ذكرت آراء أخرى في تفسير هذه الآية الكريمة: ومثل ذلك يقال في ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ

الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]

* **أمين البيت الحرام**: أي ولا عامدين، ويقال: أَمَمْتُ، وتقديرها: هممت خفيفة، وبعضهم يقول: يَمَّمْتُ، وقال إنني كذاك إذا ما ساءني بلد: يَمَّمْتُ صدر بعيري غيره بلداً^(٤).
الْأَمُّ: القاصدُ، أَمَمْتُ الشيء، قصدته^(٥).

* **ولا يجرمنكم**: من الفعل جَرَمَ، يَجْرِمُ جَرَمًا، ولا يكاد يستعمل إلا في الاكتساب المكروه، وجَرَمَه الشيء: أكسبه إياه، وجرمه على كذا: حمل عليه، وقوله: لا يجرمنكم، أي لا يحملنكم^(٦).

* **شأن قوم**: أي بغضهم، يقال: شأنته أشنؤه: إذا أبغضته...

يقول: لا يحملنكم بغض قوم نازلين بالحرم على أن تقتدوا فتستحلوا حرمة الحرم^(٧).

(١) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ١٥٠/٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٨٨/٣.

(٣) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٣٨٩/٣.

(٤) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، ١٤٦/١.

(٥) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٥/٤.

(٦) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٣١٧/١-٣١٨.

(٧) انظر: المرجع السابق، ١٢٢/١.

* البرُّ: بر، كضرب ونصر، برأ ومبرة، وصله وأحسن معاملته.

البرُّ: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: العطوف على عباده بلطفه وبالإحسان إليهم.

البرُّ: كلمة جامعة لكل صفات الخير، والبر: الكثير الطاعة وجمعه أبرار، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ [آل عمران: ١٩٣] (١).

* الإِثْمُ: أثم يَأْثُمُ من باب علم إِثْمًا، وَأَثَمًا، ومَأْثَمًا، فعل ما نهى عنه فهو آثم، وأثيم، والإِثْمُ والآثام: ما نهى عنه، وقد يطلق على الجزاء المترتب على فعل ما نهى عنه، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، أي: حملته عزته على فعل ما يؤثمه (٢).

* التَّقْوَى فِي اللُّغَةِ: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية.

التَّقْوَى: في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل محافظة آداب الشريعة، وقيل: مجافية كل ما يبعدك عن الله ﷻ، وقيل ترك حظوظ النفس، ومباينة النهي، وقيل: ألا ترى في نفسك شيئاً سوى الله تعالى، وقيل: ألا ترى نفسك خيراً من أحد وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم هو الذي اتقى مبايعة الهوى، وقيل: الاقتداء بالنبي ﷺ قولاً وفعلاً (٣).

قيل هذه التقوى: تجنب القبيح خوفاً من الله تعالى، وأصلها الوقاية، وعند أهل الحقيقة التحرز بطاعة الله تعالى، عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة، وقيل التحرز من المخاوف والتشعر للوظائف، وقيل حفظ الحواس، وعد الأنفاس، وقيل: تنزيه الوقت عن موجبات المقت (٤).

رابعاً: البلاغة:

﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ استعارة، استعارة الشعيرة، وهي العلامة للمتعبات التي تعبد الله ﷻ العباد بها من الحلال والحرام.

(١) انظر: مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ١/١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ١/٥٦.

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين بن زيد العابدين، ١/١٠٦.

(٤) انظر: التعريفات، الجرجاني، ١/٦٥.

﴿وَالْقَالَتِ﴾ أي ذوات القلائد، وهي عطف خاص على عام.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ فيه ما يسمى بالمقابلة في علم البديع^(١).

خامساً: القراءات التي لها علاقة بالتفسير في السورة:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

القراءات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿شَنَا نُ﴾:

قرأها ابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، بإسكان النون، ﴿شَنَانُ﴾ ، وقرأها الباقون بالفتح ﴿شَنَانُ﴾^(٢).

معنى القراءات:

قراءة الإسكان على أنها مصدر لـ "شنيء"، نحو: لوبيته ليئناً، فليان مصدر على وزن فعلان، فيكون المعنى: لا يكسبكم شنانكم قوماً، أي بغضكم قوماً لأن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء.

"ويجوز أن يكون صفة، ومعناه مُبغض قوم، أو بغيض قوم، والتقدير على هذا: لا يحملنكم بغيض قوم: أي عداوة بغيض قوم"^(٣).

وقراءة الفتح "شَنَانُ" على أنها مصدر "شناً" أي بالغ في بغضه، والمصدر يكثر على فلان، فيكون مصدراً مضافاً إلى المفعول، أي لا يحملنكم بغضهم لقوم، ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل، أي بغض قوم إياكم"^(٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٤.

(٢) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح القاضي، ١/٨٩، والتبيان للعكبري، ١/٤١٦.

(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، ١/٤٠٤، ومفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، ٤٦٥.

(٤) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء العكبري، ص ٢١٣.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾، "قرأ ابن كثير وابن عمر بكسر الهمزة "إن صدوكم"، وقرأ الباقر بفتحها" (١).

معنى القراءات:

"قراءة الكسر، أنه جعله أمراً منتظراً، وهي شرط، والمعنى: إن يصدوكم مثل ذلك الصد الذي وقع منهم، أن يستديموا القيد، وإنما قدر بذلك لأن الصد قد وقع من الكفار للمسلمين" (٢).
ودل على ذلك أن في حرف ابن مسعود، إن يصدوكم، فالكسر يدل على أمر لم يقع (٣)، و"إن" للشرط والصد منتظر وقوعه، على معنى "إن هم صدوكم" وقد تقول ذلك، وقد فعلوا كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] (٤).

وقراءة الفتح على أنها مصدرية، والتقدير: لأن صدوكم على أن الصد قد وقع من المشركين عام الحديبية، فيكون قد مضى، لأن الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان، وصد المشركين المسلمين عن البيت الحرام، عام الحديبية سنة ست (٥).

* العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت القراءة الأولى: (شئان... أن صدوكم) أي لا يحملنكم بغض أهل مكة أن صدوكم عن المسجد الحرام عام الحديبية، فيما مضى، أن تعتدوا فيه، فتقاتلوهم وتأخذوا أموالهم إذا دخلتموه.
أما القراءة الثانية: (شئان... إن صدوكم) فقد أضافت النهي عن الصد وتجاوز الحد في الاعتداء إن حدث من المشركين صد للمسلمين في المستقبل فهي تقول لهم: لا يحملنكم بغض أهل مكة، وصدهم إياكم فيما هو آت، أن تعتدوا وتتجاوزوا الحد فيما لا يحل لكم، من الغارة على المعتمرين من المشركين (٦).

فالقراءتين تنهى المسلمين عن الاعتداء على المعتمرين الأمنين لصد وقع منهم في الماضي، أو لما يتوقع منهم من صد في المستقبل، والله تعالى أعلم.

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٢/٢٥٤.

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، ١/٤١٧.

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، القيسي، (ت: ٤٣٧)، ١/٢١٨.

(٤) انظر: معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، ٢/٤٦٠.

(٥) انظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب، ١/٤٠٥، وحجة القراءات، أبو زرعة

ابن زنجلة، ١/٢٢٠، ومشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ١/٢١٨.

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١/٥٠٩.

سادساً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ في الاستثناء الوارد في هذا الموضع قولان:

الأول: أن (إلا) استثناء، وفي هذا الاستثناء قولان:

١- أنه استثناء متصل، وفي محل المستثنى (ما) عدة أوجه^(١):

أ. النصب، لأنه استثناء متصل من موجب.

ب. الرفع على أنه نعت لـ (بهيمة)^(٢).

٢- أنه استثناء منقطع، والمستثنى (ما) في محل نصب أيضاً^(٣).

الثاني: أن (إلا) حرف عطف، وما بعدها عطف على ما قبلها^(٤).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: أحلت لكم بهيمة الأنعام، إلا محرم ما يتلى عليكم، أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه^(٥)، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾ [المائدة: ٣]، أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا الميتة، وباقي ما ذكر في الآية.

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٧٧/٤-١٧٨، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، ١٦٧/٧، والمحزر الوجيز، ابن عطية، ١٤٥/٢.

(٢) يجوز ورود المستثنى بعد الكلام التام الموجب مرفوعاً، انظر: دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عزيمة، ٢٤٢/١، ودليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، ٤٣١/١، وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين بن مالك، ص ٤١، ٤٢.

(٣) المستثنى بـ (إلا) إذا كان تاماً موجباً، فيجب نصبه على الاستثناء في الأغلب، ولا فرق في ذلك بين المتصل والمنقطع.

(٤) ذكر هذا الوجه بعض الكوفيين، انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٩/٤، ولا يجيزه البصريون، ولو سلمنا جدلاً بجواز وقوعه، فإن المعنى يختل، فيصبح: أحلت لكم بهيمة الأنعام وما يتلى عليكم أيضاً أحلت لكم، والمثلو عليهم هو في أصله حرام وليس بحلال، وعليه فالمعنى ظاهر البطلان والله أعلم.

(٥) وذلك لأن ما يتلى هو الألفاظ القرآنية، فلم يصح استثناءه من بهيمة الأنعام، إلا بتقدير المضاف أو الفاعل، انظر: حاشية محي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح القوجوي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد عبد القادر شاهين.

المعنى الثاني: أحلت لكم بهيمة الأنعام لكن ما يتلى عليكم تحريمه من الطباء، ويقر الوحش وحمرة، فهو محرم عليكم صيده حال الإحرام^(١)، فنقيد تحليل بهيمة الأنعام على الإطلاق، ويكون المتلو عليهم تحريمه مخصوص بما ذكر فقط، وهو نوع آخر غير بهيمة الأنعام، والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿عَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ .

في الاستثناء الوارد في هذا الموضع قولان:

الأول: أن (غير) حال، واختلف في صاحب الحال على أربعة أوجه^(٢):

- ١- أنه حال من الضمير المجرور في (لكم).
- ٢- أنه حال من فاعل (أوفوا).
- ٣- أنه حال من الضمير المجرور في (عليكم).
- ٤- أنه حال من الفاعل المقدر الذي حذف وأقيم المفعول مقامه في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةٌ﴾ .

الثاني: أن (غير) منصوبٌ على الاستثناء المكرر، ف (غير) و (إلا ما يتلى) مستثنيان من شيء واحد، وهو (بهيمة الأنعام).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: أحلت لكم بهيمة الأنعام حال تحريم الصيد عليكم وأنتم حرم^(٣)، وهذا المعنى على القول بأن (بهيمة الأنعام) هي: الإبل، والبقر، والغنم، ويكون المراد بتقييد إحلال (بهيمة الأنعام) بحال تحريم الصيد حال الإحرام، وهو إظهار الامتتان على المؤمنين بتحليل ما عدا المحرم في تلك الحال، فإن حرمة الصيد في حالة الإحرام من مظان حاجتهم إلى إحلال غيره حينئذ، فكانه قيل: أحلت لكم الأنعام مطلقاً حال كونكم ممنوعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الأوقات^(٤).

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٧٨/٤.

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٧٨/٤-١٨٠، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٩/١، واللباب، ابن عادل، ١٦٨/٧.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٧٨/٤، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، وفتح القدير، الشوكاني، ٨/٢.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٤/٢، وفتح القدير، ٨/٢.

فأفاد هذا المعنى أن ما كان منها صيداً^(١) فهو حلال في الإحلال دون الإحرام، وما لم يكن صيداً فإنه حلال في الحالين جميعاً^(٢).

وعلى القول بأن (بهيمة الأنعام) الوحشي منها والظباء ونحوها، فيكون المعنى: أحل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند إحرامكم^(٣).

قال السمين الحلبي: "ولو أريد هذا المعنى من الآية الكريمة، لجاءت به على أحسن تركيب وأفصح"^(٤).

المعنى الثاني: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود حال تحريم الصيد وأنتم حرم، فقد أحلت لكم بهيمة الأنعام في جميع أحوالكم - في الإحلال والإحرام-، إلا ما يتلى عليكم تحريمه^(٥).

وعلى هذا المعنى، فإن الله ﷻ يأمر عباده المؤمنين بأن يوفوا بعقود الله التي أوجبها عليهم وعقدتها فيما أحل لهم وحرم عليهم، ومن هذه العقود تحريم الصيد حال الإحرام، فيجب على المؤمنين التزام ما أحل الله في وقته ومكانه، والتزام ما حرم الله في وقته ومكانه، فالله يحكم ما يريد، لا راد لحكمه، فعلى المؤمنين أن يوفوا بعقود الله وعهوده، ولا ينقضوها ولا ينكثوها^(٦).

وفي هذا إشارة إلى أنه لا يجوز للإنسان أن يعترض على الأحكام الشرعية، بل يجب عليه السمع والطاعة، والله أعلم.

(١) الصيد هنا بمعنى المفعول، وهو المصيد نفسه، وهو الحيوان المأكول المتوحش، فما كان على هذه الصفة فهو (صيد)؛ لأن (الإنسي) ليس بصيد، وغير المأكول لا يطلق عليه اسم الصيد، ويجوز أن يكون بمعنى المصدر، أي: إمسك الحيوان المأكول المتوحش، انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٠/٦، والغريبي في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، ١١٠٧/٤.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧٩/١١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٨/٦، وقال ابن عاشور: "وهذا نسج بديع في نظم الكلام استقيد منه إباحة وتحريم: فالإباحة في حال عدم الإحرام، والتحريم له في حال الإحرام"، التحرير والتنوير، ٨٠/٦.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٣/٣.

(٤) الدر المصون، السمين الحلبي، ١٧٩/٤، وانظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ١٦/٢.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري، ٤٤٧/٩.

(٦) وأنقل حول هذا المعنى كلاماً جميلاً للشيخ الشعراوي قال فيه: وبذلك يؤدب الحب ﷻ خلقه، ويجعلهم على ذكر دائم للمنهج، فيأتي لهم في مكان ويقول لهم: الصيد محرم في هذا المكان، والطعام والشراب محرم في هذا الزمان، وعدة الشهور عندنا كمسلمين اثنا عشر شهراً، أربعة منها حُرْم، وهكذا، وعندما يأتي المسلم إلى الميقات فإنه يُحْرِم، فما كان من الحلال أن يفعله قبل الميقات، وقد منعه الإسلام منه، لا يجزؤ أن يفعله بعد الميقات والإحرام، فيُحْرِم الصيد على الحاج فقط، وهذا انضباط إيماني، فيحرم على المسلم بعض الأمور التي تُحِلُّ له قبل الإحرام، حتى يستعد لما يشحن أعماقه بالوجود مع المنعم لا مع النعمة، وهذا هو التهيؤ للدخول إلى بيت المنعم، فيضع المسلم النعمة على جانب ليبقى مع المنعم، ولتستعد كل النفوس للقاء المهابة، تفسير الشعراوي، ٢٨٩٥/٥ باختصار وتصرف.

المعنى الثالث: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم تحريمه حال تحريم الصيد وأنتم حرم، وهذا المعنى على القول بأن المتلو عليهم هو المذكور في قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾.

وعلى القول بأن المتلو عليهم هو الصيد، فيكون المعنى: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم من وحشيتها حال تحريم اصطيادها وأنتم محرمون^(١).

المعنى الرابع: أحل الله لكم بهيمة الأنعام حال تحريمه الصيد وأنتم حرم.

وعند النظر نجد أن هذا الأسلوب ليس من الشائع المشهور في لغة العرب، فلا يؤتى به (حال) صاحبه غير مذكور، وإلا فما فائدة (الحال) في هذه الحالة^(٢)، والله أعلم.

المعنى الخامس: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم وإلا الصيد وأنتم محرمون، ف (غير) و(إلا ما يتلى) مستثنيان من شيء واحد، وهو (بهيمة الأنعام)، وهذا المعنى على القول بأن (الأنعام) في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ...﴾ تشمل الإنسي من الإبل، والبقر، والغنم، والوحشي كالظباء، والبقر، والحمير، فاستثنى من الإنسي بقوله: (إلا ما يتلى)، واستثنى من الوحشي الصيد في حال الإحرام^(٣).

وهذا القول فيه "تعسف؛ لأن استعمال (غير) في الاستثناء قليل^(٤)، والحمل على القليل

النادر مع جواز الوجه الشائع تعسف لا يُحمل عليه الكلام البليغ، مع أن أداة الاستثناء دخلت على إحلال الصيد لا على الذي صيد حال الإحرام، ولا يخفى أن استثناء إحلال الصيد من البهيمة تعسف ظاهر"^(٥).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٤٤٧/٩، وقد رد الطبري هذا المعنى بأنه لو كان المتلو عليهم هو الصيد لقليل:

إلا ما يتلى عليكم من الصيد غير محليه، ولكن لما ظهر ذكر الصيد في قوله [غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ]، انتفى هذا المعنى، فليس من الفصيح أن يُذَكَّرَ الشيء باسمه مرة أخرى بعد ذِكْرِهِ، ثم قال: "وتوجيه كلام الله جل ثناؤه إلى الأفصح من لغات من نزل كلامه بلغته أولى ما يُجد إلى سبيل من صرفه إلى غير ذلك"، جامع البيان، ٤٤٩/٩، وقد نبه الإمام الطبري في كلامه إلى ما ينبغي على المعرب أثناء إعرابه لكلام الله تعالى، وهو أن يُخَرِّجَ الإعراب على الوجه القوي والفصيح لا على الضعيف، ومن ثم فقد رد الطبري هذا القول الضعيف.

(٢) وقد ضعّف هذا الوجه السمين الحلبي وأبو حيان من ثلاثة أوجه، انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٧٩/٤-١٨٠، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٩/٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢/٢.

(٤) الأصل في (غير) أن تكون صفة تفيد المغايرة، وليس الأصل فيها أن تكون للاستثناء بخلاف (إلا)، ولكونها تفيد المغايرة حُمِلت على (إلا) في الاستثناء، انظر: معاني النحو، د. فاضل السامرائي، ٢٢٦/٢.

(٥) حاشية زادة على البيضاوي، ٤٦٦/٣.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ .

اتفق المعربون على أنها مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، واختلفوا أيضاً في صاحب الحال على قولين ^(١):

الأول: أنها حال من (محلي الصيد) ^(٢).

الثاني: أنها حال من الضمير المستكن في (محلي).

المعنى التفسيري بناءً على الوجه الإعرابي الثاني:

أي: غير مستحلي الصيد حال كونكم محرمين، ففيها تحريم الصيد للمُحْرَم، والمُحْرَم أو الحرم: هو من تلبس بالإحرام لحج أو عمرة، أو دخل في حرم وإن لم يكن محرماً، فيشمل الوجهين ^(٣).

وعليه فقد جاءت أداة الاستثناء (غير) بالحالين الدالين على مغايرة الحالة المأذون فيها، والمعنى: غير مستحلي الصيد حال كونكم محرمين، أو في حالة الإحرام، وهذا من بدیع إيجاز القرآن الكريم ^(٤).

وأختتم هذه الآية بما قاله ابن عطية: "وهذه الآية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة ألفاظها لكل ذي بصر بالكلام، ولمن عنده أدنى إبصار" ^(٥).

ولذلك فقد استشكلت هذه الآية على العلماء، فقال ابن عطية أيضاً: "وقد خَلَطَ الناس في هذا الموضع في نصب (غير) وقدروا فيها تقديمات وتأخيرات..." ^(٦).

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٨٥/٤-١٨٦، ومشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، ٢١٧/١، واللباب، ابن عادل، ١٧٣/٧.

(٢) وهذا القول ضعيف من جهة الصناعة النحوية، وقد ذهب إلى هذا القول الزمخشري في الكشف، ١٩١/٢، فيجعل جملة (أنتم حرم) حال من نفس (محلي) مما يستلزم منه وقوع الحال من المضاف إليه في غير المواضع المستثناة، فمجيء الحال من المضاف إليه المجرور بالإضافة لا يجوز إلا في ثلاث مسائل، انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ٢٣٣/٢-٢٣٥، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ودليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله ابن صالح الفوزان، ٤٦٨-٤٦٩، دار المسلم للنشر والتوزيع.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧٩/١١، والإكليل، السيوطي، ص ١٠٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٠/٦.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٤٥/٢.

(٦) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

وقال السمين الحلبي: "وقديماً وحديثاً استشكل الناس هذه الآية" (١).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ... ﴾ [المائدة: ٢].

* **الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَا آمِينَ ﴾.**

تحتل كلمة (ءاميين) وجهين من الإعراب (٢):

الأول: النصب على أنها صفة لموصوف محذوف.

الثاني: أن تكون على حذف مضاف.

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: يا أيها الذين آمنوا لا تستحلوا قوماً قاصدين البيت الحرام بأن تصدوهم أو تقتلهم أو تؤذوهم، فمن دخل المسجد الحرام كان آمناً، وبما أن اللفظ عام لكل من قصد البيت يبتغي فضل ربه ورضوانه، فيكون النهي شاملاً للمسلمين والمشركين جميعاً (٣)، والله أعلم.

ثم بعد ذلك خُصَّصَ (٤) أهل الشرك بالمنع في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ... ﴾ [التوبة: ٢٨]، فالمشرك لا يُمكن من الدخول إلى الحرم (٥).

المعنى الثاني: وهو قريب من المعنى الأول، وتقديره: لا تحلوا قتال قوم ءاميين، أو أذى قوم ءاميين، فلا وجه لاستحلال قوم آمين البيت الحرام إلا بالصد أو القتل أو الأذى، الله أعلم.

* **الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾.**

إعراب جملة (يبتغون) أنها في محل نصب، وهذا النصب على وجهين:

الأول: أنها في محل نصب حال لـ (ءاميين) (٦).

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٨٤/٤.

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٨٦/٤، التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ٢٠٦/١، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، وإعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ١٧٥/٢، اليمامة، دار ابن كثير، بيروت، ط٧، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ٤٦٥/٩، وأحكام القرآن، ابن العربي، ٢٠/٢.

(٤) من قال بأن اللفظ في المائدة عام يشمل المسلمين والمشركين جميعاً، فقد جعل آية التوبة مخصصة لهذه الآية فتبقى حرمة لاستحلال المسلمين، ومن قال بأن اللفظ خاص بالمشركين فقط، فقد جعل آية التوبة ناسخة لهذه الآية، والله أعلم.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢١٨/١.

(٦) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٨٧/٤، وإعراب القرآن، النحاس، ٤/٢، والتبيان، العكبري، ٢٠٦/١.

الثاني: أنها في محل نصب صفة لـ (ءأمين) (١).

* المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: لا تحلوا قوماً قاصدين البيت الحرام حال كونهم طالبين من الله رزقاً بالتجارة، ورضا الله ﷻ بحجهم وعمرتهم (٢)، فإن كان هذا قصدهم من زيارة البيت الحرام، فلا تتعرضوا لهم بسوء (٣).

وعليه، فعلى القول بأن الآية تشمل المسلمين، فلا إشكال في كون المسلمين يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً، ولكن قد يتساءل البعض عن كون المشركين يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً؟ فالجواب: أن فضل الله واسع يشمل المؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَوَآءًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، ولذلك جاءت الآية بلفظ الربوبية، أما كونهم يطلبون رضوان الله، فهو في ظنهم وطمعهم (٤).

المعنى الثاني: لا تحلوا قوماً قصدتهم من زيارة البيت الحرام ابتغاء فضل الله ورضوانه (٥)، أي: أن ابتغاء فضل الله ورضوانه صفة متأصلة فيهم في كل حال، ومنها حال قصدتهم البيت الحرام.

* الموضوع الثالث: قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾.

يحتمل متعلق الجار والمجرور (من ربهم) وجهين من الإعراب (٦):

الأول: أنه متعلق بنفس الفعل (يبتغون).

الثاني: أنه متعلق بمحذوف صفة لـ (فضلاً).

* المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا قوماً قاصدين البيت الحرام حال كونهم مبتغين من ربهم الفضل والرضوان لا من غيره، وهذا المعنى يشهد له الكثير من الآيات القرآنية، فإن الكفار وإن

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن، مكي، ٢١٧/١، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٤/٤، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٤/٦.

(٢) وهناك أقوال أخرى في معنى (الفضل)، و(الرضوان)، انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٤/٤.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٣/٣، ومحاسن التأويل، القاسمي، ٧/٤.

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٤٧/٢، والكشاف، الزمخشري، ٦٠١/١.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٤/٦.

(٦) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٨٧/٤، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٣/٣، وروح المعاني، الألويسي، ٢٢٣/٣.

كانوا يكفرون بألوهية الله ﷻ، إلا أنهم يؤمنون بربوبيته لخلقه بالملك والرزق والتدبير، مما يستدعي منهم التوجه إليه ﷻ بطلب الرزق بالتجارة، والرضا، والله أعلم.

المعنى الثاني: أي: حال كونهم مبتغين فضلاً كائناً من ربهم، ففي هذا المعنى تأكيد لمصدر الفضل بأنه من الله تعالى لا من غيره، فالفضل إذا أُخذَ بمعنى: التجارة، فقط يظن أنه بجهد واجتهاده ونشاطه قد جاء بهذا الفضل، وأن الله تعالى لا علاقة له به، وهذا ظن خاطئ يبطله هذا المعنى، والله أعلم.

* **الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾.**

القراءات:

في ﴿أَنْ﴾ قراءتان متواترتان، هما ^(١):

الأولى: (أَنْ) بفتح الهمزة على أنها علة للشأن، وهي قراءة: جميع القراء سوى ابن كثير، وأبو عمرو.

الثانية: (إِنْ) بكسر الهمزة على أنها شرطية، وهي قراءة: ابن كثير، وأبو عمرو ^(٢).

التوجيه الإعرابي للقراءات:

بناءً على هاتين القراءتين، فإن (أَنْ) مع ما بعدها وهي كلمة (صدوكم) تحتل وجهين من الإعراب ^(٣):

(١) انظر: النشر، ابن الجزري، ٢/٢٥٤، والتيسير الداني، ص ٩٨.

(٢) استشكلت هذه القراءة على البعض حتى ذهب ابن جريح والنحاس إلى القول: "هذه قراءة منكراً"، ووجه الإشكال: أن الشرط يقتضي أن الأمر المشروط لم يقع، مع أن الصد قد وقع؛ لأن نزول هذه الآية متأخر عنه بمدة، فإن الصد وقع عام الحديبية، وهي سنة ست، والآية نزلت سنة ثمان، فإن مكة كانت عام الفتح في أيديهم، فكيف يصدون عنها؟، انظر: توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية، لغة وتفسيراً وإعراباً، د. عبد العزيز علي الحربي، ص ١٩٦، الدر المصون، الحلبي، ٤/١٩٢، وإعراب القرآن، النحاس، ١/٢٥٦، وقد دفع كثير من العلماء هذا الإشكال، انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ١/٣٢٦، والحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، ٣/٢١٢-٢١٣، وشرح الهداية، أبو العباس المهدي، ٢/٢٦٢-٢٦٣، وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات، أبو الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي، ٢/٣٣٧، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٣/٤٣٧، وعليه فهذه القراءة، وهي قراءة (إِنْ صدوكم) بصيغة الشرط، قراءة سبعية متواترة ثابتة، ولا يجوز ردها أو إنكارها، بل الواجب إثباتها والأخذ بمعناها، والله أعلم.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٤/١٩٢، والمشكل، مكي، ١/٢١٧-٢١٨.

الأول: (أَنْ صَدُوكُمْ) مصدر مؤوّل في محل نصب مفعول لأجله.

الثاني: (إِنْ صَدُوكُمْ) جملة شرطية، (إِنْ) أداؤها، و(صدوكم) فعلها، وجوابها تقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ .

المعاني التفسيرية بناءً على التوجيه الإعرابي للقراءات:

المعنى الأول: لا يحملنكم أيها المؤمنون بغض قوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم، فنهى الله المسلمين في هذه الآية أن يعتدوا على المشركين بما لا يحل لهم شرعاً. فعلى العبد أن يلتزم أمر الله، وألا يجعل حظوظ النفس طريقه، وإنما يسلك طريق العدل، ولو جُنِيَ عليه، أو ظَلِمَ واعتُدِيَ عليه (١).

المعنى الثاني: إن صدوكم الكفار - أيها المؤمنون - عن المسجد الحرام، فلا يكسبنكم صدكم الاعتداء عليهم (٢).

وعلى هذا المعنى فالقرآن الكريم يحذرننا من عدم العدل والإنصاف في التعامل مع الكفار بفعل ما لا يحل شرعاً، والله أعلم.

سابعاً: النداءات في سورة المائدة:

نادى الله ﷻ المؤمنين بوصف الإيمان، ليحثهم على امتثال ما يكلفهم به، فإن شأن المؤمنين الانقياد لما يكفون به من ربهم، يا من اتصفتم بالإيمان، ونبذتم كل ما يدعو إليه الشيطان أوفوا بالعقود، أي العهود التي عقدتموها بينكم، وبين ربكم، أو بين الناس (٣).

حيث اشتملت السورة على ستة عشر نداءً موجهاً من الله ﷻ للمؤمنين خاصة، يعتبر كل منها قانوناً، ينظم ناحية الحياة عند المسلمين، فيما يختص بأنفسهم، وفيما يختص بعلاقتهم مع أهل الكتاب، وها هي على الترتيب (٤).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٢٨، وأضواء البيان، الشنقيطي، ٣٢٥/١، وهذه قاعدة قرآنية عظيمة يوجهنا إليها القرآن الكريم، وهي أن يكون شعارنا العدل والإنصاف في التعامل مع الآخرين، وهذه الآية جاءت بالحض على هذا الخلق مع الكفار، فيحسن بنا أن نلتزم بها، وأن نتخلق بأخلاقها فيما بيننا .

(٢) انظر: شرح الهداية، المهدي، ٢٦٢/٢.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٦/٦.

(٤) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٢٠/٦.

النداء الأول: يطلب الوفاء بالعقود.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ... ﴾ [المائدة: ١].

النداء الثاني: يطلب المحافظة على شعائر الله تعالى، وعدم إحلالها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ... ﴾ [المائدة: ٢].

النداء الثالث: يطلب الطهارة حين إرادة الصلاة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا... ﴾ [المائدة: ٦].

النداء الرابع: يطلب القوامية لله تعالى والشهادة بالعدل ويحذر من الظالم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ... ﴾ [المائدة: ٨].

النداء الخامس: يطلب تذكر نعمة الله ﷻ على المؤمنين بكف أيدي الأعداء عنهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴾ [المائدة: ١١].

النداء السادس: يدعو إلى تقوى الله تعالى وابتغاء الوسيلة إليه، والجهاد في سبيله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ... ﴾ [المائدة: ٣٥].

النداء السابع: يحذر من اتخاذ الأعداء أولياء من دون المؤمنين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ... ﴾ [المائدة: ٥١].

النداء الثامن: يلفت نظر المؤمنين إلى أن المسارعة في موالاتة الأعداء، ردة عن الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ﴾ [المائدة: ٥٤].

النداء التاسع: يدعو إلى شدة الحذر من موالاتة الأعداء.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ... ﴾ [المائدة: ٥٧] (١).

النداء العاشر: يذكر تحريم الطيبات التي أحلها الله تعالى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا... ﴾ [المائدة: ٨٧].

(١) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٧٨.

النداء الحادي عشر: تحريم الخمر والميسر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

النداء الثاني عشر والثالث عشر: يتعلقان بتحريم قتل الصيد في حالة الإحرام.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ... ﴾ [المائدة: ٩٤].

النداء الرابع عشر: يتعلق بالنهي عن سؤال ما ترك الله تعالى بيان حكمه توسعة على عباده.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ... ﴾ [المائدة: ١٠١].

النداء الخامس عشر: يتعلق بتحديد المسؤولية التي يحملها المؤمنون، في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ... ﴾ [المائدة: ١٠٥] (١).

النداء السادس عشر: يتعلق بكيفية الشهادة على الوصية في حالة السفر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ... ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وجملة هذه النداءات، تربية عملية للمؤمنين، وبيان الطريق السوي التي يجب اتباعها في الشعائر والعبادات والمعاملات، والمعاهدات، والنداء للمؤمنين بصفة الإيمان، تذكيراً لهم بأن عليهم أن يعملوا بمقتضى هذا الإيمان، وقوامة التصديق الباطني بوجود الله تعالى والتزام أوامره واجتناب نواهيه (٢).

نداءان من الله تعالى لرسوله:

وقد وجهت السورة النداء إلى النبي ﷺ بصفة الرسالة خاصة مرتين اثنتين، ولم يوجد نداء

له ﷺ بهذا الوصف في غير هذه السورة، هذان النداءان هما:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾

[المائدة: ٤١].

(١) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ص ١٠٢٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٧٩.

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

نداء ان من الله لأهل الكتاب:

ووجهت السورة أيضاً النداء إلى أهل الكتاب مرتين اثنتين هما:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾ [المائدة: ١٥] .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ... ﴾ [المائدة: ١٩] .

وأمرت الرسول ثلاث مرات أن يوجه إليهم النداء في موضوعات ثلاثة في شأن ما يثيرون به الخلاف بينه وبينهم.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تُنْفِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَرْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ... ﴾ [المائدة: ٥٩]

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾ [المائدة: ٦٨] .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧] .

هذه جملة النداءات التي وجهت إلى الرسول ﷺ وإلى المسلمين وأهل الكتاب، أو أمر النبي ﷺ بتوجيهها إليهم في هذه السورة (١).

النداء الأول:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١] .

مسئولية الالتزام التعاقدية:

هذا النداء يقرر الأساس في مسؤولية الالتزام التعاقدية، والالتزام التعاقدية شأن اجتماعي والوفاء والإيفاء: الإتيان بالشيء كاملاً غير منقوص، والعقود: جمع عقد، وهو ما يلتزمه المرء لنفسه أو لغيره، وأساسه قد يكون شأناً فطرياً تدعو إليه الطبيعة، وقد يكون شأناً تكليفاً تدعو إليه العقيدة، وقد يكون شأناً عرفياً يدعو إلى الالتزام والتعاهد.

(١) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٨٠.

ميثاق الإيمان بين الخالق والمخلوقين:

فالفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها وملاً بها الكون بالآيات، والشواهد الدالة على وجوده وعظمته، ثم منح الإنسان عقلاً به يفكر ويستدل، حتى يؤمن بالله تعالى ولا يشرك به شيئاً من دونه، وقد أخذ الله العهد ونبه الإنسان إليه، وأقام عليه الحجة به قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤] (١).

من مقتضيات هذا الميثاق التزام التشريع الإلهي وحده:

والإيمان بالله ورسله وكتبه، بمثابة عقد بين المؤمن، وبين الله تعالى في أن تمثيل أوامره، وتجنب نواهيه، ويتبع إرشاداته التي تضمنها كتابه، وبينها رسوله، وألا يحيد عنها قيد شعرة فضلاً من أن يستبدل غيرها بها، ويعتمد عليه في تنظيم حياته الخاصة والعامة.

التعاقد محترم إلا ما أحل حراماً، أو حرم حلالاً:

والارتباط بين الإنسان وأخيه الإنسان فيما لا يحرم شيئاً أحله الله تعالى أو يحل شيئاً حرمه الله تعالى عقد يجب الوفاء به، والارتباطات بين الناس ذات ألوان شتى، وأنواع مختلفة وكلها واجبة الوفاء إلا ارتباطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً، فالعقود التي يكره عليها الإنسان وتفقد عنصر الرضا، والعقود التي يتفق فيها على إفساد في الأرض أو استغلال حاجة الضعيف، أو الحصول على أموال من طريق غير مشروع كالقمار والرشوة والاتجار في الخمر والخنزير... الخ، كلها عقود يحرم الوفاء بها، يجب محاربتها والقضاء عليها وتطهير المجتمع منها.

والآية بعمومها تتناول العقود التي تكون بين أمة وأمة، وبين الفرد والفرد، وللقرآن الكريم موقف واضح في هذا النوع من العقود، يطلب فيه ألا يمس التعاقد الأساسي للإسلام، وأن يكون مبنياً على التراضي والاطمئنان من الجانبين، ويكون واضحاً في تحديد هذه الالتزامات والواجبات ولا يدع مجالاً للتأويل، ومحاولة الخروج عن العهدة (٢).

يرى الإسلام أن التعاقد الذي يتضمن انتهاك الحرمة للشخصية الإسلامية في بلاد الإسلام كالحكم في الأعراض والأموال بغير ما أنزل الله تعالى وكمنح غير المسلمين في بلاد الإسلام

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٨١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨٣.

حقوقاً تفسد أخلاقهم، ولا تنتفق وسلطانهم في بلادهم، وتعاقد باطل، يحرم الوفاء به ويجب نقضه، وكذلك التعاقد المأخوذ بسيف القهر، وسلطان القوة، تعاقد باطل.

عهد بين الحاكم والمحكوم:

تتناول الآية بعد هذا كله، عهد الحكم بين الحاكم والمحكوم وكثيراً ما عرض القرآن لهذا العهد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾ [النساء: ٥٨]، هذا من جهة الحاكم، أما من جهة المحكوم، فالطاعة وتنفيذ الأحكام والقوانين ما لم تكن في معصية الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] (١).

ثامناً: ما نسخ من هذه الآيات وما لم ينسخ:

سبق أن تقدم قول عائشة رضي الله عنها لجبير بن نفير: "يا جبير تقرأ المائدة؟ قال: فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت ما وجدتم فيها من حلال، فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه" (٢)، فدل هذا على أن الأحكام التي وردت في سورة المائدة لم ينسخ منها شيء.

أقوال العلماء في هذا:

قال ابن الجوزي: "اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾ [المائدة: ٢]، الآية على قولين:

أحدهما: أنها محكمة، روى ذلك عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة من شيء، وكذلك قال أبو ميسرة في آخرين، قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدى قبل ذبحه، واختلفوا في القلائد، فقال قوم: يحرم رفع القلادة عن الهدى حتى ينحره، وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا القاصدين إلى البيت" (٣).

والثاني: أنها منسوخة، وفي المنسوخ منها أربعة أقوال:

أحدهما: أن جميعها منسوخة، وهو قول الشعبي.

الثاني: أنها وردت في حق المشركين، كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنهى المسلمون بهذه الآية عن التعرض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص ٢٨٣-٢٨٤

(٢) مستدرک الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ٣١١/٢، وقد تقدم تخريجه.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٥٠٨/١.

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... ﴿ [التوبة: ٥] ، وهذا قول الأكثرين.

الثالث: أن الذي نسخ قوله تعالى: ﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ [المائدة: ٢] ، فنسخه قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا... ﴾ [التوبة: ٢٨] ، روي عن ابن عباس وقتادة.

الرابع: أن المنسوخ منها تحريم الشهر الحرام، وأمّون البيت الحرام، إذا كانوا مشركين، وهدى المشركين... قاله أبو سليمان الدمشقي (١).

الأمر بالتقوى:

تكرر الأمر بالتقوى في سورة المائدة إحدى عشرة مرة (٢) وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية منه، ومنه قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣)، أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية من الصدقات وأعمال البر.

وقد اختلفت عبارات السلف في حقيقة التقوى:

قال الراغب: التقوى في تعارف الشرع، حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات، لقوله ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ... الحديث» (٤).

وقال الجرجاني: «التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر».

قال ابن القيم: وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى، فإن كل عمل لا بد من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة، حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة والهوى، ولا طلب المحمدة والجاه، وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله تعالى وهو الاحتساب، ولهذا كثير من ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قوله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ لِيَلَّةِ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٥)، فقوله: «على نور من الله» إشارة إلى الأصل الأول،

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٥٠٨/١.

(٢) انظر: الآيات ٢-٤-٧-٨-١١-٣٥-٥٧-٩٣-١١٢-١٠٨-٩٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ح (١٤١٧)، ١٠٩/٢، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ح (١٠١٦)، ٧٠٤/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ح (٥٢)، ٢٠/١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل ليلة القدر، ح (٢٠١٤)، ٤٥/٣، ومسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، ح (٧٦٠)، ٥٢٣/١.

وهو الإيمان، الذي هو مصدر العمل، والسبب الباعث عليه، وقوله "نرجو ثواب الله"، إشارة إلى الأصل الثاني وهو الاحتساب، وهو الغاية التي لأجلها وقع العمل، ولها يقصد به (١).

ثمرات التقوى وأسبابها:

للتقوى ثمرات عاجلة، وأجلة: منها محبة الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ومنها معية الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾ [النحل: ١٢٨]، ومنها حياة القلوب، وتمييزها بين الحق والباطل، والهدى والضلال، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ومنها تفريج الكرب، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ومنها سعة الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومنها تيسير الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ومنها أن التقوى تنجي من النار، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُجِى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، ومنها أن التقوى هي الموجبة للجنة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣] (٢).

وللتقوى أسباب تحصل بها:

منها: العلم بالله وأسمائه وصفاته، ولذلك كثر في القرآن الكريم اقتران الأمر بالتقوى ببعض أسمائه الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧]، ومن أسباب: "الاجتهاد في العبادة، فإن التقوى هي ثمرة العبادة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، ومنها الدعاء كما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتَّقَىٰ، وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى» (٣) (٤).

(١) انظر: الرسالة النبوية، محمد بن أبي بكر ابن القيم، ص ١٤.

(٢) نقلاً عن معالم منهج تركية النفوس في سورة المائدة، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير، وعلوم القرآن، للباحث: وليد خالد الربيع، إشراف أ.د. حاتم محمد مزروعة، ص ٥٠، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، العام الجامعي: ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر العمل، ح (٢٧٢١)، ٤/٢٠٨٧.

(٤) إعلام ذوي الأفتدة بأحكام سورة المائدة، عبد العظيم بدوي، ص ١١٩-١٣٤ بتصرف.

تاسعاً: التفسير الإجمالي:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

أتى رجل عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إليّ فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ "فارعا سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه" (١).

وهذه الآية التي افتتح الله ﷻ بها هذه السورة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فيها من البلاغة، وما تتقاصر عنه القوى البشرية مع شمولها لأحكام عدة: منها الوفاء بالعقود، ومنها تحليل بهيمة الأنعام، ومنها إباحة الصيد لمن ليس بحرمة (٢).

ففي هذه الآية نداء للمؤمنين للوفاء بالعقود، أي العهود التي عقدها بينهم وبين الله تعالى أو بينكم وبين الناس، وهي التكاليف التي ألزمكم الله تعالى بها والتزمتوها مما أحل الله تعالى وحرّم، وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله تعالى عليهم من الفرائض، وأحكام الحلال والحرام، ومن هذه التكاليف: ما يعقده الناس بعضهم مع بعض من عقود المعاملات، وهذه العقود ستة هي: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين.

قال الرسول ﷺ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شَرْطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةً شَرْطٍ قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» (٣).

فيجب الوفاء بالعقود والعهود بحسب الشروط المنفق عليها، إذا لم تصادم الشرع فلا يجب الوفاء بالتعاقد على المحرمات، مثل حلف الجاهلية على الباطل، كحلفهم على التناصر، والميراث، بأن يقول لشخص آخر إذا حالفه، دمي دمك، وهدمي هدمك، وترثني أرتك.

ثم فصل جل وعلا عقوده على الناس في دينه من تحليل حلاله، وتحريم حرامه ومهد للنهي عن بعض محرمات الإحرام، ببيان نعمه التي تحملنا على الوفاء بالعقود ومن أعظم النعم، إحلال بهيمة الأنعام، أكلاً من طريق الذبح الشرعي (٤).

(١) تفسير ابن كثير، ٧/٢، بتصرف.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٦/٢، بتصرف.

(٣) صحيح البخاري، باب الشروط في الولاء، ح (٢٧٢٩)، ٣/١٩٢.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٦.

والأنعام هي الإبل والبقر والضأن، والمعز وأمثالها، كالظباء، وبقر الوحش، والبهيمة في الأصل هي كل حي لا يميز، فهي تشمل الأنعام وغيرها، سواء أكانت من ذوات أربع، أم لا .

فبمقتضى هذا الإحلال من الله تعالى وبمقتضى إذنه وشرعه، صار حلالاً لكم ومباحاً أن تأكلوا من كل ما يدخل تحت مدلول (بهيمة الأنعام) إلا ما جاء تحريمه، إما حرمة وقتية أو مكانية، وإما حرمة مطلقة في أي مكان، وأي زمان، ثم يأخذ في الاستثناء من هذا العموم... وأول المستثنيات الصيد في حال الإحرام.

﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، والتحريم هنا ينطبق ابتداء على عملية الصيد ذاتها، فالإحرام للحج أو العمرة، تجرد عن أسباب الحياة العادية، وأساليبها المألوفة، وتوجه إلى الله تعالى في بيته الحرام، الذي جعله الله تعالى مثابة الأمان... ومن ثم ينبغي عنده الكف عن بسط الأكف إلى أي حي من الأحياء، وهي فترة نفسية ضرورية للنفس البشرية، تستشعر فيها صلة الحياة بين جميع الأحياء في واهب الحياة، وتأمين من كل اعتداء، وتخفف من ضرورات المعاش التي أحل من أجلها صيد الطير والحيوان وأكله، لترتفع في هذه الفترة على مألوف الحياة وأساليبها، وتتطلع إلى هذا الأفق الرفاف الوضيء (١).

والله ﷻ يقضي في خلقه بما يشاء، ومن ذلك تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه، حسبما يعلمه ﷻ من المصالح لعباده، لا حسب شهواتهم وأهوائهم، فعلى العباد أن يمتثلوا لأوامره ﷻ ويجتنبوا نهيه، وفاء بعهده، سواء أدركوا حكمة التشريع، أم لم يدركوها (٢).

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحْكِمُ مَا يُرِيدُ﴾، فالمقصود بالحكم هنا: القضاء، فهو الذي يقضي بحرمة هذا وحل ذلك، كما يشاء ﷻ ومشيبته منزهة عن العبث، لأنه الحكيم العليم، جلت حكمته ووسعت رحمته، وعظمت رأفته، وليس لغيره أن يحكم على الأشياء بالحل والحرمة لهوى في نفسه، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧] (٣).

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٤٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، عبد الله شحاته، ٦/١٠٢٦.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٦/١٠٦٣.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ... ﴾ ثم يستأنف نداء الذين آمنوا لينهاهم عن استحلال حرمان الله تعالى فبدأ بشعائر الله، والمقصود بها: مناسك الحج والعمرة، وقيل سائر فرائض دينه، من حلال وحرام، وحدود حدها لكم، فأحلال الشعائر يكون باستباحتها، والتهاون بحرمتها، والإخلال بأحكامها والإحلال بينها وبين المنتسكين بها، كما لا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم وهي أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، فلا تقاتلوا المشركين فيها، ولا تبدلوها بغيرها كما كان العرب يفعلون في الجاهلية من عملية النسيء، أي تأخير حرمة شهر حرام إلى غيره^(١).

ولا تحدثوا في أشهر الحج، ما تصدون به الناس عن الحج، ولا تعترضوا الهدى المهدي للحرم، بالغصب، أو المنع من بلوغ محله، حتى لا يصل إلى الكعبة.

وسمي الشهر حراماً لتحريم القتال فيه، وقد نسخ هذا الحكم بأية براءة، قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ... ﴾ [التوبة: ٥]، والهدى: ما يتقرب به المرء من النعم ليذبح في الحرم.

وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد، في معاشهم ومعادهم، فيما بين بعضهم بعضاً، وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين، واجب بينه وبين خالقه، وواجب بينه وبين الخلق، أما بينه وبين الخلق من المعاشرة والصحبة فالواجب عليه فيها، أن يكون اجتماعه بهم، وصحبته لهم، تعاوناً على مرضاة الله ﷻ وطاعته، التي هي غاية سعادة العبد، وفلاحه، ولا سعادة له إلا بها، وهي البر والتقوى، اللذان هما جماع الدين كله، وإذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر، إما تضمناً وإما لزوماً، ودخوله فيه تضمناً أظهر، لأن البر جزء مسمى من التقوى، وكذلك التقوى جزء مسمى من البر، ولا القلائد من الأنعام، لا تنتهكوا أيضاً حرمتها، والمراد بها ذوات القلادة، وهي جمع قلادة، وهي ما قلده به الهدى مما يعلق في عنق البعير، أو غيره من نعل أو عروة فرادة، أو جلد أو قشر شجر أو غيره، ليعلم أنه هدى فلا يتعرض له، وخصت بالبيان مع شمول الهدى لها تشريفاً لها واعتناء، وزيادة توصية بها، لأنها أشرف الهدى^(٢).

﴿ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ أي ولا تعترضوا، ولا تحلو قوماً قاصدين المسجد الحرام، يطلبون من الله الرزق والثواب، والرضا من الله تعالى عنهم، فلا تعترضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيماً لهم، واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم، لأن من دخل البيت الحرام كان آمناً، وكذا من قصده طالباً فضل الله تعالى

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٧.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/٦٨ بتصرف.

وراعياً في رضوانه (١).

ثم إذا فرغتم من إحرامكم، وأحللتم منه، وأنتم في غير أرض الحرم، فقد أبحنا لكم ما كان محرماً عليكم حال الإحرام من الصيد، فاصطادوا كما تشاءون، ولا إثم عليكم في الصيد وأكله، وهذا أمر بعد الخطر، والصحيح أنه لم يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباح فمباح (٢).

ثم تظهر الآيات غاية وقمة العدل الرباني، فالإسلام دين العدل لا يتصيد الأخطاء، ولا يظلم من أجل البغض والشنآن، وليس للهوى في حكمه نصيب، فهذا أمر من الله تعالى لعباده على ألا يكون شدة بغضهم لقوم صدوهم ومنعوهم عن المسجد الحرام، أن يتعدوا حدود الله تعالى فتقتصوا منهم ظلماً وعدواناً، وهذا يؤيده قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] (٣).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وهو كل خير أمر الشرع به، أو نهى عنه، من المنكرات، أو اطمان إليه القلب، ولا تتعاونوا على الإثم، وهو الذنب والمعصية، وهي كل ما منعه الشرع، أو حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس (٤).

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ، والإثم والعدوان في جانب النهي نظير البر والتقوى في جانب الأمر، والفرق بين الإثم والعدوان، كالفرق ما بين محرم الجنس، ومحرم القدر، فالإثم ما كان حراماً لجنسه، والعدوان ما حرم زيادة في قدره، وتعدى ما أباح الله تعالى منه، فالزنا وشرب الخمر والسرقه ونحوها، إثم ونكاح الخامسة، واستيفاء المجني عليه أكثر من حقه ونحوه، عدوان.

فالعُدوان: "هو تعدي حدود الله ﷻ التي قال فيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال في موضع آخر ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، فهي عن تعديها في آية، وعن قربانها في آية أخرى، هذا لأن حدوده ﷻ ، هي النهايات الفاصلة بين الحلال والحرام، ونهاية الشيء تارة تدخل فيه فتكون منه، وتارة لا تكون داخلة فيه، فيكون لها حكم المقابلة، فبالاعتبار الأول: نهى عن تعديها، بالاعتبار الثاني: نهى عن قربانها (٥).

(١) انظر: المصدر السابق، ٩٦/٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١١/٢.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٦٤/٦.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦٩/٦.

(٥) انظر: الرسالة النبوية، محمد بن أبي بكر، ابن القيم، ص ١٠-١٧ بتصرف.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (١).

وفي الصحيح: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (٢).

وعن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «...مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» (٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَا يُرِيدُ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، قال ابن القيم: "ختمت الآيات في السورة الكريمة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى في عدة مواطن من السورة، ومما لا يخفى على المتأمل في السورة الكريمة، ولا شك أن الأسماء الحسنى، والصفات العلى تدل على كمال الله ﷻ وجلاله وجماله، فإذا اقترن أحد الاسمين، والوصفين بالآخر، دل على كمال آخر الله تعالى حصل من اقتران الاسمين أو الوصفين، فهما دالان على كمال الموصوف ﷻ من جهتين، دلالة على الكمال المفرد في الصفتين، ودلالة من جهة اجتماعها في الدلالة على صفة الكمال المقصود، وصفة ذلك: تكثير طرق التعظيم للممدوح ﷻ بتكثير صفات الله تعالى الدالة على عظيمته" (٤).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، قال صاحب الظلال: هو تعقيب التهديد من لا يتقي، ومن لا يفي بالعقد الأول، ومن تجرفه دفعة الشنآن إلى شاطئ العدوان، إنها قمة في ضبط النفس، وفي سماحة القلب، وفي انتهاج العدل، يحدو إليها هذا القرآن، ويأخذ بيد البشر في طريق الإيمان، دون ما عنت ودون ما حرج، فهو يعترف للنفس البشرية بأن من حقها أن تغضب، ومن حقها أن تكره، ولكن ليس من حقها أن تعتدي على النفس مطاوعة لما فيها عن شنآن، ثم يحدو لها بعد ذلك بنشيد البر، ونشيد التقوى، لتتخلص من عقابيل الشنآن، فيكون في هذا تربية للنفس، بعد أن يكون فيها ضمان للعدل، في غير كبت للفطرة ولا إعنات (٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ح (٢٤٤٤)، ١٢٨/٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (٢٦٧٤)، ٢٠٦٠/٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، ح (١٨٩٣)، ١٥٠٦/٣.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم، ١/١٦١، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، إبراهيم بن محمد البريكاني، ص ٥٩.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٤٤.

* التقوى شرط لقبول العمل الصالح:

التقوى: صفة كريمة، ولها آثار مباركة منها: قبول العمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال السعدي: "وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، المتقين لله تعالى، في ذلك العمل، بأن يكون عملهم خالصاً لوجه الله تعالى متبعين فيه لسنة رسول الله ﷺ".

قال القاسمي^(١): "وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متقٍ"^(٢).

ما ترشد إليه الآيات:

هاتان الآيتان السابقتان تضمنت أصول الإسلام في المعاملات والعلاقات الاجتماعية وفيها من الفصاحة، وكثرة المعاني مع قلة الألفاظ، ما لا يخفى على أحد.

والآية الأولى تضمنت خمسة أحكام:

الأمر بالوفاء بالعقود التي يتعاقد بها الناس، ووجوب الوفاء بالتكاليف الإسلامية، فيلزم دفع أثمان المبيعات، ومهور النساء ونفقاتهن، والمحافظة على الوديعة والعارية، والعين المرهونة، وردها إلى أصحابها سالمة، وحفظ مال المستأمن ونفسه، وصون حرمة المعاهد وأسرته وماله، وقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، يدل على لزوم العقد وثبوته، ويقضي نفي خيار المجلس، وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك، وأثبت الشافعي وأحمد هذا الخيار للمتعاقدين، ما دام في مجلس العقد، فلهما الإمضاء والفسخ، لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»^(٣) "إذا تبايع الرجلان، فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا"، وهذا صريح في إثبات خيار المجلس عقب عقد البيع، ما دام المتعاقدان في المجلس، وليس هذا منافياً للزوم العقد، بل هو من مقتضياته شرعاً، فالتزامه من تمام الوفاء بالعقود، أما النذر الواجب الوفاء به، فهو نذر الطاعات كالحج والصيام، والاعتكاف والقيام ونحوهما أما نذر المباح فلا يلزم بإجماع الأمة^(٤).

(١) القاسمي: هو جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره علماً بالدين، وتضلعا في فنون الأدب، ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، (ت: ١٣٣٢هـ)، الأعلام، للزركلي، ١٣٥/٢.

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي، ١٩٤٣/٦.

(٣) المرجع السابق، ١٩٤٣/٦.

(٤) صحيح البخاري، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، ح (٢١٠٠)، ٦٤/٣.

- ١- تحليل بهيمة الأنعام، بالأكل عن طريق الذبح الشرعي.
 - ٢- استثناء المحرمات الآتية بعد في آية (٣) ونحوها، كذا الثابت في السنة مثل: نهيه ﷺ عن (كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير).
 - ٣- استثناء حالة الإحرام فيما يصاد، ومثله صيد الحرميين (١).
 - ٤- إباحة الصيد لمن ليس بمحرم في غير الحرميين.
- ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ تقوية لهذه الأحكام الشرعية المخالفة لعهود أحكام العرب، فالله تعالى يحكم على وفق مشيئة، وحسبما يرى من الحكمة والمصلحة، ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] يشرع ما يشاء كما يشاء.

ودلت الآية الثانية على تحريم التعرض لمناسك الحج، وتجاوز حدود الله فيما شرع، فلا يجوز التعدي على معالم دينه (٢)، وتلك المعالم هي شعائر الله تعالى أي البدن التي تهدى للحرم، وإشعارها: أن يجر شيء من سنامها حتى يسيل الدم، فيعلم أنها هدي، وقال عطاء: شعائر الله: "جميع ما أمر الله تعالى به ونهى عنه"، وقال الحسن البصري: دين الله كله، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، أي دين الله.

وقد أجاز الجمهور الإشعار، ويكون في رأي الشافعي وأحمد وأبي ثور، في الجانب الأيمن لما ثبت عن ابن عباس أن النبي ﷺ أشعر ناقته في صفحة سنامها الأيمن، وقال مالك: يكون في الجانب الأيسر، وقال مجاهد: من أي الجانبين شاء، ومنعه أبي حنيفة وقال: "إنه تعذيب للحيوان، أي مكروه كما صرح الحنفية".

ومن المعالم: حرمة الشهر الحرام وهي أربعة: واحد فرد، وثلاثة سَرْد، وهي: ذي القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، فلا تستحل للقتال، ولا للغارة، ولا تتبدل، فإن استبدلها استحلال، وذلك ما كانوا يفعلونه من النسيء، ثم نسخ تحريم القتال فيها بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...﴾ [التوبة: ٥]، والمراد بها الأشهر التي حرم الله تعالى قتالهم فيها، وضربها أجلاً لهم يسيحون فيها في الأرض، ويفكرون في أمر الإسلام، وليس المراد بها أشهر الحج، أو الأشهر الحرم بالمعنى السابق (٣).

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٧٠/٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٥٠٨/١، ٧٠/٦-٧١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٧١/٦.

ومن المعالم: الهدى والقلائد، فلا تحلوا النعم التي يتقرب بها إلى الله تعالى لتذبح في الحرم، وإحلالها: هو التعرض لها وسلبها، أو الانتفاع بها في غير ما سيقت له من التقرب إليه تعالى، والهدى: "ما أهديت إلى بيت الله تعالى من ناقة أو بقرة، أو شاة وهو في رأي الجمهور عام في جميع ما يتقرب له من الذبائح والصدقات".

وأخذ العلماء من ذلك عدم جواز الأكل من الهدايا التي تقدم للذبح في الحرم، إلا هدي التطوع والقران والتمتع، فإنه يجوز الأكل منها لصاحبها ولالأغنياء، لأنه دم نسك يقدم شكراً لله تعالى على ما أنعم به من التوفيق للعبادة، فيجوز الأكل منه، ولأنه قد صح أن النبي ﷺ أكل من هدي القرآن والتمتع، وحسا من المرقة، فيبقى غيرها على عدم الجواز، لأنها دم مخالقات، وعقوبات وكفارات، فلا يجوز الانتفاع بشيء منها، ووضع القلادة سنة إبراهيمية أقرها الإسلام وهي عند الشافعي وأحمد سنة في البقر والغنم^(١).

وانفقوا فيمن قلد بدنة على نية الإحرام، وساقها: أنه يصير محرماً، قال تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ إلى أن قال ﴿فَاصْطَادُوا﴾ ولم يذكر الإحرام، لكن لما ذكر التقليد عرف أنه بمنزلة الإحرام، فإن بعث بالهدى ولم يسق بنفسه، لم يكن محرماً، وهو مذهب الجمهور: لحديث البخاري عن عائشة قالت: «أَنَا فَتَلْتُ قَلَائِدَ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، ثُمَّ قَلَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِيهِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهَا مَعَ أَبِي، فَلَمْ يَحْرُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْءٌ أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ حَتَّى نُحِرَ الْهَدْيُ»^(٢). وقال الحنفية: "من أهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى تتحرر الهدى"، وهو فيما رواه البخاري عن ابن عباس.

ولا يجوز بيع الهدى ولا هبته، إذا قُلد أو أُشعر، لأنه قد وجب، وإن مات موجه لم يورث عنه، ويذبح في الحرم، بخلاف الأضحية فإنها لا تجب إلا بالذبح، خاصة عند مالك إلا أن يوجبها بالقول، فإن أوجبها بالقول قبل الذبح، فقال: "جعلت هذه الشاة أضحية"، تعينت، وعليه إن تلفت ثم وجدها أن يذبحها.

وقال الشافعي: لا بدل عليه إذا ضلت أو سُرقت، إنما الإبدال في الواجب.

ولا تحلوا قوماً قاصدين إلى البيت الحرام، أي لا تمنعوا الكفار القاصدين البيت الحرام على جهة التعبد والقربة، وهذا كله منسوخ بآية السيف، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يُمكن المشرك من الحج، ولا يؤمَّن في الأشهر الحج، وإن أهدى وقُلد وحج.

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٢/٦.

(٢) صحيح البخاري، باب من قلد القلائد بيده، ح (١٧٠٠)، ١٦٩/٢.

ودل قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ ، على جواز ابتغاء الفضل أي الأرباح في التجارة.

ودل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ على إباحة صيد غير المحرم بعد الانتهاء من أعمال الحج، فهو أمر إباحة بإجماع الناس، لرفع ما كان محظوراً بالإحرام، وقال المالكية: "الأمر على أصوله من الوجوب، وإنما فهمت الإباحة من النظر إلى المعنى والإجماع، لا من صيغة الأمر، وخص الصيد بالذكر، لأنهم كانوا يرغبون فيه كثيراً كبيرهم وصغيرهم".

وأرشد قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ إلى حرمة الاعتداء بالباطل، لأن المعنى: لا يحملنكم بغض قوم أن تتعدوا الحق إلى الباطل، والعدل إلى الظلم، قال عليه السلام: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^(١)، ودل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ...﴾ [المائدة:٢] ، على وجوب التعاون بين الناس على البر والتقوى، والانتهاء عم نهى الله تعالى عنه، وحرمة التعاون على المعاصي والذنوب^(٢)، ويؤكد الحديث: «الدَّالُّ عَلَىٰ الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»^(٣).

(١) سنن أبي داود، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، ح (٣٥٣٥)، ٢٩٠/٣، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٤/٦.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني، باب عمران بن محمد بن سعيد بن المسيب، ح (٩٥٤٥)، ١٨٦/٦.

المقطع الثاني

أنواع المحرمات من الأطعمة، وبيان إكمال الدين

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

أولاً: المناسبة:

- ذكر ابن عاشور - رحمه الله - أن هناك مناسبة وترابطاً بين هذه الآية وبين الآيات السابقة لها، فقال - رحمه الله -: "استئناف بياني ناشئ عن قوله: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١]"^(١).

- قال البقاعي - رحمه الله -: "ولما أتم الكلام على احترام أعظم المكان، وأكرم الزمان، وما لابسهما، فهذب النفوس بالنهي عن حظوظها، وأمر بعد تخليتها، عن كل شر بتخليتها بكل خير، عدد على سبيل الاستئناف، ما وعد بتلاوته عليهم، مما حرم مطلقاً إلا في حال الضرورة"^(٢).

- ومن هذا النقل للمناسبة يتبين أن هذه الآية الكريمة جاءت للإجابة عما تتشوق له نفس المؤمن، فالله تعالى ذكره في: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ١] ولم يذكر، ما تلك الأمور المحرمة، فتشوقت النفس البشرية لمعرفة هذه الأمور، فجاءت هذه الآية للإجابة عن هذا التساؤل الذي هو في النفس.

- ويؤخذ من هذه الآية ومناسبتها: "أنه لما افتتحت هذه الآية بالنداء، باسم الإيمان فدل ذلك على أن الابتعاد عن هذه المحرمات، هو من فعل أهل الإيمان".

- ويؤخذ منها أيضاً: "أن الله حرم كل شيء فيه ضرر على الإنسان، رحمة به، وحفاظاً عليه، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: " لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ "^(٣).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٦/٨٨.

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ٢/٣٩٠.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الأفضية، باب القضاء في المرفق، ح (٢٨٩٥)، ٢/٤٦٧، ورواه ابن ماجة

في السنن، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ح (٢٣٤٠)، ٣/١٠٦، صححه الألباني في

صحيح ابن ماجة، ٢/٢٥٧.

ثالثاً: التحليل اللغوي:

- **الميتة:** "هي ما ماتت وحدها بدون فعل فاعل، وفي الشرع: هي التي لم تذك ذكاة شرعية، وقد حرمت لما فيها من الضرر الغالب أنها ماتت من مرض، وبقي فيها ميكروبه وجراثيمه التي تعيش في الدم بعد الوفاة، أما إذا ذكيت فإن الدم الذي يحمل الجراثيم أو أغلبها ينزل منها" (١).
- **والدم:** المراد به الدم المسفوح - لا المتجمد كالكبد والطحال، وهو مستقذر عند الطبع السليم، والدم الملطخ فهو كاللحم، في أكله لأن الكبد والطحال دمان، وهما حلال (٢).
- **وما أهل لغير الله به:** "أي ذبح لغير الله تعالى وذكر عند ذبحه غير - اسم الله - ومنه استهلال الصبي إذا رفع صوته بالبكاء عند الولادة، وإهلال الحج منه: أي التكلم بإيجابية والتلبية" (٣).
- **المنخقة:** "خنقه يخنقه خنقاً، عصر حلقه حتى يموت فانخنق، وهي ما ماتت خنقاً بأي شكل كان، وهي نوع من الميتة التي لم تذك ذكاة شرعية" (٤).
- **الموقوذة:** وقد: فلاناً يقذه وقذاً، ضربه حتى استرخى وأشرف على الموت، وصرعه وتركه عليلاً، "والموقوذة هي التي ماتت بعضاً أو بجزء بلا ذكاة شرعية وكانوا يأكلونها في الجاهلية، والوقذ يحرم في الإسلام، لأنه تعذيب للحيوان شديد" (٥).
- **المتردية:** "هي التي تتردى من سطح أو جبل، أو حائط، أو تتردى في بئر فتموت، يقال: تردى؛ إذا سقط، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ [الليل: ١١]، أي تردى في النار" (٦).
- **النطيحة:** نطح الحيوان ذو القرن غيره، ينطحه وينطحه نطحاً، أصابه بقرنه وطعنه، وقد يكون النطح مميتاً للشاة المنطوحة، فإذا ماتت قبل أن تذكى فهي نطيحة (٧).
- **وما أكل السبع:** أي افترس بعضه ذو ناب، كالأسد، والنمر، والفهد (٨).

(١) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٦٦/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٠٦٦/٢، ومخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ١٠٦٧/٢.

(٣) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، ١٠٢٢/١، وتفسير الراغب الأصفهاني، ٢٠٦١/٤.

(٤) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٦٦/٢، مخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٧٠/٢.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية بالقاهرة، ١٠٤٨/٢، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك،

١٠٦٦/٢.

(٦) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، ١٠٢٣/١، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ٨٤٠/٢.

(٧) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، ١٠٢٣/١، ومخطوطة الجمل، حسن عز الدين الجمل، ٧٣/٥.

(٨) انظر: المرجع السابق، ١٠٢٣/١.

- **إلا ما ذكيتم:** أي ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه الذبح الشرعي مع ذكر اسم الله عليه عند الذبح (١). وأدرك نكاته، وهو أن تؤخذ له عين تطرف أو ذنب يتحرك، والذكاة بقطع الحلقوم، والمريء، ومستحب أن تقطع مع الودجين (٢).
- **والنصب:** نصب الشيء: وضعه وضعاً نائماً، كنصب الرمح، والبناء والحجر، والنصب: الحجارة تُنصب على الشيء، وجمعه: نصائب، ونُصب، وكان للعرب حجارة تعبد وتذبح عليها، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، قال: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَىٰ النَّصْبِ﴾ [المائدة: ٣] (٣).
- **الأزلام:** وأحدها زُلم، وزَلَم، وهي سهام كانت في الجاهلية، مكتوب على بعضها "أمرني ربي" وعلى بعضها "نهاني ربي"، فإذا أراد الرجل سفراً، أو أمراً يهتم به اهتماماً شديداً، ضرب تلك الأقداح، فإذا خرج السهم الذي عليه "أمرني ربي" قضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه "نهاني ربي" لم يمعن في أمره، فالأزلام قداح كانوا يستشيرونها على العمل أو تركه، فأعلم الله ﷻ أن ذلك حرام، والحكمة من ذلك أنه من الخرافات، والأوهام التي تعوق نشاط الفرد والأمة، ومدعاة إلى الكسل والسير على غير بصيرة وهدى، وتجعل الناس ألعوبة في يد الكهان، والإسلام بريء من هذا كله، ولا فرق بين ذلك وقول المنجمين (٤).
- **ذلكم فسق:** أي أن المذكورات التي حرمها الله تعالى فسق، وخروج عن طاعة الله عز وجل لمن خالف أمر الله فيها (٥).
- **مخمصة:** أي مجاعة، تورث خمص البطن، أي ضموره، يقال رجل خامص أي ضامر. وأخمص القدم، باطنها، وذلك لضمورها (٦).
- **متجانف:** أصل الجنف، ميل في الحكم، فقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢]، أي ميلاً ظاهراً، وعلى هذا غير متجانف لإثم، أي مائل إليه، وهو الميل والجور (٧).

(١) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، ١/١٢٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/١٢٣.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١/٢٩٩.

(٤) انظر: معاني القرآن، للزجاج، ٢/١٤٦، ١٤٧، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/٨٤١، وفي رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٢/١٠٦٧.

(٥) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٢/١٠٦٨.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١/٢٩٩.

(٧) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١/٢٠٧.

رابعاً: الإعراب:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

تحتمل أداة الاستثناء (إلا) وجهين من الإعراب (١):

الأول: أنها استثناء متصل (٢).

الثاني: أنها استثناء منقطع.

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: حُرِّمَ عليكم ما أهل لغير الله به والمنخفة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما أدركتم ذكاته من هذه المذكورات فهو حلال (٣).

المعنى الثاني: حُرِّمَتْ عليكم هذه المذكورات لكن ما ذكيتم من غيرها من بهائم الأنعام فهو حلال (٤).

قال ابن جزي: "وهذا قولٌ ضعيف؛ لأنها ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة، فقد دخلت في عموم الميتة فلا فائدة لذكرها بعدها" (٥).

والذي يظهر للباحث أن هذا الاستثناء متصل أيضاً وليس منقطع، فأصحاب هذا القول يجيزون ذبح هذه المذكورات نفسها إذا وجدت بحال يمكن أن تعيش معها، أو تم إدراك الحياة فيها

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٩٦/٤، واللباب، ابن عادل، ١٩٠/٧.

(٢) والقائلون به اختلفوا: فمنهم من قال: أنه مستثنى من قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾، ومنهم من قال: هو مستثنى من ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ خاصة، والراجح والله أعلم أنه مستثنى من قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ٤٩٣/٩، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٤٥/٢.

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٥٢/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل، عبد الله بن جزي، (ت: ٧٤١هـ)، ٢٢٤/١.

(٥) التسهيل، ابن جزي، ٢٢٤/١.

قبل موتها، فتكون لها حكم السالمة من بهائم الأنعام، فهم يخالفون في الحال التي تصح فيها ذكاة هذه المذكورات، ولا يحرمونها مطلقاً^(١)، والله أعلم.

فيصبح المعنى: حُرِّمَ عليكم ما أهل لغير الله به والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما أدركتم من ذكاته من هذه المذكورات وهي بحال يمكن أن تعيش معها فهو حلال، والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

تحتل كلمة (ديناً) ثلاثة أوجه من الإعراب^(٢) بناءً على معنى (رضيتُ) وهي على النحو التالي:
الأول: إن كانت بمعنى الرضا، كان لكلمة (ديناً) وجهان:

١- أنها حال.

٢- أنها تمييز.

الثاني: وإن كانت بمعنى (جعلتُ أو صيرتُ)، كانت (ديناً) مفعول به ثانٍ.

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: يخبر الله تعالى نبيه وصحابته الكرام أنه رضي واختار لهم الإسلام حال كونه ديناً باقياً إلى انقضاء أيام الدنيا^(٣).

المعنى الثاني: يخبر الله تعالى أنه رضي واختار لهم الإسلام ديناً من بين الأديان، وأنه هو الدين المرضي وحده^(٤)، ويؤكد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾

[آل عمران: ٨٥].

المعنى الثالث: أخبر تعالى أنه جعل وصير لهم الإسلام ديناً يدينون ويطيعون الله ﷻ به، فالزموه ولا تفارقوه وقوموا به شكراً لربكم، ففي هذه الآية امتنان من الله ﷻ عليهم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها^(٥).

(١) وهذا ما ذهب إليه ابن عطية في المحرر الوجيز، ١٥٢/٢.

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ١٩٩/٤، وروح المعاني، الألويسي، ٢٢٩/٣، والتبيان، العكبري، ٤١٩/١.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١٥/٢.

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٦٠٥/١، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٥٥/٤ ومحاسن التأويل، القاسمي، ١٦/٤.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٠/١.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾.

في الاسم (مَنْ) وجهان من الإعراب (١):

الأول: أن تكون شرطية، فتكون كلمة (اضْطُرَّ) في محل جزم فعل الشرط، وجملة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في محل جزم جواب الشرط.

الثاني: أن تكون موصولة، فتكون كلمة (اضْطُرَّ) لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول، وجملة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في محل رفع خبر (مَنْ).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: أي من أَلْجَأَتْهُ الضرورة وهي شدة الجوع - فخاف على نفسه من الموت - إلى أكل شيء من المحرمات التي ورد ذكرها في الآية، حال كونه غير مائل لإثم، فإن حكم الله فيه أنه غفورٌ له، رحيم به، لا يؤاخذ به بتلك المعصية؛ لأن الضرورة هي التي أَلْجَأَتْهُ لذلك، وليس بهدف الاعتداء على ما حرم الله.

المعنى الثاني: إن الذي أَلْجَأَتْهُ الضرورة إلى أكل ما حرم الله مما ورد ذكره في الآية، غير مائل لإثم، فإن الله غفور رحيم، حيث أباح له الأكل في هذه الحال، ورحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص في دينه (٢).

والفرق بين المعنى الأول والمعنى الثاني، أن المعنى الأول جاء بصيغة الشرط، وترتبت المغفرة على تحقق الشرط، فكانت أقوى في الدلالة على الضرورة المبيحة للأكل من الميتة، أما المعنى الثاني فهو فقط من باب الإخبار بأن الذي أَلْجَأَتْهُ الضرورة إلى أكل شيء من المحرم فأكل، فإن الله غفور رحيم، فلم تحمل قوة المعنى الأول، والله أعلم.

خامساً: التفسير الإجمالي:

أولاً: ما حرمه الله تعالى من بهيمة الأنعام إبطالاً لعادات الجاهلية:

كان أهل الجاهلية يأكلون الميتة، ويخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها، وكانوا يضربون الأنعام بالخشب لألهتهم حتى تموت ثم يأكلونها، وكانوا إذا ذبحوا، ذكروا اللات والعزى، ورفعوا بذلك أصواتهم، وكانوا إذا جاع أحدهم، أخذ شيئاً محدداً من عظم ونحوه، فيفصد به بعيره، فيجمع ما

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٠٠/٤.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ٤٩٢/٩ والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٠٩/٦، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٠/١.

يخرج منه من الدم فيشره، وكانوا كذلك إذا أكل السبع شاة أكلوها سواء ماتت، أم لا، ولم يذكرها.

فلما جاء الإسلام حرم ذلك كله، فقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفِقَةُ وَالْمُؤَفَّقَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقُ الْيَوْمِ بِيَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]^(١).

لقد جاءت هذه الآية الكريمة مفصلة لما أجمل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]، الذي جاء استثناء من قوله جل شأنه: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]، وقد بين الله تعالى في تلك الآية أحكام التحريم في عشرة أشياء ذكرتها هذه الآيات على التوالي وهي: (الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخفة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع" ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، وما ذبح على النصب، والاستقسام بالأزلام...).

واعتبر الله هذه الممارسات والأفعال فسق من عمل الشيطان، بل حرم الله على الإنسان المسلم أكله لأنها خروج عن طاعة الله^(٢).

هذا شروع في المحرمات التي أشار إليها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١] ينهى الله سبحانه عباده عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة، وهي ما مات من الحيوانات حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، لما فيها من المضرة، من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين والبدن، فلهذا حرمها الله ﷻ ويستثنى من الميتة السمك، فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، كما روى أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر، فقال: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحَلَالُ مَيْتَتُهُ»^(٣).

(١) انظر: من أحكام سورة المائدة، د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني، ص ٣٨.

(٢) انظر: في رحاب التفسير، ١٠٦٧/٢-١٠٦٨.

(٣) سنن أبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر، ح (٨٣)، ٢١/١، وسنن الترمذي، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، ح (٦٩)، ١٠٠/١، وهو حديث صحيح، انظر صحيح الترمذي، ٢١/١.

ويستثنى كذلك الجراد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَلَّتْ لَكُمْ مَيْتَاتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَاتَانِ، فَالْحَوْتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ»^(١).

* **﴿وَالدَّمَ﴾**: أي الدم المسفوح، المائع الذي يسفح ويراق من الحيوان، لا المتجمد كالكبد والطحال، وما يبقى في اللحم بعد الذبح عادة، بدليل قوله تعالى: **﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾** [الأنعام: ١٤٥]، وسئل ابن عباس عن الطحال فقال: كلوه، فقالوا: إنه دم، فقال: "إنما حرم عليكم الدم المسفوح" أي السائل من الحيوان عند التذكية قليلاً كان أو كثيراً^(٢).

فقد كان أهل الجاهلية، إذا جاع أحدهم يفصد بعيده، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه، ولهذا حرم الله ﷻ الدم المسفوح عن هذه الأمة.

وسبب تحريم الدم المسفوح: أنه مباءة الجراثيم والسموم، وأنه مستقذر طبعاً، ويعسر هضمه، ومن فضلات الجسم الضارة، كالبراز، وأن فصائل الدم مختلفة، ولا تناسب فصيلة غيرها، فهو قدر يضر الأجسام، ولا عبرة بما كان العرب في الجاهلية يفعلونه من أكل الدم المختلط بالشعر، وهو المسمى بالعلهز، وحشو الأمعاء بالدم ثم شيه وأكله^(٣).

* **لحم الخنزير**: ويشمل جميع أجزائه حتى الشحم والجلد، وإنما خص اللحم بالذكر، لأنه المقصود والأهم، وقد نفر الشرع من الانتفاع بجميع أجزاء الخنزير، في قوله تعالى:، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ»، فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ؛ فَإِنَّهُ تُطْبَخُ بِهَا السُّفْنُ، وَتُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: «لَا، هُوَ حَرَامٌ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: " قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ"^(٤).

وسبب تحريم لحم الخنزير، ما فيه من الضرر والقدر لملازمته القاذورات، واحتوائه غالباً على الديدان، كالدودة الشريطية والشعرة الحلزونية وعسر هضمه لكثرة أليافه العضلية ومواده الدهنية، كما أن له طباعاً سيئة مثل: فقدان الغيرة على أنثاه، والطباع تنتقل مع اللحم والأكل، وإذا كانت الحظائر الحديثة ترعى صحياً تربية الخنازير، ويشرف الأطباء على فحص اللحم، فإن هذا لا يبيسر لكل الناس، كما أن الأضرار المعنوية لا يمكن تجنبها، وعلى كل حال يلزم المسلم بتحريم الخنزير مطلقاً، سواء توافرت علة المنع في الوقت الحاضر أو لا لأن المعول عليه شرعاً رعاية

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، ح (٣٣١٤)، ١١٠٢/٢، وقال الألباني حديث صحيح.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٧٦/٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٧٧/٦.

(٤) صحيح البخاري، باب بيع الميتة والأصنام، ح (٢٢٣٦)، ٨٤/٣.

مصالح الناس قاطبة لا أفراد معينين.

يقول ابن عاشور: "وهذا إيماء إلى ما عدا أكل لحم الخنزير من أحوال استعمال أجزائه، فهو كسائر الحيوان في طهارة شعره إذا انتزع منه في حياته بالجز، وطهارة عرقه، وطهارة جلده بالدبغ، إذا اعتبرنا الدبغ مطهراً لجلد الميتة، اعتباراً بأن الدبغ كالذكاة"^(١)، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا دُبِغَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهَرَ»^(٢).

والظاهر مما سبق أنه محرم كله لقوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا»^(٣)، ذلك أن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه.

فقد يكون التحريم شاملاً، والخنزير مستقزراً لحمياً وجلداً، وما استخرج منه.

﴿وَمَا أَهْلٌ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، كان أهل الجاهلية يذبحون باسم أصنامهم، رافعين أصواتهم بذلك^(٤)، فما ذبح فذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى فهو حرام، لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك، وذكر عليها اسم غيره، من صنم، أو طاغوت، أو وثن، أو غير ذلك من سائر المخلوقات، فإنها حرام بالإجماع، والآكل من هذا المذبح مشارك في تعظيم غير الله ﷻ، ﴿وَالْمُنْحَنِقَةُ﴾، هي التي تموت خنقاً ولم تذبح، سواء كان ذلك بفعلها كأن تدخل رأسها في حبل، أو بين عودين، أو بفعل آدمي أو غيره، فينحبس الدم فيها فإنها لا تحل^(٥)، ﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾، هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت -كالضرب بالحجر أو العصا- من غير تذكية.

وفي صحيح مسلم: "عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرْسِلُ الْكِلَابَ الْمُعْلَمَةَ، فَيُمْسِكُنَ عَلَيَّ، وَأَذْكَرُ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «إِذَا أُرْسَلَتْ كَلْبُكَ الْمُعْلَمَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقُلْ: «وَأَنْ قَتَلْتَن؟ قَالَ: «وَأَنْ قَتَلْتَن، مَا لَمْ يَشْرِكْهَا كَلْبٌ لَيْسَ مَعَهَا» قُلْتُ لَهُ: فَإِنِّي أَرْمِي بِالْمِعْرَاضِ الصَّيْدِ، فَأَصِيبُ، فَقَالَ: «إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَرَقَ فُكْلُهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ بِعُرْضِهِ، فَلَا تَأْكُلْهُ"^(٦)، وهذا بيان السنة للقرآن، فما خرقة بالمعروض يكون حلالاً، لأنه من الطيبات، وما

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٥/٤.

(٢) صحيح مسلم، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، ح (٣٦٦)، (٢٧٧/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكته، ح (٢٢٢٣)، ٨٢/٣، وأحاديث

الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح (٣٤٦٠)، ١٧٠/٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٣١/٦.

(٥) انظر: المرجع السابق، ١٠٣١/٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذباح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة، ح (١٩٢٩)،

١٥٢٩/٣.

دخل في التحريم هو إذا أصابه بعرضه فلا يؤكل لأنه وقيد...وكذلك كلب الصيد إذا أرسل على صيد فقتله بثقله ولم يجرحه، أو صدمه، فإن الراجح كما قال ابن كثير في تفسيره: إن الكلب إذا أرسل على الصيد، ولم يجرحه، أو صدمه فإن ذلك وقيد، وقد اختار هذا القول، ورجحه كثير من الأئمة، وهو أشبه بالصواب (١).

في الصحيحين عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: **إِنَّا نَرْجُو - أَوْ نَخَافُ - الْعَدُوَّ عَدَاً، وَلَيْسَتْ مَعَنَا مُدَى، أَفَنْدَبُحُ بِالْقَصَبِ؟ قَالَ: " مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظَّفْرُ، وَسَأَحَدْتُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظَّفْرُ فَمُدَى الْحَبِشَةِ "** (٢).

﴿وَالْمُرْدِيَّةُ﴾، هي التي تقع في مكان شاهق أو عال كجبل أو سطح، أو تهوي في بئر، فتموت بذلك، فلا تحل كالميتة، لا يحل أكلها بدون تذكية، فإن عقرت في البئر في أي مكان حلت للضرورة (٣)، **﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾**: هي التي نطحتها غيرها فماتت من غير تذكية، وإن جرحها القرن، وخرج منها الدم حكمها: كالميتة حرام لا تؤكل شرعاً، **﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾**: وهي التي تقتل بسبب اعتداء حيوان مفترس، كالأسد، والذئب، والنمر، كان قد سال منها الدم، ولو من مذبحتها، كان بعض العرب يأكلون ما بقي من السباع، ولكن الطباع السليمة تأنف ذلك، والكلام هنا فيه إضمار، أي "وما أكل منه السبع"، لأن ما أكله السبع فقد فنى، ثم استثنى تعالى المذبوح شرعاً من جميع ما تقدم من المحرمات غير الميتة والدم، والخنزير، أي: ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته، فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة، فقال: **﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾**: أي إلا ما أدركتموه حياً فذكيتموه على النحو الشرعي (٤).

الذكاة الشرعية، تعريفها، وشروطها:

قال الزجاج: "أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه ذكاء في السن، وهو تمام السن، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً" (٥)

وقد روي عن علي وابن عباس والحسن وقتادة أنهم قالوا: "ما أدركت ذكاته بأن توجد له عين تطرف، أو ذئب يتحرك، فأكله حلال" (٦).

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١٩/٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الشركة، باب القسمة الغنم، ح (٢٤٨٨)، ١٣٨/٣، ورواه مسلم، كتاب الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم، ح (١٩٦٨)، ١٥٥٨/٣، بلفظ مقارب.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨٠/٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٨٠/٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ١٤٦/٢.

(٦) زاد المسير في علم التفسير، ٥١٠/٣.

اختلف الفقهاء في الذكاة هل تحل هذه الأنواع التي لها حكم الميتة.

فالمشهور عن مذهب الشافعية، وهو مذهب الحنفية، أن الحيوان إذا أدرك وبه أثر حياة، كأن يكون ذنبه يتحرك، أو رجله تركض، ثم ذكي فهو حلال.

وقال بعضهم: يشترط في الحياة أن تكون مستقرة، وهي التي لا تكون على شرف الزوال وعلامتها على ما قيل: أن يضطرب بعد الذبح لا وقته^(١).

وروي عن مالك: أنه إذا غلب على الظن أن يهلك فلا يحل، ولا يؤثر فيه الذكاة، وروي عنه قول آخر، ومثل قول الشافعية والحنفية، أنه يحل إذا كان به أدنى ما يدرك به الذكاة^(٢).

وسبب الخلاف بين الفقهاء هو الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ .

هل هو استثناء متصل أم منقطع؟

فمن رأى أنه أخرج من حكم التحريم، ويكون معنى الآية: "إلا ما أدركتموه وفيه بقية حياة، وذكيتموه، فإنه حلال لكم أكله".

ومن رأى أنه منقطع يرى أن التذكية لا تحل هذه الأنواع، وأن الاستثناء من التحريم لا من المحرمات، ومعنى الآية: "حرم عليكم سائر ما ذكر لكن ما ذكيتم مما أحله الله تعالى بالتذكية، فإنه حلال لكم" .

والراجح: أن الاستثناء متصل، لأنه لو تردى الحيوان ولم يمته، ثم ذبح بعد أيام، جاز أكله باتفاق، فلا وجه للقول الآخر، والاستثناء المتصل على ما تقدم يرجع إلى الأصناف الخمسة المنخقة وما بعدها، وهو قول علي وابن عباس والحسن، وقيل أنه خاص بالأخير والأول أظهر^(٣)

كيف تكون الذكاة الشرعية؟

أ- قال مالك: لا تصح الذكاة إلا بقطع الحلقوم والودجين.

ب- وقال الشافعي: يصح بقطع الحلقوم والمريء، ولا يحتاج إلى الودجين، لأنها مجرى الطعام والشراب.

ج- وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وأحد الودجين.

د- وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم.

(١) انظر: تفسير الألويسي، ٢٢٦/٣.

(٢) انظر: روائع البيان، تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، ٥٢٨/١.

(٣) انظر، المرجع السابق، ٥٢٩/١.

وقال ابن قدامة في المغني، إن الإمام مالك قال: برواية أحمد الأولى وهي قطع الحلقوم والمريء والودجين^(١).

وفي ذلك دلالة على أن العلماء مجمعون على أن الأكل في الذبح قطع الأربعة وهي:

- ١- الحلقوم، وهو مجرى التنفس.
- ٢- المريء، وهو مجرى الطعام.
- ٣- الودجان: وهما عرقان يقطعهما الذابح، بينهما الحلقوم والمريء، فإذا نقص الذابح عن ذلك شيئاً دخل في الخلاف.

قال ابن جريج عن عطاء: لا ذبح ولا نحر إلا في المذبح والمنحر، قلت: أيجزئ ما يذبح أن أنحره؟ قال: نعم، ذكر الله ذبح البقرة، فإذا ذبحت شيئاً ينحر جاز، والنحر أحب إلي، والذبح قطع الأوداج، قلت: فيخلف الأوداج حتى يقطع النخاع؟ قال: لا إخال، وأخبرني نافع عن ابن عمر نهى عن النخع، يقول: يقطع ما دون العظم ثم يدع حتى يموت^(٢).

قال الشافعي: النخع أن يذبح الشاة ثم يكسر، قفاها من موضع الذبح، أو تضرب ليعجل قطع حركتها، قال أبو عبيدة: وإنما نهى أن تكسر رقبة الذبيحة قبل أن تبرد، وبين ذلك أن في الحديث "ولا تعجلوا الأنفس قبل أن تزهد"^(٣)، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذكاة في الحلق واللبة^(٤)، وهذا إسناد صحيح^(٥).

خلاصة شروط الذكاة:

الشرط الأول: أن يكون المذكي ممن يمكن منه قصد التذكية، وهو المميز والعاقل.

الشرط الثاني: أن يكون مسلماً أو كتابياً.

الشرط الثالث: أن يقصد التذكية.

الشرط الرابع: أن لا يذبح لغير الله تعالى.

الشرط الخامس: أن لا يهل لغير الله، بأن يذكر عليه غير اسم الله تعالى.

(١) المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، (ت: ٦٢٠هـ)، ٣٧٩/٩، مكتبة القاهرة.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٦٤٠/٩.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ٦٤١/٩، وعزاه إلى أبي عبيد في الغريب عن عمر.

(٤) المرجع السابق: ٦٤٠/٩.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٦٤١/٩، وقال وصله سعيد بن منصور، والبيهقي.

الشرط السادس: أن يسمي الله عليها.

الشرط السابع: أن تكون الزكاة بمحدد ينهر الدم غير سن وظفر.

الشرط الثامن: إنهار الدم في موضعه.

الشرط التاسع: أن يكون المذكي مأذوناً في ذكاته شرعاً^(١).

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾ كانت النصب حجارة حول الكعبة، وهي ثلاثمائة وستون نصباً، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم، ويضعونه على النصب.

فنهى الله ﷻ المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب، حتى لو كان يذكر عليها اسم الله تعالى في الذبح عند النصب من الشرك، الذي حرمه الله تعالى ورسوله^(٢).

الاستقسام بالأزلام: أي محاولة معرفة ما قسم الله له، أو قدر في الأمر من خير، أو شر، والأزلام، جمع زلم: وهي قطعة من الخشب على هيئة السهم الذي لا نصل فيه، وهو الذي يجرح الصيد، ولهذه العملية معنيان: معنى روحي عبادي أو اعتقادي، والآخر مادي.

أما المعنى الروحي العبادي: فهو يشبه عادة التطير، كان أحدهم إذا أراد أن يقدم على عمل أو سفر، ذهب إلى الكعبة، فاستشار الأزلام الموجودة عند الآلهة، وقد كان عند هبل المنصوب على بئر سبعة أزلام، مكتوب فيها ما يتحاكمون فيه، مما أشكل عليهم، فما خرج منها رجعوا إليه.

قال ابن جرير الطبري: "الأزلام عبارة عن قداح ثلاثة، كتب على أحدهما: "افعل"، وعلى الآخر "لا تفعل"، وأغفل الثالث، فإذا أجالها دحركها، فطلع سهم الأمر فعل، أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد، ويفعل ذلك إذا أراد سفرًا أو غزواً أو زواجاً، أو بيعاً، أو نحو ذلك"^(٣).

وأما المعنى المادي: فهو اليانصيب اليوم، الذي هو نوع من القمار، وهو قداح الميسر، وعددها عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة غفل، وكانت تستعمل الأزلام بمثابة نوع من أنواع اللعب بالميسر في الجاهلية.

(١) انظر: رسالة في الزكاة الشرعية، للشيخ محمد العثيمين، ص ٦٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٤١/٣.

(٣) تفسير الطبري، ٤٩٦/٩.

وفي الصحيح أن النبي ﷺ "لَمَّا رَأَى الصُّورَ فِي الْبَيْتِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا فَمُحِيتَ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ بِأَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا اسْتَفْسَمَا بِالْأَزْلَامِ قَطُّ» (١) وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخبروه، بأن يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: " إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ " (٢)

﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي كل هذه المحرمات المذكورة فسق وخروج عن منهج الدين، ورجبة عن شرع الله تعالى إلى معصيته، وتجاوز للمألوف من الحكمة والمعقول.

لما حذر الله تعالى المؤمنين من تعاطي هذه المحرمات المذكورة، حرضهم على التمسك بما شرعه لهم وبشرهم بالغلبة بما يقوي عزيمتهم ويشجعهم، فنزل يوم عرفة، عام حجة الوداع ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يُخْشَوْنَهُمْ وَآخِشُونَ...﴾ [المائدة:٣] السنة العاشرة من الهجرة (٣).

أي يئس الكفار من مشابهة المسلمين، لما تميزوا به من الصفات المخالفة للشرك وأهله، ولهذا قال الله تعالى أمراً عباده المؤمنين أن يصبروا ويثبتوا في مخالفة الكفار، ولا يخافون أحداً إلا الله تعالى فلا تخافوهم في مخالفتكم إياهم، واخشوني أنصركم عليهم، وأبيدهم، وأظفركم بهم، وأشرف صدوركم منهم، وأجعلكم فوقهم في الدنيا والآخرة (٤).

* ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرأون آية من كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] فقال عمر:

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: [وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا]، ح (٣٣٥٢)، ١٣٩/٤.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، باب الدعاء عند الاستخارة، ح (٧٠٣)، ١/٢٤٥، صححه الألباني.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٨٤/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٨/٣.

إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه، على رسول الله ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة، وفي لفظ نزلت عشية عرفة (١) قال سعيد بن جبير: عاش النبي ﷺ بعد ذلك واحداً وثمانين يوماً.

قال ابن كثير: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو الحق والصدق، ولا كذب فيه، ولا خلف" (٢).

وقد أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ، والمؤمنين، أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقص أبداً، وقد رضيته فلا يسخطه أبداً.

فقد جعله الله ﷻ كاملاً لظهوره على الأديان كلها، وغلبته لها، ولكمال أحكامه التي يحتاج المسلمون إليها من الحلال والحرام، ... قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير كآية الريا، وآية الكلاله، ونحوهما، والمراد باليوم هنا "يوم الجمعة" وهو يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، هكذا ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب ﷺ (٣).

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي دعت الحاجة والضرورة في مجاعة والخمص هو الجوع، وهذا الكلام يرجع إلى المحرمات المتقدمة من: الميتة والدم وما ذكر معها، وهو غير مائل لإثم أو حرام حال كون المضطر في المخمصه ولا باغ ولا عاد (٤).

قال ابن كثير: "فمن احتاج إلى تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك، فله تناوله، والله ﷻ غفور رحيم له، لأنه سبحانه وتعالى يعلم حاجة عبده المضطر، وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه، ويغفر له".

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعَاصِيَهُ» (٥).

(١) صحيح البخاري ومسلم، الحديث سبق تخريجه.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٨/٣.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١١/٢.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٢٨٨/٢، وفتح القدير، الشوكاني، ١١/٢، بتصرف.

(٥) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما ح(٥٨٦٦)، ١٠/١٠٧، صححه الألباني.

ولهذا قال الفقهاء: "قد لا يكون تناول الميتة واجباً في بعض الأحيان، وهو ما إذا خاف على نفسه ولم يجد غيرها، وقد يكون مندوباً، وقد يكون مباحاً، بحسب الأحوال" (١).

ولا خلاف في أكل طعام الغير إذا وجده المضطر من غير قطع أو أذى، وهناك لا يحل أكل الميتة ونحوها، ولكن الخلاف هل يضمن ما أكل، والصحيح أنه لا يضمن (٢). وقال ابن كثير: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي في غير بغي ولا عدوان ... وغير مستحله، وليس له من ذلك إلا القدر الذي يبلغه الحلال، وله أن يحمل منه ما يبلغه ذلك، فإذا بلغه ألقاه، وهو قوله ﴿وَلَا عَادٍ﴾.

قال القرطبي: "وأما المخصصة فلا يخلو أن تكون دائمة، أولاً، فإن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع من الميتة، إلا أنه لا يحل له أكلها، وهو يجد مال مسلم، لا يخاف فيه قطعاً، كالتمر المعلق، وحريسة الجبل، ونحو ذلك مما لا قطع فيه ولا أذى" (٣).

قال ابن العربي: "هذا الضرر الذي بيناه يلحق إما إكراه من ظالم، أو جوع في مخصصة، أو بفقر، ولا يجد فيه غيره، فإن التحريم يرتفع عن ذلك بحكم الاستثناء، ويكون مباحاً، فأما الإكراه فيبيح ذلك كله إلى آخر الإكراه" (٤).

وقد روى الإمام أحمد: "أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضٍ تُصِيبُنَا بِهَا الْمَخْمَصَةُ، فَمَتَى تَحِلُّ لَنَا الْمَيْتَةُ؟ قَالَ: إِذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا، وَلَمْ تَغْتَبِقُوا، وَلَمْ تَحْتَفِقُوا، فَشَأْنُكُمْ بِهَا" (٥).

والحكمة من إباحتها هذه المحرمات عند الضرورة:

أن الله تبارك وتعالى رحيم بعباده، يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وقد أباح لهم سبحانه هذه المحرمات عند الضرورة، التي قد تهلك الإنسان، فهو سبحانه رحيم بهم، فمن احتاج تناول شيء من هذه المحرمات التي ذكرها الله تعالى لضرورة ألجأته إلى ذلك، فله تناوله، والله غفور ورحيم له، لأنه تعالى يعلم حاجة عبده المضطر، وافتقاره إلى ذلك، فيتجاوز عنه ويغفر له، وهو سبحانه يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معاصيه، والعبد الفقير إلى رحمة ربه، إذا ألجأته هذه الضرورة، فإنما يعمد إلى رخصة ربه، فيجتنب أكبر الضررين بارتكاب

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٧/٦.

(٤) أحكام القرآن، لابن العربي، ٥٥/١.

(٥) مسند أحمد، باب حديث أبي الواقد الليثي، ح (٢١٨٩٨)، ٢٢٧/٣٦، وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

أخفهما، فإن إثم قتل النفس أعظم من إثم أكل الميتة، بل قد أباحها الله سبحانه عند الضرورة. (١)، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

ما ترشد إليه الآيات:

- ١- أن كل أمر من الله تعالى وكل نهى، وكل تحليل، وكل تحريم لأمة المؤمنين، هو عهد وميثاق بين العباد وربهم سبحانه وتعالى عهد ملزم إن فعلوه أثابهم، وإن تركوه عاقبهم.
- ٢- بينت العهود التي مرت: إن كل الأنعام أكلها حلال، حلله الله تعالى وأن المحرمات هي: الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به عند ذبحه، وكل أنواع الميتات محرمة، ما عدا التي تذكى، وأن المضطر يأكل قدر ما يمسك الرمق.
- ٣- الصيد للمحرم بحج وعمرة حرام، فإذا قضى حجه وعمرته، حل له الصيد خارج منطقة الحرم، وإن أرسل كلبه وصقره للصيد، عليه أن يسم الله عليه، فإذا قبضه وجاء به حل له وإن مات.
- ٤- العدل أساس هذا الدين، لا ينبغي أن ينحرف الناس عنه بسبب الخصومة، والبغضاء، والأذى الذي أصابهم من الفئة التي آذتهم، حين كانوا قلة، وشردوهم من المسجد الحرام، الذي هم أهله، فعليهم أن يعدلوا، وقد مكن الله تعالى لهم، في الأرض فلا يعتدوا على الذين آذوهم من قبل، ولكن فليسموا، وليعلوا فوق الجراحات، ويتعاونوا على البر لا على الشر.
- ٥- الاستقسام بالأزلام من الفسق، وكانوا يتعاملون به كشفاً للغيب، فالإسلام يعتبر التعامل به من المعاصي، وكذلك المحرمات من المطعومات في حالة الخمصة، حلال للضرورة (٢).
- ٦- الكفار يؤسوا من إرجاع المسلمين كفاراً بعد إيمانهم، بشرهم الله تعالى بذلك... ولكن كما قال الرسول ﷺ: "أن الشيطان قد يؤس أن يعبد في بلدكم هذا، ولكنه رضي منكم ما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على أنفسكم".
- ٧- اكتمال الدين اليوم عبادات، ومعاملات، وتشريعات، فلا نقص، ومن أحدث في الدين شيئاً فهو رد.
- ٨- كانوا يسألون رسول الله ﷺ عند ذكر المحرمات، فسألوه عما أحل الله لهم، فأحل الطيبات من المأكولات. (٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥٦/١.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف مصطفى مسلم، ٢٠٤/٢.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (ت: ١٤٢٧هـ)، ص ٢٢٤، دار الهلال، بيروت، ط ١.

المقطع الثالث

أنواع الحلال من الأطعمة، وأحكام الصيد والنكاح

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٤، ٥].

أولاً: المناسبة:

لما ذكر الله تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها، إما في بدنه أو في دينه أو فيهما، واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة، قال بعدها: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ وفي مثل الآية المذكورة في سورة الأعراف، في صفة محمد ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] (١).

ثانياً: أسباب النزول:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكِلَابِ فَقَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أُحِلَّ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي أَمَرْتَ بِقَتْلِهَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ، وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] (٢).

وكان السبب في أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب، هو ما رواه مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قَالَ: أَخْبَرْتَنِي مَيْمُونَةُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، (٣) فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مِنْذُ الْيَوْمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٢/٦.

(٢) المستدرک في الصحیحین، للحاکم النیسابوری، باب تفسیر سورة المائدة، ح (٣٢١٢)، ٣٤٠/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) الواجم: هو الساكت الذي يظهر عليه الكآبة والهم، الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، ٤٥/٤.

وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَلْقَانِي، أَمْ وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي»، قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جَبْرِيْلُ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ»، قَالَ: «أَجَلٌ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ»، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكَلْبِ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ (١).

قال جابر ؓ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الْكَلْبِ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ تَقْدَمُ مِنَ الْبَادِيَةِ بِكَلْبِهَا فَتَقْتُلُهُ، ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِهَا، وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبُهَيْمِ ذِي النُّفْطَيْنِ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ» (٢).
ثالثاً: التحليل اللغوي:

* الطيبات: طيب: يقال: طاب الشيء يطيب طيباً، فهو طيب، وأصل الطيب: "ما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع: ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز، فإنه متى كان كذلك، كان طيباً عاجلاً أم آجلاً لا يستوخم، وإلا فإنه، وإن كان طيباً عاجلاً، لم يطب آجلاً، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وجاء في قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [المائدة: ٥]، أنها بمعنى الذبائح (٣).

* الجوارح: جرح: أثر دام في الجلد، يقال: جرحه، جرحاً، فهو جريح ومجروح، قال تعالى: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]، وتسمى الصائدة من الكلاب، والفهود والطيور جارحة، وجمعها جوارح، إما لأنها تجرح، وإما لأنها تكسب، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، وسميت الأعضاء الكاسية جوارح، تشبيهاً بها لأحد هذين، والاجتراح: اكتساب الإثم، وأصله من الجراحة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] (٤).

* مكلبين: كلب، كلاباً: ذهب عقلهم من الكلب فهو مكلوب، (كالبة): عاداه، (كلب) الأسير قيده بالكلب، والكلب، ونحوه علمه أخذ الصيد، وفي التنزيل: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ (٥).
الكلب: الحيوان النباح، والأنثى كلبّة، والجمع أكلب وكلاب، قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]، والمكلب: الذي يُعَلَّمُ الكلب، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾

(١) صحيح مسلم، باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، ح (٢١٠٥)، ١٦٦٤/٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب الأمر بقتل الكلاب، وبيان نسخه، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع، أو حاشية، ونحو ذلك، ح (١٥٧٢)، ١٢٠٠/٣.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٥٢٧/١.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٩٤/٢.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٧٩٤/٢، ومفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، ص ٧٢٠، ٧٢١.

تُعَلِّمُوهُنَّ ﴿ [المائدة: ٤] ، وأرض مُكَلَّبَةً: كثيرة الكلاب (١).

* **المحصنات:** أي ذوات الأزواج، امرأة حصان وحصان، ويقال: حصان للعفيفة، ولذات حرمة، قال تعالى: (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها)، (التحریم: ١٢)، والحصان في الجملة: المحصنة إما بعفتها، أو تزوجها، أو بمانع من شرفها وحریتها، ويقال: امرأة محصن ومحسن، وهي التي أحصنت نفسها، وأحصنت من غيرها. (٢)

* **مسافحين:** أي زانين، والسفاح الزنا، وهم مجاهرين بالزنا (٣).

* **أجورهن:** مهورهن (٤).

* **أخدان:** جمع خدن، وهو الصديق في السر، وأكثر ما يستعمل للصدقة بين الرجل والمرأة لشهوة، للذكر والأنثى، والمراد من قوله: ﴿وَلَا تُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ ولا مُسرِّين بالزنا من الصديقات (٥).

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

* **قوله تعالى: ﴿المُحْصَنَاتُ﴾:**

"قرأها الكسائي بكسر الصاد (المحصنات).

وقرأها الباقون بالفتح (المحصنات)" (٦).

قراءة الكسر على إسناد فعل الإحصان للنساء، أي أنهن يُحصن أزواجهن من الوقوع في الفواحش والزنا، بسبب الزواج، وقرأها الباقون بالفتح على إسناد فعل الإحصان لغيرهن، إما أن

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني، ص ٧٢٠-٧٢١.

(٢) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى البصري، ١٥٤/١، انظر: مفردات القرآن الكريم، للأصفهاني، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) انظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ١٥٤/٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١٥٤/١.

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٦٢٢/١.

(٦) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٢٤٩/٢.

يكون الفعل أسند للإسلام، فيحصنهن إسلامهن، أو الحرية فهي محصنة، كونها حرة خلاف الأمة التي تكون خراجة، ولاجة (كثيرة الدخول والخروج) ممتنهة، مبتذلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوْحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] (١).

وقراءة الفتح (المحصنات)، على إسناد الفعل لغيرهن، فجعلن أحصنهن غيرهن من زوج، أو ولي أو بعفاف الإسلام (٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة الكسر (المحصنات)، وقوع فعل الإحصان من النساء فهن أحصن أنفسهن بالحرية والإسلام، والعفة والزواج وكذلك أحصن أزواجهن بالتزويج، وتحصن بهذه الأشياء من الوقوع في الفاحشة، وفي تعدد وجوه الإحصان للمرأة إشارة لبيان تعدد وجوه الإغراء والغواية التي تقع من المرأة، وحرص الإسلام على سد هذه المنافذ.

وقراءة الفتح (المحصنات)، تفيد وقوع فعل الإحصان من غيرهن عليهن بالزواج، أو الحرية حيث كانت حصناً منيعاً لهن من أن يبتذلن كالإماء، أو أن يعتدى عليهن، وبذلك نرى أن تعدد القراءات في الآي أكد على أهمية العلاقة التبادلية بين الرجل والمرأة، وعلى أهمية الزواج لكلا الطرفين على اعتباره علاجاً فاعلاً للقضاء على التسبب الأخلاقي في المجتمع فهو إحصان للرجل والمرأة على حد سواء.

خامساً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فُكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ ﴾.

تحمل (ما) ثلاثة أوجه من الإعراب (٣).

(١) البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرية، عبد الفتاح القاضي، ٨٩/١.

(٢) انظر: الكشف، مكي بن أبي طالب، ٢٣/١.

(٣) انظر: الدر المصون، الحلبي، ١٩٧/٢، وروح المعاني، الألوسي، ٥١/٦.

المعنى الأول: أنها موصولة، والعائد محذوف، في محل رفع عطفاً على نائب الفاعل لـ (أَجَلَ).

المعنى الثاني: أنها شرطية في محل رفع مبتدأ، والجواب: (فكلوا).

المعنى الثالث: أنها موصولة في محل رفع مبتدأ، والخبر: (فكلوا).

* المعاني التفسيرية للإعراب^(١):

المعنى الأول: أَجَلَ لَكُمْ الطيبات وصيد ما عَلَّمْتُمُوهُ مِنَ الْجَوَارِحِ، وفي هذا بيانٌ لطف الله بعباده، ورحمته لهم، حيث وَسَّعَ عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يُذَكِّرْهُ مما صادته الجوارح.

المعنى الثاني: ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ كيفية الصيد فكلوا مما أَمْسَكْنَ مِنَ الصَّيْدِ لِأَجْلِكُمْ، وفي هذا المعنى جواز الأكل من صيد الجوارح المعلّمة.

المعنى الثالث: الذي عَلَّمْتُمُوهُ مِنَ الْجَوَارِحِ فكلوا مما صاده لكم، وهذا المعنى قريبٌ من المعنى الأول.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾.

تحتل جملة (تعلمونهن) ثلاثة أوجه^(٢):

المعنى الأول: أنها مستأنفة.

المعنى الثاني: أنها في محل نصب على أنها حال ثانية من فاعل (عَلَّمْتُمْ).

المعنى الثالث: أنها حال من الضمير المستتر في (مكلمين) فتكون حالاً من حال.

* المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: أنتم تعلمونهن طلب الصيد لكم مما علمكم الله، وفي هذا المعنى تذكيرٌ للناس بفضل الله تعالى عليهم بهدائيتهم إلى مثل هذا التعليم، ومن ثَمَّ رُبِنَ الأحكام الشرعية بما يُعَدِّي التوحيد، ويُنمّي الاعتراف بفضل الله وشكر نعمته^(٣).

المعنى الثاني: أَجَلَ لَكُمْ صيد ما علمتم من الجوارح حال كونكم تعلمونهن طلب الصيد لكم مما علمكم الله، وفي هذا المعنى أيضاً امتنان الله ﷻ بالمواهب التي أودعها في الإنسان إذ جعله معلماً

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٦٠٣/١، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٦/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٠/١.

(٢) انظر: الدر المصون، الحلبي، ٢٠٣/٤، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٧/٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن الحكيم، رضا، ١٧/٣.

للحيوان، والمواهب التي أودعها الله في بعض الحيوان إذ جعله قابلاً للتعليم^(١).
المعنى الثالث: أي معلمين للكلاب الاصطياد حال كونكم تعلمونهن مما علمكم الله.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

* الإعراب:

يحتمل عود الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ﴾ ثلاثة أوجه^(٢):

المعنى الأول: أنه يعود على المصدر المفهوم من قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا﴾.

المعنى الثاني: أنه يعود على (ما علمتم).

المعنى الثالث: أنه يعود على (ما أمسكن).

* المعاني التفسيرية للإعراب^(٣):

المعنى الأول: اذكروا اسم الله تعالى على الأكل عند تناوله.

المعنى الثاني: اذكروا اسم الله تعالى على الجوارح عند إرسالها للصيد.

المعنى الثالث: اذكروا اسم الله تعالى إذا أدركتم الصيد حياً قبل أن يقتله الجارح.

وكل هذه المعاني محتملة في الآية، فتحتمل عليها جميعاً، وهذا من بديع إيجاز القرآن الكريم، والله أعلم.

* قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[المائدة: ٥].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١٥/٦، وحشاية زادة على البيضاوي، ٤٧٨/٣، وقد بين الشيخ محمد رشيد رضا معنى آخر تضمنه الحال، فقال: "ونكتة هذه الجملة على القول بأنها حالية مراعاة استمرار تعاهد الجوارح بالتعليم، لأن إغفالها يُنسيها ما تعلمت فتصطاد لنفسها ولا تمسك على صاحبها، وإمساكها عليه شرط لحل صيدها". تفسير القرآن الكريم، ١٧٠/٦.

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٠٤/٤، والبحر المحيط، أبو حيان، ١٥٥/٤، وروح المعاني، الألويسي، ٢٢٢/٣.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٠٢/٤، وزاد المسير، ابن الجوزي، ٥١٧/١، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١٨/٦.

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَطَعَامٌ﴾.

تحتل هذه الكلمة وجهين من الإعراب (١):

المعنى الأول: أنها مبتدأ، والخبر (حلُّ لكم).

المعنى الثاني: أنها معطوفة على نائب الفاعل المرفوع وهو (الطيبات)، (وحلُّ لكم) خبر مبتدأ محذوف.

*** المعاني التفسيرية للإعراب:**

المعنى الأول: وذبائح اليهود والنصارى، إن نكوها حسب شرعهم، حلالٌ لكم، وعليه فقد بيّن هذا المعنى أنّ ذبائح اليهود والنصارى فقط هي التي أُحِلَّت للمسلمين دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزّه عنه تعالى وتقدس (٢).

المعنى الثاني: اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب، (وحلُّ لكم) خبر مبتدأ محذوف. قال السمين الحلبي: "والصحيح أنه مبتدأ وخبره (حل لكم) أبرز فالإخبار بذلك في كلمة اسمية اعتناءً بالسؤال عنه، وأجاز أبو البقاء أن يكون مرفوعاً عطفاً على مرفوع ما لم يُسمَّ فاعله وهو (الطيبات)، وصل قوله: (حل لكم) خبر مبتدأ محذوف، وهذا ينبغي ألا يجوز البتة لتقدير ما لا يحتاج إليه، مع ذهاب بلاغة الكلام" (٣).

الموضوع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

إعراب كلمة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الرفع، وهذا الرفع يحتمل وجهين من الإعراب (٤):

المعنى الأول: الرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف.

المعنى الثاني: الرفع عطفاً على (الطيبات).

*** المعاني التفسيرية للإعراب:**

المعنى الأول: والمحصنات وهنّ الحرائر من النساء المؤمنات، العفيفات عن الزنا حلُّ لكم أيها المؤمنون، وفي هذا المعنى بيان من يحلُّ للمؤمنين النكاح بهنّ حتى لا يختلط الأمر عليهم.

(١) انظر: الدر المصون، الحلبي، ٢٠٥/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٠/١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٤/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢١/١.

(٣) الدر المصون، ٢٠٥/٤.

(٤) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٠٥/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٠/١.

المعنى الثاني: وكما أُجِلَّ لكم أيها المؤمنون الطيبات من المطعومات، فقد أُجِلَّ لكم أيضاً المحصنات من المنكوحات، وهنَّ الحرائر من النساء المؤمنات العفيفات عن الزنا، وفي هذا المعنى بيان ما يَجِلُّ لهم مما لا يَجِلُّ من الأُنكحة.

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

تحتمل ﴿إِذَا﴾ وجهين من الإعراب^(١):

المعنى الأول: أنها ظرفية.

المعنى الثاني: أنها شرطية وجوابها محذوف.

* **المعاني التفسيرية للإعراب^(٢):**

المعنى الأول: أحل لكم نكاح المحصنات وقت إعطائهم مهورهن، لا قبل ذلك.

المعنى الثاني: إذا أعطيتموهن مهورهن، أيها الأزواج، حَلَّلَنَّ لكم، ففُيِّدَ الحِلَّ بالإيتاء لتأكيد وجوب المهور.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾.

يحتمل نصب ﴿غَيْرَ﴾ ثلاثة أوجه^(٣):

المعنى الأول: أنه نعت لـ (محصنين).

المعنى الثاني: أنه حال، وصاحب الحال الضمير المستتر في (محصنين).

المعنى الثالث: أنه حال ثانية من فاعل (آتيتموهن).

* **المعاني التفسيرية للإعراب^(٤):**

المعنى الأول: أبحنا لكم أيها الأزواج نكاح المحصنات، وأنتم أعفَاء غير مجاهرين بالزنا.

المعنى الثاني: أبحنا لكم نكاح المحصنات حالة كونكم أيها الأزواج الأعفَاء غير زانين.

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٠٦/٤.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٤/٣، وفتح القدير، الشوكاني، ٢١/٢.

(٣) انظر: الدر المصون، الحلبي، ٢٠٥/٤، والمشكل، مكِّي، ٢١٩/١، وروح المعاني، الألويسي، ٢٤٢/٢.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ٥٩٤/٩. وروح المعاني، الألويسي، ٢٤٢/٢، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي،

المعنى الثالث: أبحنا لكم أيها الأزواج نكاح المحصنات إذا أعطيتموهن مهورهن حالة كونكم أعفاء وغير مرتكبين للزنا.

شروط الصيد بالجوارح من الكلاب والطيور:

قال ﷺ: «إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ الْمُعَلَّمُ فَقَتَلَ فُكُلًا، وَإِذَا أَكَلَ فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا أَمْسَكَهُ عَلَى نَفْسِهِ» قُلْتُ: أُرْسِلُ كَلْبِي فَأَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ؟ قَالَ: «فَلَا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى كَلْبٍ آخَرَ»^(١).

وعن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله: فَإِنِّي أُرْمِي بِالْمِعْرَاضِ^(٢) الصَّيِّدَ، فَأُصِيبُ، فَقَالَ: «إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَرَقَ فُكُلُهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ بِعَرَضِهِ، فَلَا تَأْكُلْهُ»^(٣).

قال القرطبي رحمه الله: "أجمعت الأمة على أن الكلب:

- ١- إذا لم يكن أسود.
 - ٢- وعلمه مسلم، فينشلي إذا أشلي، ويُجيب إذا دُعي، وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر.
 - ٣- وأن لا يأكل من صيده الذي صاده.
 - ٤- وأثر فيه بجرح أو تنبيب.
 - ٥- وصاد به مسلم.
 - ٦- وذكر اسم الله تعالى عند إرساله، أن صيده صحيح يؤكل بلا خلاف، فإن انخرط شرط من هذه الشروط دخل الخلاف.
- فإن كان الذي يصاد به غير الكلب: كالفهد وما أشبهه، وكالبازي، والصقر ونحوهما من الطيور، فجمهور الأمة على أن ما صاد بعد التعليم فهو جارح كاسب^(٤).
- قال ابن الجوزي رحمه الله: "التسمية قيل إنها ترجع للإرسال"، قاله ابن عباس والسدي، ثم قال: "وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد"^(٥).

(١) صحيح البخاري، باب تفسير المشبهات، ح (٢٠٥٤)، ٥٤/٣.

(٢) المعراض: هي خشبة ثقيلة أو عصا في طرفها حديدة، وقد تكون بغير حديدة، وقال الهروي: هو سهم لا ريش فيه ولا نصل، شرح محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة، ح (١٩٢٩)، ١٥٢٩/٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧٥/٦.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٥٢٠/١.

قال زهير الشاويش في تعليقه على زاد المسير: "قال ابن قدامة في المغني: "إذا ترك التسمية عمداً أو سهواً لم يبح"، قلت: ودليلهم: الآية، وحديث عدي (١).

القول الثاني: "إن التسمية ترجع إلى الأكل، فتكون التسمية مستحبة" (٢).

قال القرطبي: "فأما لو انبعث الجارح من تلقاء نفسه، من غير إرسال ولا إغراء، فلا يجوز صيده، ولا يحل أكله عند الجمهور، ومالك والشافعي، وأبي ثور، وأصحاب الرأي، لأنه إنما صاده لنفسه من غير إرساله، وأمسك عليها، ولا صنيع للصاد فيه فلا ينسب إرساله إليه، لأنه لا يصدق عليه قوله ﷺ: (إذا أرسلت كلبك المعلم...) (٣)، والراجح: قول الجمهور ومن تبعهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، وقول الرسول ﷺ لعدي: (إذا أرسلت كلبك المعلم...) (٤).

بيان الخلاف في حل صيد بعض الجوارح:

قيل: أن السبع يسمى كلباً، فيدخل كل سبع يصاد به، وقيل: إن هذه الآية خاصة بالكلاب، وقد حكى ابن المنذر عن ابن عمر أنه قال: "ما يصاد بالبيزة وغيرها من الطير، فما أدركت ذكاته فهو حلال، وإلا فلا تطعمه".

وإن كان الكلب أسوداً بهيماً فكره صيده الحسن، وقتادة والنخعي، وقال أحمد: ما أعرف أحداً يرخص فيه إذا كان بهيماً... واحتجوا بحديث "الكلب الأسود شيطان" (٥).

أما عامة أهل العلم بالمدينة، والكوفة، فيرون جواز صيد كل كلب معلّم.

قال الشوكاني: "والحق أنه يحل صيد كل ما يدخل تحت عموم الجوارح، من غير فرق بين الكلب وغيره" (٦)، فقلت: قال القاضي عياض: "ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود وإن كان معلماً، لأن النبي ﷺ أمر بقتله، والأمر بالقتل، يمنع ثبوت الصيد، ويبطل حكم الفعل، فيصير

(١) انظر: المغني، لابن قدامة المقدسي، ٣٨٨/٩.

(٢) انظر: زاد المسير من علم التفسير، ابن الجوزي، ٥٢٠/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧٦/٦.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، باب الأمر بقتل الكلاب، وبيان نسخه وبيان تحريم

اقتناؤها إلا لصيد، أو زرع، أو ماشية ونحو ذلك، ح (٥١٠)، ٣٦٥/١.

(٦) فتح القدير، الشوكاني، ١٣/٢.

وجوده كعدمه، قلت يقصد القاضي عياض وأصحابه بأمر الرسول ﷺ بقتل الكلب الأسود: «عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ الْبُهِيمِ ذِي النُّقْطَيْنِ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ» (١).

وحديث عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال: «لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، فَأَقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبُهِيمِ» (٢).

واستثنى الإمام أحمد الكلب الأسود كذلك، لأنه عنده مما يجب قتله، ولا يحل اقتناؤه، لما ثبت عن النبي ﷺ: «يَقْطَعُ الصَّلَاةَ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْ الرَّجُلِ مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّجُلِ الْمَرْأَةِ، الْحِمَارِ، وَالْكَلْبِ، الْأَسْوَدِ» قَالَ: قُلْتُ: مَا بَالُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَقَالَ: «الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ» (٣).

أما ما عدا الكلب الأسود، فقد جاء الشرع باستثناء ثلاثة من الكلاب، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا، لَيْسَ بِكَلْبٍ مَاشِيَةٍ، أَوْ ضَارِيَةٍ، نَقَصَ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطَانِ» (٤).

قال ابن كثير: "والمحكي عن الجمهور أن الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب، لأنها تكلب الصيد بمخالبها، كما تكلبه الكلاب، فلا فرق، وهو مذهب الأربعة وغيرهم، واختاره ابن جرير" (٥).
بيان اختلاف العلماء في اشتراط إمساك الجراح من الطيور والكلاب عن الأكل من الصيد:
اختلف العلماء رحمهم الله تعالى على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن إمساك الصائد عن الأكل شرط في كل الجوارح، فإن أكلت لم يؤكل، وقد روي عن ابن عباس، وعطاء رضي الله عنهما.

القول الثاني: إنه ليس بشرط في الكل، فيؤكل وإن أكلت، وروي عن سعد بن أبي وقاص وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم.

القول الثالث: إنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي والنخعي والسدي.

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب الأمر بقتل الكلاب، وبيان نسخه وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية، ونحو ذلك، ح (١٥٧٢)، ٣/١٢٠٠.

(٢) سنن أبو داود، كتاب الصيد، باب في اتخاذ الكلاب للصيد وغيره، ح (٢٨٤٥)، ٣/١٠٨، حكم الألباني: صحيح، ومسند أحمد، باب حديث عبد الله بن مغفل المازني، ح (٢٠٥٤٧)، ٤/١٦٨.

(٣) سنن ابن ماجه باب ما يقطع الصلاة، ح (٩٥٢)، ١/٣٠٦، صححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري، باب من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد، ح (٥٤٨٠)، ٧/٨٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤٣.

قال ابن الجوزي: "وهذا أصح، لأن جرح الطير يُعَلَّم عن الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم عن ترك الأكل... فعلى هذا إذا أكل الكلب، أو الفهد، أو أي جرح من جوارح البهائم المعلمة من الصيد لم يبيح أكله" (١).

قلت: هو الراجح إن شاء الله تعالى، لحديث عدي بن حاتم المتقدم، وفيه "إن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه" (٢)، ويقصد بذلك الكلب المعلم إذا أكل من الصيد (٣).

سادساً: التفسير الإجمالي:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

بعد أن تلقى المؤمنون الخطاب الرباني بتحريم وتوقي ما كان في الجاهلية من مطعومات وغيرها، فقد حرصوا كل الحرص للاستجابة لنداء الله وتعاليمه، ولذلك راحوا يسألون الرسول ﷺ بعدما سمعوا آيات التحريم: ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾، وجاءهم الجواب ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾، وهو جواب يستحق التأمل... إنه يلقي في حسهم هذه الحقيقة، إنهم لم يحرموا طيباً، ولم يمنعوا عن طيب، وإن كل الطيبات لهم حلال، فلم يحرم عليهم إلا الخبائث، والواقع أن كل ما حرمه الله تعالى هو ما تستنذره الفطرة السليمة، كالميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب أو كان كالاستقسام بالأزلام، ويضيف إلى هذه الطيبات، وهي عامة، نوعاً منها يدل على طبيئته تخصيصه بالذكر بعد التعميم، وهو ما تمسكه الجوارح المعلمة المدربة على الصيد، كالصقر والبازي، ومثلها كلاب الصيد أو الفهود والأسود، مما علمه أصحابه كيف يُكَلِّب الفريسة، أي يكبلها ويصطادها (٤).

وها هو القرآن يوضح للمؤمنين ويبين لهم أكثر تفصيلاً حيث اشترط أموراً أخرى لحلية

الصيد منها:

أولاً: أن يذكر اسم الله تعالى عند إرسال الجارحة بأن يقول: بسم الله هاته مثلاً.

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١/٥٢٠، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، ح (٢٠٥٤)، وصحيح مسلم، ح (١٩٢٩)، وقد تقدم تخريجه.

(٣) من أحكام سورة المائدة، د. سعيد القحطاني، ص ٦١-٦٢ بتصرف.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٦٥.

ثانياً: أن لا تأكل الجارحة منه، فإن أكلت منه فقد أمسكت لنفسها، ولم تمسك لمن أرسلها، اللهم إلا إذا أدركت حية، لم تمت، ثم ذكيت، فعند ذلك تحل بالتذكية لا بالاصطياد (١).

ثم يتوعد الله ﷻ من لم يتقه في أكل ما حرم الله تعالى من الميتة وأنواعها، ومن صيد صاده غير معلم من الجوارح، أو صاده معلم، ولكنه أكل منه فمات قبل التذكية، فلننق الله تعالى في ذلك والله سريع الحساب (٢).

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾ [المائدة: ٥].

لما ذكر الله تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث، وما أحل لهم من الطيبات، قال بعده: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ ثم ذكر ذبائح أهل الكتابين، من اليهود والنصارى، فقال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾، قال ابن عباس وغيره: "يعني ذبائحهم، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله تعالى ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله تعالى وإن اعتقدوا فيه تبارك وتعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس" (٣).

عن أنس بن مالك ؓ أَنَّ يَهُودِيَّةً آتَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا، قَالَ: «لَا»، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٤).

ووجه الدلالة منه أن النبي ﷺ عزم على أكلها ومن معه، ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا... ولم يذبح ذبائحهم من عدا اليهود والنصارى من أهل الشرك، ومن شابههم، لأنهم لا يذكرون اسم الله تعالى على ذبائحهم، بل ويأكلون الميتة، بخلاف أهل الكتابين، ومن غير أهل الكتاب، من يعاملون بأخذ الجزية منهم تبعاً وإلحاقاً لأهل الكتاب، ومع ذلك فإنهم لا تؤكل ذبائحهم، ولا تتكح نساؤهم (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ دل بمفهومه، مفهوم المخالفة، على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل (٦).

(١) قوله ﷻ: (إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل...) الحديث، سبق تخريجه.

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبي بكر جابر الجزائري، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٣/٣، بتصرف.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ح (٢٦١٧)، ١٦٣/٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠/٣، بتصرف.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٤١/٣.

قال الشوكاني رحمه الله^(١): "قال علي وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم، إذا سمعت الكتابي يسمى غير الله فلا تأكل، وهو قول طاووس، والحسن، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وبدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، وقال مالك: إنه يكره ولا يحرم^(٢).

قال ابن الجوزي: "وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحت ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، فكان هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ...﴾ [الأنعام: ١٢١]" .

والصحيح: أنها أطلقت إباحت ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله فيحملهم أمرهم على هذا، فإذا تيقنا أنهم ذكروا غيره فلا نأكل، ولا وجه للنسخ، وهذا ذهب إليه: علي، وابن عمر، وأبو الدرداء، والحسن وجماعة^(٣).

وكذلك قول عائشة وعلي رضي الله عنهم وغيرهما كما ذكره الشوكاني، وهو الراجح إن شاء الله تعالى للأدلة المذكورة آنفاً في النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

قال الشوكاني نقلاً عن القرطبي: "ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلى ذكاة كالطعام يجوز أكله".

أما المجوس فذهب الجمهور إلى أنها لا تؤكل ذبائحهم، ولا تتكح نساؤهم لأنهم ليسوا بأهل كتاب على المشهور عند أهل العلم، وخالف في ذلك أبو ثور، وأنكر عليه الفقهاء ذلك حتى قال أحمد بن حنبل، أبو ثور كاسمه، يعني في هذه المسألة^(٤)، وكأنه تمسك بما روي عن النبي ﷺ مرسلاً، أنه قال في المجوس: "سئوا بهم سنة أهل الكتاب"^(٥).

قال ابن الجوزي: "فأما ذبائح المجوس فأجمعوا على تحريمها"^(٦)، قال القرطبي: "أما العلماء فمجمعون إلا من شذ منهم على أن ذبائحهم لا تؤكل، ولا يتزوج منهم، لأنهم ليسوا أهل

(١) الشوكاني: هو محمد بن علي الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان سنة ١١٧٣هـ، وتوفي في صنعاء سنة ١٢٥٠هـ، الأعلام، الزركلي، ٦/٢٩٨.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١٤/٢.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١/٥١٨.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ١٥/٢، الحديث أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، ح (٤٢)، ٧٨/١، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، ح (١٢٤٨).

(٥) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ح (١٢٤٨).

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١/٥١٨.

كتاب على المشهور عند العلماء"، وقال: ولا بأس بالأكل، والشرب، والطبخ في آنية الكفار كلهم، ما لم تكن ذهباً أو فضة، أو جلد خنزير، بعد أن تغسل وتغلى، لأنهم لا يتوقون النجاسات^(١).

عن أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَتَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ، وَبِأَرْضِ صَيْدٍ، أَصِيدُ بِكَلْبِي الْمُعَلَّمِ وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ " أَمَا مَا ذَكَرْتَ أَنَّكَ بِأَرْضِ أَهْلِ كِتَابٍ: فَلَا تَأْكُلُوا فِي آنِيَتِهِمْ إِلَّا أَنْ لَا تَجِدُوا بُدًّا، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا بُدًّا فَاعْسِلُوهَا وَكُلُوا، وَأَمَا مَا ذَكَرْتَ أَنَّكُمْ بِأَرْضِ صَيْدٍ: فَمَا صِدْتُمْ بِقَوْسِكُمْ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَكُلُّوا، وَمَا صِدْتُمْ بِكَلْبِكُمُ الْمُعَلَّمِ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَكُلُّوا، وَمَا صِدْتُمْ بِكَلْبِكُمُ الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ فَادْكُرُوا نَكَاتَهُ فَكُلُّهُ " (٢).

قال ابن كثير: "أي ولكم أن تطعموهم من ذبائحكم، كما أكلتم من ذبائحهم، وهذا من باب المكافأة، والمقابلة والمجازاة، كما ألبس النبي ﷺ ثوبه عبد الله بن أبي بن سلول حين مات ودفنه فيه، قالوا: لأنه كان قد كسا العباس حين قدم من المدينة ثوبه فجازاه النبي ﷺ ذلك، فأما الحديث الذي فيه «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» (٣) فمحمول على الندب والاستحباب، والله أعلم (٤).

حكم نكاح الكتابيات:

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي، وأحل لكم نكاح الحرائر العفاف من النساء المؤمنات، وذكر هذا توطئة لما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي المحصنات العفيفات عن الزنا، كما قال تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، وقد كان الناس لا ينكحون الكتابيات بعد أن نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُؤْمِنَةً حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فجعلوا هذه الآية مخصصة للتي في سورة البقرة، ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ إن قيل بدخول الكتابيات في عمومها، وإلا فلا معارضة بينها وبينها، لأن أهل الكتاب قد انفصلوا في ذكهم عن المشركين في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَّفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] (٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧٧/٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب آنية المجوس والميثة، ح (٥٤٩٦)، ٩٠/٧.

(٣) مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، ح (١١٣٣٧)، ٤٣٧/١٧، والمستدرک علی الصحیحین، النيسابوري، باب وأما حديث عمر، ح (٧١٦٩)، ١٤٣/٤، صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) تفسير ابن كثير، ٤٢/٣.

(٥) من أحكام سورة المائدة، سعيد القحطاني، ٧١/١.

قال ابن كثير: "قد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى، ولم يروا بذلك بأساً أخذاً بهذه الآية الكريمة" (١).

قال ابن الجوزي: "وقد روي عن عثمان، أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية".

عن طلحة بن عبيد الله: "أنه تزوج يهودية... أما المجوس فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتاب، وقد شد من قال: إنهم أهل كتاب" (٢)، وقوله: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن، أي كما هن محصنات عفائف فابذلوا لهن المهور عن طيب نفس، وقوله: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ فكما شرط الإحصان في النساء وهو العفة عن الزنا، كذلك شرطها في الرجال، أن يكونوا محصنين عفيفين، ولهذا قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ وهم الزناة الذين يتخذون العشيقات ولا يفعلون إلا معهن البغي، ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغي حتى تتوب وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى يتوب، لهذه الآية، والحديث: "الزَّانِي الْمَجْلُودُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا مِثْلَهُ" (٣).

قال قتادة: أحل الله تعالى لنا محصنتين: محصنة مؤمنة، ومحصنة من أهل الكتاب، نساؤنا عليهم حرام، ونساؤهم لنا حلال (٤).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: ومن يرتد عن دين الله تعالى ويكفر بشرائع الإيمان فقد حبط عمله وهو من الهالكين (٥).

وقال أبو سليمان: "ومن جحد ما أنزله الله من شرائع الإيمان، وعرفه من الحلال والحرام، فقد حبط عمله"، وسمعت الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه يقول: إنما أباح الله تعالى الكتابيات، لأن بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن، فحذر نكاحهن من الميل إلى دينهن بقوله ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ (٦).

(١) تفسير ابن كثير، ٤٢/٣.

(٢) زاد المسير في رحاب التفسير، ابن الجوزي، ٥١٩/١.

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة ؓ، ح (٨٣٠٠)، ٥٢/١٤، وسنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾، ح (٢٠٥٢)، ٢٢١/٢، صححه الألباني.

(٤) تفسير ابن كثير، ٤٣/٣.

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني، ٣٢٩/١.

(٦) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ٥٢٠/١.

لطائف التفسير:

اللطيفة الأولى: تقديم المحصنات من المؤمنات، على الكتابيات، يدل على تفضيل الزواج بالمؤمنة، فالكتابية وإن كان يحل التزوج بها، لكن المؤمنة خير منها، فيكون الزواج بها أفضل قال عليه السلام: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرٍ مَا يَكْنِزُهُ الْمَرْءُ الْمَرْأَةَ الصَّالِحَةَ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ " (١)، والصالح إنما يكون في المؤمنة الفاضلة، وهذا هو السر في تقييد النكاح بالمؤمنات في سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾ [الأحزاب: ٤٩].

اللطيفة الثانية: تقييد التحليل بإيتاء الأجر، يدل على تأكيد وجوب المهور، وأن من تزوج امرأة وعزم ألا يعطيها صداقها، كان في صورة الزاني، وتسمية المهر بالأجر، دلالة على أن الصداق ليس له قدر محدود، كما أن الأجر لا يتقدر وإنما يكون حسب الاتفاق.

اللطيفة الثالثة: التعبير بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ هو من إطلاق اسم الشيء على لازمه فهو (مجاز مرسل) لأن المراد: ومن يكفر بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فجعل كلمة التوحيد إيماناً، لأنها تستلزم الإيمان، وقيل المراد: ومن يكفر بشرائع الله أو بدين الله فقد حبط عمله، وكلاهما متقارب من حيث إرادة المجاز (٢).

مما ترشد إليه الآيات:

١- إباحة الطيبات، أي المطعومات التي تستطيبها النفس الكريمة دون الخبائث التي حرمها الشريعة.

٢- إباحة الصيد بالجوارح، من سباع البهائم والطيور، بشرط أن تكون معلمة، وكون معلمها مؤدباً ماهراً، وكونه يعلمها مما علمه الله، ويجيب إذا دعي، وينزجر بعد ظفره بالصيد إذا زجر، وأن لا يأكل من صيده الذي صاده، فإن انخرم شرط من هذه الشروط وقع الخلاف.

٣- حل ما جرحته الجوارح وقتلته، وأدركه الصائد ميتاً، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، أي حبس عليكم، ولم يأكل مما صاد، فإن أكل الكلب ونحوه، لم يؤكل عند الجمهور ما بقي، لأنه أمسك على نفسه، ولم يمسك على صاحبه، ولم يشترطوا ذلك في الطيور، بل يؤكل مما أكلت منه، وأباح المالكية أكل ما بقي من الصيد، وإن كان بعضه، وإن أكل الجرح منه سواء كان كلباً، أو فهداً، أو طيراً، فلو مات الصيد في أفواه الكلاب من غير بضع (جرح) لم يؤكل،

(١) المستدرک علی الصحیحین، للحاکم النیسابوری، ح (٣٢٨١)، ٢/٣٦٣.

(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، الصابوني، ص ٥٣٤-٥٣٥ بتصرف.

لأنه مات خنقاً، فأشبهه أن يذبح بسكين كآلة، فيموت في الذبح، قبل أن يفرى حلقه، وجمهور العلماء على أن الجارح، إذا شرب من دم الصيد، أن الصيد يؤكل، وكره الشعبي والثوري أكل ذلك الصيد^(١). فإن وجد الصائد مع كلبه، كلباً آخر، فهو محمول على أنه غير مرسل من صائد آخر، وأنه إنما انبعث في طلب الصيد بطبعه ونفسه، فلا يؤكل، لقوله ﷺ: (وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل)^(٢).

وكذلك لا يؤكل ما رمي بسهم، فتردى من جبل أو غرق في ماء، أو غاب عن الصائد ثلاثة أيام فمات وهو لا يراه، وأجاز مالك، وأبو حنيفة والشافعي، الصيد بكلاب اليهودي والنصراني، إذا كان الصائد مسلماً، وجمهور الأمة غير مالك، على جواز صيد الصائد من أهل الكتاب^(٣).

جواز اتخاذ الكلاب واقتنائها للصيد، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ يؤيده ما رواه مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ، أَوْ مَاشِيَةً فَاتَّهَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلِّ يَوْمٍ قَيْرَاطَانٍ»^(٤).

٤- دلت الآية: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ...﴾ على أن العالم أفضل من الجاهل، لأن الكلب إذا علم يكون له فضيلة على سائر الكلاب، ويزداد فضل العالم إذا عمل بما علم^(٥).

٥- وجوب تسمية الله تعالى عند الإرسال، لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وهو رأي الجمهور غير الشافعي، ويؤيده قول الرسول ﷺ في حديث عدي: "إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل"، أما عند إدراكه حياً فتجب التسمية عند ذكاته، وقال الشافعي: إنها مستحبة^(٦).

٦- إباحة طبيبات الرزق، وهي ما تستطيه الأنفس الكريمة.

٧- إباحة الأكل من ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ولا خلاف بين العلماء أن ما لا يحتاج إلى ذكاة كالفاكهة والبر، يجوز أكله، إذا لا يضر فيه تملك أحد^(٧).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٦/٦.

(٢) صحيح مسلم، باب الصيد بالكلاب المعلمة، ح (١٩٢٩)، ١٥٢٩/٣.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٧/٦.

(٤) صحيح مسلم، باب الأمر بقتل الكلاب، ح (١٥٧٤)، ١٢٠١/٣.

(٥) انظر: تفسير القرطبي، ٧٤/٦.

(٦) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٨/٦.

(٧) انظر: تفسير القرطبي، ٧٧/٦.

والجمهور على أن الزكاة عاملة في حل الذبيحة، ما حل له منها، وما حرم عليه، لأنه مذكى، وقال جماعة من أهل العلم: إنما حل لنا من ذبيحتهم، ما حل لهم، لأن ما لا يحل لهم لا تعمل فيه تذكيتهم، فلا تحل الشحوم المحضنة من ذبائح أهل الكتاب، وقصرت لفظ الطعام على البعض، وحمله الجمهور على العموم في جميع ما يؤكل^(١).

والعلماء مجمعون إلا من شذ منهم على أن ذبائح الكفار لا تؤكل، ولا يتزوج منهم، لأنهم ليسوا أهل كتاب على المشهور عند العلماء، ولا بأس بالأكل والشرب والطبخ في آنية الكفار كلهم، ما لم تكن ذهباً ولا فضة، أو جلد خنزير، بعد أن تغسل وتغلى، لأنهم لا يتوقون النجاسات، ويأكلون الميتات، فإذا طبخوا في تلك القدر نجست، فتغسل^(٢).

٨- إباحة إطعام أهل الكتاب من ذبائح المسلمين، فإذا اشتروا منا اللحم، يحل لهم اللحم، ويحل لهم اللحم، ويحل لنا ثمن المأخوذ منه.

٩- مشروعية نكاح المحصنات المؤمنات، والمحصنات الكتابيات، والمحصنات الحرائر، العفيفات العاقلات.

١٠- بطلان ثواب الأعمال، إذا كان العامل جاهداً أحكام الله وشرائعه، كافراً بأصول الدين وفروعه، كافراً بما أنزل على محمد فقد بطل ولغا ثواب عمله، ولم يعد لعمله في الآخرة فائدة^(٣).

١١- ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحل التزوج بالذمية من اليهود والنصارى، مستثنين بالآية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما، لا يرى محتجاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ويقول: لا أعلم شركاً من قولها: إن ربه عيسى واستدل أن الله أوجب المباحة عن الكفار في قوله تعالى: ﴿لَا تَنْكِحُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]، يقول الصابوني: الآية صريحة في جواز نكاح الكتابيات، ومنع منه خشية على الزوج، أو على الأولاد من الفتنة، فإن الحياة الزوجية تدعو إلى المحبة، وربما قويت المحبة فصارت سبباً إلى ميل الزوج إلى دينها، والأولاد يميلون إلى أهم أكثر، وربما كان هذا سبباً في تأثرهم بدين النصرانية، أو اليهودية، فيكون هذا الزواج خطراً على الأولاد، فإن كان ثمة خشية من الفتنة على الزوج أو الأولاد، فيكون قطعاً الزواج

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٨/٦ بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي، ٧٧/٦، ٧٨ بتصرف.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٩٩/٦ بتصرف.

محرماً، أما إذا لم يكن هناك خطر، أو كان هناك طمع في إسلامها، فلا وجه للقول بالتحريم، والله أعلم^(١).

(١) انظر: روائع البيان، تفسير آيات الأحكام في القرآن، محمد علي الصابوني، ص ٥٣٦-٥٣٧.

المبحث الثالث

مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (٦-١١)

ويشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: أحكام الصلاة وتطهير العباد، وإتمام النعمة عليهم.

المقطع الثاني: القوامة على البشرية بالعدل، والتذكير بنعم الله.

المقطع الأول

أحكام الصلاة وتطهير العباد، وإتمام النعمة عليهم

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٦-٧].

أولاً: المناسبة:

بعد أن بين الله ﷻ عهده الخاصة، بالحلال والحرام في الطعام والنكاح أخذ يبين ما يقتضيه هذا من الشكر لله، والصلاة ومفتاحها الوضوء والغسل والتيمم، وختم الآية ببيان الحكمة في الطهارة، وتذكيرنا بالعهود والمواثيق التي التزمناها، والسمع والطاعة لله ورسوله ﷺ^(١).

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: "مِفْتَاحُ أُنْجَةِ الصَّلَاةِ، وَمِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الْوُضُوءُ"^(٢)، وبعبارة أخرى: للإنسان شهوات فطرية تنحصر في المطعومات، والمناكحات، له الحق في التمتع بها بانتظام، وعليه واجبات يلزمه أداؤها، وبعد أن بين تعالى للإنسان ما أحله له، وما حرمه عليه من المطاعم والمناكح، شرع في بيان ما يجب عليه أداؤه لله تعالى شكراً لله على ما أنعم به عليه فمضمون هذه الآية داخل فيما أمر به من الوفاء بالعقود، وأحكام الشرع، وفيما ذكر من إتمام النعمة ومنها رخصة التيمم^(٣).

ثانياً: أسباب النزول:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاحَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَزَلَ فَنَتَى رَأْسَهُ فِي حَجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسَتْ النَّاسَ فِي قِلَادَةِ فَبِي الْمَوْتُ، لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ

(١) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحكيم كشك، ١٠٧٢/٢.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور، ح (٤)، ١٠/١. حكم الألباني عليه: صحيح لغيره.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠٢/٦.

النَّبِيِّ ﷺ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتَمَسَ الْمَاءَ فَلَمْ يُوْجَدْ " فَزَلَّتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] الْآيَةَ " ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بِرَكَّةٍ لَهُمْ" (١).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

قمتم إلى الصلاة: أردتم القيام إليها وأنتم محدثون.

الصلاة: يقال: صليت عليه: أي دعوت له وزكيت، ومنها قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ، وقال التلخيص: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَأْكُلْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ». (٢)، وصلاة الله تعالى للمسلمين في التحقيق: تركية لهم.

ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار، كما هي من الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

والصلاة التي هي العبادة المخصوصة، أصلها: الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه، والصلاة من العبادات التي لا تتفك شريعة منها، وإن اختلفت صورها بحسب شرع مشرع، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] ، ويسمى موضع العبادة الصلاة، لذلك سميت الكنائس صلوات، كقوله تعالى: ﴿هُدًى صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ﴾ [الحج: ٤٠] (٣).

فاغسلوا وجوهكم: اغسل: غسلت الشيء غسلًا، أسلت عليه الماء، فأزلت درنه، والغسل ما يغسل به، قال تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] ، والاعتسال: غسل البدن، قال تعالى: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣] ، والمغتسل: الموضع الذي يغتسل فيه، والماء الذي يغتسل به، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] (٤).

المرفق: جمع مرفق، وهو ما يصل الذراع بالعضد ، (٥) وهو المكان الذي يرتقق به، أي يتكأ عليه. الكعبين: كعبُ الرجل: العظم الذي عند ملتقى القدم والساق، قال تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] ، أي العظمتين النانتين من الجانبين عند مفصل الساق والقدم (٦).

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: فلم تجدوا ماء فتيمموا، ح (٤٠٦٨)، ٥١/٦.

(٢) أخرجه مسلم في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، ح (١٤٣١)، ١٠٥٤/٢.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٤٩١/١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٦٠٧/١.

(٥) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٤٠/٦، ومعاني القرآن وإعرايه، للزجاج، ١٥٣/٢.

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٧١٣/١.

الغائط: هو المكان المنخفض الواسع من الأرض، وهو هنا كناية عن قضاء الحاجة (١).

﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة:٦] ، أي إن أصابتكم الجنابة، وذلك بإنزال الماء، أو بالتقاء الختانين، وقد جُنِبَ، وأَجْنَبَ، واجْتَنَبَ، وَتَجَنَّبَ، وسميت الجنابة بذلك؛ لكونها سبباً لتجنب الصلاة في حكم الشرع (٢).

فاطهروا: طهر: يقال: طهرت المرأة، طَهَّرًا، وطَهْرَةً، وطَهَّرَت، والفتح أقيس، لأنها خلاف طمئت، ولأنه يقال: طاهرة، وطاهر، مثل قائمة وقائم، وقاعدة وقاعد، والطهارة ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفس، وحمل عليهما عامة الآيات، يقال: طَهَّرْتُهُ، فَطَهَّرَهُ، وتَطَهَّرَ، واطَّهَّرَ، فهو طاهر ومتطهر، قال تعالى: ﴿يَا وَابْنِ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة:٦] ، أي استعملوا الماء أو ما يقوم مقامه (٣).

لامستم: الكلمس: إدراك بظاهر البشرة، كاللمس، ويعبر به عن الطلب، قال تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيئَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ [الجن:٨] ، ويكنى به وبالملامسة عن الجماع، وترى ﴿لَامَسْتُمْ﴾ [المائدة:٦] ، ولمستم النساء، حملاً على اللمس، وعلى الجماع (٤).

صعيداً: الصَّعْدُ، والصَّعِيدُ، والصَّعُودُ في الأصل واحد، لكن الصَّعُودُ والصَّعْدُ يقال للعقبة، ويستعار لكل شاق، قال تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧] ، أي شاقاً، والصَّعِيدُ يقال لوجه الأرض، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣] ، وقال بعضهم: الصعيد يقال للغبار الذي يصعد من الصَّعُودِ، ولهذا لا بد للمتيمم أن يعلق بيده غبار (٥).

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ [المائدة:٦] .

قوله تعالى: "﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرئت بالنصب والجر " (٦).

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١/١٠٤٠.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ١/٢٠٦.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، ١/٥٢٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١/٧٤٧.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، ١/٤٨٤.

(٦) النشر في القراءات العشر، ابن الجوزي، ص ٢٥٤، والاقناع ابن البادش، ٢/٦٣٤.

قرأ نافع وابن عامر ^(١)، والكسائي، ويعقوب وحفص ^(٢) بنصب اللام.

وقرأ الباقر بالخفض وهي قراءة ابن كثير، وأبو عمرو البصري، وشعبة وحمزة وخلف ^(٣)

وأبو جعفر.

معاني القراءات:

قراءة الفتح: على أنها معطوفة على الوجوه والأيدي، فأوجبوا الغسل فيها، فغسل القدمين في الوضوء منقول عن النبي ﷺ نقلاً متواتراً، منقول عمله بذلك، وأمر به، كقوله في الحديث الصحيح من وجوه متعددة، حديث أبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهما: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» ^(٤)، وحمل أصحاب هذا الرأي تأخير كلمة (أرجلكم) على المغسولات، بأنه من باب التقديم والتأخير، وكذلك أكدوا حجتهم بأنه: "عطف محدود على محدود، لأن ما أوجب الله تعالى غسله فقد حصره بحدٍّ، وما أوجب مسحه أهمله بغير حد" ^(٥).

أما قراءة الكسر "أرجلكم" فاختلف فيها على وجوه:

أولاً: اعتبرها البعض من الأدلة على ثبوت المسح على الخفين على أنه: "قد يقال: ثبت في آية المائدة القراءة بالجر لأرجلكم عطفاً على الممسوح وهو الرأس، فيحمل على مسح الخفين، كما بينته السنة، وتم ثبوت المسح بالسنة والكتاب، وهو أحسن الوجوه التي توجه بها قراءة الجر" ^(٦).

(١) هو الإمام المقرئ عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة، أبو عمران اليحصبي - بضم الصاد وكسرهما - إمام أهل الشام في القراءة، والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، ولي القضاء بدمشق، وكان إمام الجامع بدمشق ورئيسه، فكان لا يرى فيه بدعة إلا غيرها، (ت: ١١٨هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، الذهبي، ١/٨٢.

(٢) هو الإمام المقرئ حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر الأسدي الكوفي، صاحب الإمام عام، وابن زوجته، كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، وكان أعلم بقراءة عاصم، وهو في القراءة ثقة ثبت ضابط لها، (ت: ١٨٠هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، الذهبي، ١/١٤٠، وغاية النهاية، ابن الجوزي، ٢٥٤/١.

(٣) هو الإمام المقرئ خلف بن ثعلب بن خلف، أبو محمد الأسدي البغدادي، أحد الأعلام وشيخ القراء والمحدثين ببغداد، قرأ على سليم بن حمزة، وسمع من مالك بن أنس، وله اختيار خالف فيه حمزة في أماكن، وكان عابداً صالحاً، كثير العلم، (ت: ٢٢٩هـ)، انظر: معرفة القراء الكبار، الذهبي، ١/٢٠٨، وتاريخ بغداد، ٨/٣٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم، ح (٦٠)، ١/٢٣، انظر: الفتاوى الكبرى، للإمام ابن تيمية، ١/٣٦٣.

(٥) انظر: الحجة في القراءات، ابن زنجلة، ص ٢٢١.

(٦) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للشيخ الإمام محمد بن اسماعيل الأمير اليميني الصنعاني، (ت: ١١٨٢هـ)، باب المسح على الخفين، ١/٨٢.

ثانياً: ومنهم من جعل سبب الكسر هو "جوارها كلمة "برعوسكم" ولكنها في المعنى تعود على الغسل، المعنى الأول فقد يعطف بالاسم على الاسم ومعناه يختلف.

ثالثاً: من جعل عطف الرجلين على الرأس، دليل على جواز مسحها بالماء دون غسلها، فقد روى ابن جرير عن أوس بن أبي أوس^(١)، قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى سُبَّاطَةَ^(٢) قَوْمِ فَبَالَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَتَيْتُهُ، فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ»^(٣)، ثم قال الطبري رحمه الله: "إن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء... وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ، كان مستحقاً اسم ماسح غاسل، لأن غسلها إمرار اليد عليهما أو إصابتهما بالماء، ومسحهما: إمرار اليد أو ما قام مقام اليدين عليها، فإذا فعل ذلك فهو غاسل ماسح، لذلك اختلفت قراءة القراء في قوله تعالى: "وأرجلكم" فنصبها بعضهم توجيهاً منه ذلك إلى أن الغرض منهما هو المسح^(٤)، وقد رد الإمام ابن تيمية ذلك الرأي بقوله: "ومن يقول بمسحات بلا إسالة فهو مخالف لكل واحد من القراءتين والسنة المتواترة"^(٥). رابعاً: الاتجاه التوفيقي: وهو ما ذهب إليه بعض أهل العلم والفقهاء، فقد جاء في الإقناع: "ما أطلقه الأصحاب هنا من أن غسل الرجلين فرض محمول، كما قال الرافعي على غير لابس الخف، أو على أن الأصل الغسل، والمسح بدل عنه"^(٦).

وبذلك نرى كيف أثر اختلاف القراءتين على أقوال العلماء، والأحكام الفقهية المستنبطة منها، فقراءة من قرأ (أرجلكم) بالنصب عطفاً على المغسول، ومن قرأ بالخفض عطفاً على الممسوح، فمن ذهب إلى أن فرضهما واحد من هاتين الطهارتين على التعيين، إما الغسل وإما المسح، ذهب إلى ترجيح ظاهر إحدى القراءتين، وحرف بالتأويل ظاهر القراءة الثانية إلى معنى ظاهر القراءة التي ترجحت عنده، ومن اعتقد أن دلالة كل واحدة من القراءتين على ظاهرهما على السواء، جعل ذلك من الواجب المخير ككفارة اليمين، وغير ذلك^(١).

(١) أوس بن أبي أوس: واسمه حذيفة الثقفي له صحبة، عمر بن أوس، روى عن النبي ﷺ أحاديث وعن علي بن أبي طالب، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزني، ٣/٣٨٨.

(٢) السباطة: الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ، وما يكنس من المنزل، وقيل في الكناسة نفسها، لسان العرب، ابن منظور، ٧/٣٠٩.

(٣) مسند أحمد، باب حديث حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ح(٢٣٢٤٢)، ٣٨/٢٧٧.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/٦١-٦٢، بتصرف.

(٥) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ١/٣٦٧.

(٦) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تأليف الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، ١/١٨٥.

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الإمام محمد بن رشيد القرطبي، ص ١٥.

العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ويمكن الجمع بين القراءتين بالتالي:

إن الله أمر بغسل القدمين في حال ظهورهما، لأنه لا يذهب دنسهما إلا الغسل وهو ما تؤكد قراءة الفتح مع ضرورة التنبيه إلى عدم الإسراف في الماء لأن الغسل فيه مظنة ذلك وهو أشبه بإمرار اليد المبلولة بالماء على القدم، أما قراءة الكسر فبينت أنه يجوز المسح على الخفين، والجوربين في حال لبسهما، مع مراعاة الشروط المعتمدة لذلك، وبالتالي تصبح قراءة الفتح دليل على وجوب غسل القدمين في حال ظهورهما، وقراءة الكسر دليل على جواز المسح على الخفين في حال سترهما للقدمين، فتصبح القراءتين كالأيتين، والله تعالى أعلم.

* ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ *

قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف "لمستم".

وقرأ الباقون: "لامستم" بألف بعد اللام^(١).

معنى القراءات:

قراءة القصر بمعنى اللمس، وهو ما دون الجماع، كالقبلة والغمزة واللمس باليد، وهو مذهب ابن عمر وابن مسعود، بذلك يجعلون الفعل هنا للرجال دون النساء^(٢).

أما القراءة بالألف لامستم: أي جامعتم وهي من المفاعلة، واللامسة لا تكون إلا من اثنين، واستدلوا لذلك بما روي في التفسير: أن علياً رضي الله عنه قال: "لامستم النساء" أي جامعتم، ولكن الله يَكْنِي " (٣).

أما الفرق من حيث اللغة، فليس هناك فرق بين اللمس واللامسة، إلا من جهة ألف المفاعلة، التي يشترك فيها اثنان، قال ابن منظور: "لمسته لمساً، ولامسته ملامسة، يفرق بينهما فيقال: اللمس قد يكون مس الشيء بالشيء، واللامسة أكثر ما جاءت من اثنين، وقال: اللمس كناية عن الجماع، لمسها يلمسها ولامسها، وكذلك الملامسة"^(١).

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٢/٢٠٥.

(٢) انظر: الحجة في القراءات، ابن زنجلة، ص ٢٥٠.

(٣) انظر: الحجة في القراءات، ابن زنجلة، ص ٢٥٠.

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٦/٤٠٩.

الأثر الفقهي لاختلاف القراءات:

بناءً على الاختلاف في القراءات، اختلفت أقوال العلماء وآرائهم في تأويل اللبس، فاختر الشافعية أن المقصود بـ "لمستم" مجرد اللبس دون الجماع.

وأما قراءة "لامستم"، فقد جعلوها مبالغة في اللبس، وقالوا أورد الجماع بقوله: "إلا جنباً" ولو كان المراد باللبس الجماع لكان تكراراً في الكلام^(١)، والحكيم يتنزه منه.

واختار الأحناف أن اللبس والملامسة حقيقة في الجماع، ولكن الله يَكْنِي^(٢) مستدلين بما تقدم من مذاهب الصحابة كابن عباس: "عن سعيد بن جبيرة قال: كنا في حجرة ابن عباس، ومعنا نفر من الموالي، ونفر العرب، فتذاكرنا اللباس، فقلت أنا وعطاء، والموالي: اللباس: اللبس باليد، وقال عبيد بن عمير، والعرب، هو الجماع، فدخلت على ابن عباس فأخبرته، فقال: غلبت الموالي، وأصابت العرب، ثم قال: إن اللبس، والمس المباشرة إلى الجماع ما هو - أي هي الجماع - ولكن الله يَكْنِي ما شاء بما شاء^(٣)."

وتوسط المالكية فقالوا: "ينتقض الوضوء بلمس المتوضئ البالغ لشخص يَلْتَدُّ به عادة^(٤)، فجعلوا الضابط لنقض الوضوء حصول اللذة.

وهو ما دلت له عبارة ابن العربي المالكي: راعى مالك في اللبس القصد وجعله الشافعي ناقضاً للطهارة بصورته كسائر النواقض، ثم قال: "إن الله تعالى أنزل اللبس المفضي إلى خروج المذي منزلة التقاء الختانين المفضي إلى خروج المني، فأما اللبس المطلق فلا معنى له، وذلك مقرر في مسائل الخلاف^(٥)."

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

بناءً على ما سبق من احتجاج كل فريق على ما ذهب إليه قرأتين الأحوال، فلا مطمع في الانتصار لمذهب دون مذهب، ولكن يمكن أن يؤكد من خلال ذلك أثر تنوع القراءات واختلافها على الكثير من مسائل الفقه، ويمكن الجمع بين القراءتين: بأن الله ﷻ أمر بالوضوء من غشيان النساء على سبيل الحتم، ثم أمر به من مسهنً على سبيل الندب، وإنما صرف المعنى هاهنا من الحتم إلى الندب ما روي "عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «قَبِلَ بَعْضَ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨٢/٦.

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ٥٥٠/٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٥٥٠/٣.

(٤) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢٧٤/١.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي، ٥٥٠/١.

إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ» قُلْتُ: مَا هِيَ إِلَّا أَنْتِ «فَضَحِكْتَ»^(١).

وهذا ما اختاره الحنابلة على المشهور حيث قالوا: "وإذا لم ينتقض الوضوء بمس أنثى، فإنه يستحب^(٢)، والله تعالى أعلم.

خامساً: الإعراب:

التوجيه للقراءات:

بناء على هاتين القراءتين يظهر ثلاثة أوجه إعرابية^(٣) وجهان لقراءة النصب، ووجه لقراءة الجر وهي:

الأول: (أرجلكم) بالنصب معطوفة على (وجوهكم وأيديكم).

الثاني: (أرجلكم) بالنصب على محل (برؤوسكم).

الثالث: (أرجلكم) بالجر معطوفة على قبلها، وهي كلمة (برعوسكم).

المعاني التفسيرية بناء على التوجيه الإعرابي للقراءات:

المعنى الأول: أي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم، وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برعوسكم، فيكون في الكلام تقديم وتأخير^(٤).

المعنى الثاني: أي وامسحوا برعوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وأصحاب هذا القول جعلوا قراءة النصب كقراءة الجر في الدلالة على المسح^(٥).

المعنى الثالث: أي وامسحوا برعوسكم، وامسحوا بأرجلكم، وعليه فهذا المعنى، دال على مسح الرجلين وليس على غسلهما.

وهذه المعاني كلها ثابتة للآية، وليس بينهما تعارض، فإنه إذا اجتمع قراءتان في آية واحدة، وكان لكل قراءة معنى خاص بهما، فلهما حكم الآيتين^(١)، وهذا من الإيجاز المعجز في

(١) سنن ابن ماجة، باب الوضوء من القبلة، ح (٥٠٢)، ١/١٦٨، حكم الألباني: صحيح.

(٢) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، ١/٢٧٥.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٤/٢١٠، والمشكل مكي بن أبي طالب، ١/٢١٩-٢٢٠، والتبيان، العكبري، ١/٤٢٢.

(٤) انظر: أبو حيان الأندلسي، ٤/١٩٠، ودقائق التفسير، ابن تيمية، ٣/٢٥.

(٥) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٤/١٩١، والتبيان، العكبري، ١/٤٢٢.

(١) انظر: دقائق التفسير، ابن تيمية، ٣/٢٧، وأضواء البيان، الشنقيطي، ١/٣٣٠، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٣٢٦-٣٢٧.

كتاب الله تعالى وعليه فإن للرجل حالين، لكل حال منهما حكم مستقل: حال تكون فيها ظاهرة، مكشوفة، ففرضها الغسل، وحال تكون فيها مستورة، ففرضها المسح^(١).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلِيْتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾.

يحتمل متعلق حرف الجر (على) ثلاثة أوجه^(٢):

الأول: أنه متعلق بـ (يتم).

الثاني: أنه متعلق بـ (نعمة).

الثالث: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من (نعمة).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: وتقديره: ليتم الله عليكم نعمته، ففي هذا المعنى تخصيص الإتمام على المؤمنين لا على غيرهم، وهذا امتنان من الله ﷻ على عباده بإتمام الإنعام عليهم وإكماله.

المعنى الثاني: ليتم الله نعمته عليكم، وفي هذا المعنى بيان إتمام نعمة الله على عباده بما رخص لهم من التيمم التي تقتضي شكره.

المعنى الثالث: وتقديره: ليتم الله نعمة كائنة عليكم، وفي هذا المعنى تأكيد لإتمام النعمة على المؤمنين لا على غيرهم، فهو قريب من المعنى الأول.

* قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

الموضع: قوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾.

يحتمل الظرف (إذ) وجهين من الإعراب^(٣):

الأول: أنه منصوب بـ (واثقتكم).

الثاني: أنه حال من (ميثاقه).

(١) أما تفصيل قراءة الجر، وأقوال العلماء فيها، فينظر: توجيه مشكل القراءات العشرية، الحربي، ص ١٩٩-٢٠٧.

(٢) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، ٢١٧/٤، والتبيان، للعكبري، ٤٢٤/٢.

(٣) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، ٢١٧/٤، والتبيان، للعكبري، ٤٢٤/١، واللباب، لابن عادل، ٢٤١/٧.

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: واذكروا عهد الله ﷻ الذي أخذه عليكم من الإيمان بالله ورسوله ﷺ وقت قولكم: سمعنا وأطعنا، وفي هذا المعنى تذكير للمؤمنين بالعهد الذي عاهدكم به الله ﷻ حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والعسر واليسر، وقالوا له سمعنا ما أمرتنا به ونهيتنا عنه، وأطعناك فلا نعصيك في معروف، وكل ما جئتنا به فهو معروف (١).

المعنى الثاني: واذكروا نعمة الله عليكم فيما شرعه لكم، واذكروا عهده حال كونه وقت قولكم: سمعنا وأطعنا، وفائدة تقييد تذكيرهم بوقت قولكم: سمعنا وأطعنا، هو تأكيد وجوب مراعاة العهد بتذكير قبولهم له، والتزامهم بالمحافظة عليه (٢).

سادساً: التفسير الإجمالي:

إن الحديث عن الصلاة والطهارة، إلى جانب الحديث عن الطيبات من الطعام، والطيبات من النساء، وإن ذكر حكم الطهارة إلى جانب أحكام الصيد والإحرام، والتعامل مع الذين صدوا المسلمين عن المسجد الحرام وهذا لا يجيء اتفاقاً ومصادفة، ولا بعيداً عن جو السياق وأهدافه، إنما يجيء في موضعه لحكمته في نظم القرآن، إن أحكام الصلاة والطهارة كأحكام الطعام، والنكاح كأحكام الصيد في الحل والحرمة، والتعامل مع الناس في السلم والحرب فكلها عبادة لله ﷻ.

إن الصلاة لقاء مع الله تعالى، ووقوف بين يديه، ودعاء مرفوع إليه، ونجوى وإسرار، فلا بد لهذا الموقف من استعداد، لا بد من تطهر جسدي يصاحبه تهيؤ روحي، ومن هنا كان الوضوء (٣).
يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم محدثون، وهذا الفيد ثبت في السنة النبوية، فإذا كان مريد الصلاة محدثاً وجب عليه الوضوء، لحديث أبو هريرة عن النبي ﷺ :
«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ» (٤).

وإذا كان مريد الصلاة متوضئاً فهو مندوب، عن عمرو بن عامر الأنصاري، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» قَالَ: قُلْتُ: وَأَنْتُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: «كُنَّا نُصَلِّي الصَّلَاةَ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ مَا لَمْ نُحْدِثْ» (١).

(١) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، ١/٢٢٤-٢٢٥، وتفسير حدائق الروح، الريحان للهرري، ١٣٩/٧، تفسير المراغي، ٦/٦٦.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبو السعود، ٣/١١، وروح المعاني، للألوسي، ٣/٢٥٦.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٦٢.

(٤) صحيح البخاري، باب لا تقبل صلاة بغير طهور، ح (٦٩٥٤)، ٩/٢٣.

(١) مسند أحمد، باب مسند أنس بن مالك ﷺ، ح (١٢٣٤٦)، ١٩/٣٥٠، إسناده صحيح على شرط مسلم.

وكان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة غالباً، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «صَلَّى الصَّلَاةَ يَوْمَ الْفَتْحِ بُوْضُوءٍ وَاحِدٍ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ، قَالَ: «عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ»، لبيان جواز ذلك (١).

فرائض الوضوء في الآية أربعة، وهي:

غسل الوجه والأيدي إلى المرافق، ومسح الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، وحول هذه الفرائض خلافات فقهية يسيرة، أهمها هل هذه الفرائض على الترتيب الذي ذكرت به؟ أم هي تجزئ على غير ترتيب؟

هذا في الحدث الأصغر، أما الجنابة سواء بالمباشرة أو الاحتلام فتوجب الغسل ولما فرغ من بيان فرائض الوضوء والغسل أخذ في بيان حكم التيمم، وذلك في الحالات الآتية:

- حالة عدم وجود الماء للمحدث على الإطلاق.

- حالة المريض المحدث، حدثاً أصغر يقتضي الوضوء، أو حدثاً أكبر يقتضي الغسل والماء وقد عبر عن الحدث الأصغر بقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾، وعبر عن الحدث الأكبر بقوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، لأن هذا التعبير الرقيق يكفي في الكناية عن المباشرة.

ففي هذه الحالات لا يقرب المحدث حدثاً أصغر أو أكبر الصلاة، حتى يتيمم صعيداً طيباً، أي شيئاً من جنس الأرض طاهراً، ولو كان تراباً على ظهر الدابة، أو الحائط، فيضرب بكفيه ثم ينفضهما، ثم يمسح بهما وجهه، ثم يمسح بهما يديه إلى المرفقين ضربة للوجه، واليدين أو ضريتين (٢).

والغسل هو: إسالة الماء على الشيء لإزالة ما عليه من الوسخ ونحوه، والمسح: هو إصابة الشيء الممسوح بالبلل.

الفرض الأول: غسل الوجه:

وهو من أعلى منابت الشعر إلى أسفل الذقن، وما بين الأذنين عرضاً، ومن له لحية خفيفة يجب عليه غسل ظاهر الشعر والبشرة التي تحته، وصاحب اللحية الكثة يخللها، ولا يجب إيصال الماء إلى العين، أما المضمضة والاستنشاق فنثبت حكمها بالسنة.

(١) صحيح مسلم، باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، ح (٢٧٧)، ٢٣٢/١.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٦٤.

الفرض الثاني: غسل اليدين إلى المرفقين:

واليد في الوضوء رؤوس الأصابع إلى المرفق، وهو أعلى الذراع، وأسفل العضد، قوله تعالى: (إلى المرفق)، (وإلى الكعبين) تدل على أن ما بعدها غاية لما قبلها فقط، وأما دخول الغاية في الحكم، أو خروجها عنه فيعرف بالدليل الخارجي، ففي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1]، ما بعد إلى داخل في حكم ما قبلها، لأنه لا يتحقق معنى الإسراء إلا بدخول الأقصى والتعبد فيه، كبداء الإسراء من المسجد الحرام.

الفرض الثالث: المسح بالرأس:

فلو مسح على شعر رأسه من غير بلاغة إلى البشرة، جاز ذلك، وكان ماسحاً على الرأس وفاعلاً لمقتضى الآية عند جميع المسلمين، وكذلك نبات الشعر على الوجه منه أن يكون منه، ومن لا يرى أنه من الوجه يفرق بينه وبين شعر الرأس، لأن شعر الرأس يولد المرء عليه، وهو بمنزلة شعر الحاجب، في كون كل واحد منهما من العضو الذي هو منه، وشعر اللحية غير موجود معه في حالة الولادة، وإنما يوجد بعده، ولذلك لم يعد من الوجه.

وعلى الجملة لفظ الرأس مطلقاً لا يظهر في شعر الرأس الأعلى الذي يظهر لفظ الوجه في شعر الوجه^(١)،

قال الشافعي: يكفي أقل ما يطلق عليه اسم المسح، ولو شعرة في حد الرأس^(٢).

ومسح ريع الرأس عند الإمام أبي حنيفة النعمان، وعلى كل الرأس عند مالك للاحتياط، وقد فعل النبي ﷺ هذا كله، والآية تحتل كل هذا، إذ الباء (برعوسكم) قد تكون للإصاق أو التبويض، أو زائدة صلة، ولا ننسى خلاف العلماء رحمة^(٣).

والجمهور على أن المسحة الواحدة تجزأ، وقال الشافعي يمسح ثلاثاً، والأحاديث تدل على تكرار أفعال الوضوء ثلاثاً، أما المسح فلم يذكروا فيه عدداً والمسح عند الجمهور: يبدأ بمقدم الرأس ثم يذهب بيده نحو مؤخره، ثم يردها إلى مقدمه^(١).

(١) انظر: أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي المعروف بالكيا الهراسي، ٣/٣٧.

(٢) انظر: أحكام القرآن، للشافعي، أحمد بن الحسين بن علي الخسروجدي، ١/٤٤.

(٣) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٦/١٠٧٢.

(١) انظر: أحكام القرآن للشافعي، أحمد الخسروجدي، ١/٤٥.

الفرض الرابع: غسل الرجلين إلى الكعبين:

سُئِلَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْوُضُوءِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ سُئِلَ عَنِ الْوُضُوءِ «فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَتَى بِمِيضَاةٍ فَأَصْغَاَهَا عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِي الْمَاءِ فَتَمَضَّمَصَ ثَلَاثًا، وَاسْتَنْشَرَ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، وَغَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخَذَ مَاءً فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ، فَغَسَلَ بَطُونَهُمَا وَظَهْرَهُمَا مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ»، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُونَ عَنِ الْوُضُوءِ؟ «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " أَحَادِيثُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّحَاحُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى مَسْحِ الرَّأْسِ أَنَّهُ مَرَّةً، فَإِنَّهُمْ ذَكَرُوا الْوُضُوءَ ثَلَاثًا، وَقَالُوا فِيهَا: وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَلَمْ يَذْكُرُوا عَدَدًا كَمَا ذَكَرُوا فِي غَيْرِهِ (١).

وفي صفة وضوء رسول الله ﷺ: سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ " سُئِلَ عَنِ الْوُضُوءِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِمَاءٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَمَضَّمَصَ وَاسْتَنْشَقَ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَمَسَحَ رَأْسَهُ. قَالَ عُثْمَانُ: مَسَحَ مَالِكُ رَأْسَهُ، فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ بِهِمَا. وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ "، وَقَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ (٢).

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ رأى رجلاً لم يغسل عقبه، فقال: (ويل للأعقاب من النار) (٣).

ويجوز المسح على الخفين بدلاً من غسل الرجلين، بعد لبسهما على طهارة، للمقيم يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام، وقد ثبت مشروعيته بالسنة المتواترة، لحديث جرير: "رأيت رسول الله ﷺ، «بَالَ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى» فَسُئِلَ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ صَنَعَ مِثْلَ هَذَا» (٤).

أضاف الجمهور غير الحنفية لفرائض الوضوء، فرض النية، لقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (١).

وأضاف الشافعية والحنابلة، وجوب الترتيب، لأنه يبدأ بغسل الوجه عند القيام إلى الصلاة، لأنه مأمور به بقاء التعقيب المقتضية للترتيب.

(١) سنن أبي داود، باب صفة وضوء رسول الله، ح (١٠٨)، ٢٦/١، حسن صحيح.

(٢) مسند أحمد، باب حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، (١٦٤٤٣)، ٣٧٢/٢٦.

(٣) صحيح مسلم، سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري، باب الصلاة في الخفاف، ح (٣٨٧)، ٨٧/١.

(١) صحيح البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ح (١)، ٦/١.

وأوجب الحنابلة المضمضة والاستنشاق، لحديث أبي هريرة: «إِذَا اسْتَجَمَرَ أَحَدُكُمْ فَلَيْسَتْجَمِرَ وَتَرًّا، وَإِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَنْتَثِرَ» (١).
وينتقض الوضوء بأسباب منها:

خروج شيء من أحد السبيلين، والنوم على هيئة لا تتمكن مقعدته من الأرض، ولمس بشرة الرجل للمرأة، وبالعكس لدى الشافعية، وفي حال الشهوة فقط عند المالكية والحنابلة، ولا ينقض التلامس عند الحنفية، ومس فرج الآدمي بباطن الكف، وفي رأي الجمهور غير الحنفية (٢)، حديث النبي ﷺ: «فَجَاءَ رَجُلٌ كَأَنَّهُ بَدَوِيٌّ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا تَرَى فِي مَسِّ الرَّجُلِ ذَكَرَهُ بَعْدَ مَا يَتَوَضَّأُ؟ فَقَالَ: «هَلْ هُوَ إِلَّا مُضَعَّةٌ مِنْهُ»، أَوْ قَالَ: «بَضْعَةٌ مِنْهُ» (٣).

فرضية الغسل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي فاعسلوا بالماء أبدانكم جميعاً لأن الأمر بالتطهير لما لم يتعلق بعضو مخصوص، كان أمراً بتحصيل الطهارة في كل البدن وإنما حملت الطهارة على التطهر بالماء.

والجنب: لفظ يستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، والجنباء معنى شرعي يستلزم اجتناب الصلاة، وقراءة القرآن، ومس المصحف، ودخول المسجد إلى أن يغتسل الجنب، وسبب جنباء اثنان: الأول: نزول المنى لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ» (٤)، أي إنما يجب استعمال الماء للغسل من أجل الماء الحادث باحتلام أو جماع، أي المنى.
الثاني: التقاء الختانين لقوله ﷺ: " إِذَا التَّقَى الْخِتَانَانِ وَجَبَ الْغُسْلُ " (٥).

ويجب الاغتسال أيضاً عند انقطاع دم الحيض والنفاس، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وللاجتماع أن النفاس كالحيض وحكمه الوضوء والغسل، النظافة وبعث النشاط، ليقف العبد بين يدي ربه حاضر القلب، صافي الروح، والغسل من جنباء لإزالة ما يعتري الجسم من استرخاء وفتور.

وبعد أن بين الله ﷻ وجوب استعمال الماء في الوضوء والغسل عند إرادة الصلاة، والوضوء مرة أو أكثر في اليوم، وكذلك الغسل، بين أن وجوب استعمال الماء مقيد بأمرين:

-
- (١) صحيح مسلم، باب في الاستنثار والاستجمار، ح (٢٣٧)، ٢١٢/١.
 - (٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠٧/٦.
 - (٣) سنن أبي داود، باب الرخصة في ذلك، ح (١٨٢)، ٤٦/١، صححه الألباني.
 - (٤) صحيح مسلم، باب إنما الماء من الماء، ح (٣٤٣)، ٢٦٩/١.
 - (٥) مسند أحمد، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، ح (٢٦٠٢٥)، ١٥١/٤٣، حديث صحيح.

الأول: وجود الماء، **والثاني:** القدرة على استعماله من غير ضرر.

فإن كان مريد الصلاة مريضاً أو مسافراً فلم يجد الماء، فرخص له الشرع في التيمم من الحدث الأصغر، والأكبر، وإن كنتم مرضى بمرض يشق معه استعمال الماء أو يضر كالحمى ونحوها، والمرض الجلدي كالجدري، والجرب ونحوهما من القروح والجروح، أو كنتم في سفر طويل أو قصير، ولم تجدوا ماء فتيمموا.

والمراد بالسفر: السير خارج العمران، وهو غير سفر القصر، وعبر بالسفر عن عدم الماء، لأن السفر يغلب فيه عدم وجود الماء، وكذا إذا أحدثتم الحدث الأصغر، المعبر عنه بالمجيء إلى الغائط، وهو كناية عن قضاء الحاجة، من بول وغائط، وكل ما يخرج من السبيلين ملحق بقضاء الحاجة كذلك إن حدثت ملامسة أي مباشرة مشتركة بين الرجال والنساء، وهذا هو الحدث الأكبر أي الجماع^(١).

والخلاصة: إذا كنتم على حال من الأحوال الأربعة المتقدمة، المرض والسفر والحدث الأصغر، والأكبر، ولم تجدوا ماء، أي فقدتم الماء، أو كنتم محتاجين له فتيمموا تراباً أو مكاناً على وجه الأرض طاهراً، لا نجاسة فيه، فاضربوا بأيديكم عليه، وامسحوا وجوهكم وأيديكم، ومسح اليد يكون إلى المرفق في رأي الحنفية والشافعية، كما في الوضوء، والتيمم بدل الوضوء لما روي عن ابن عمر موقوفاً، أن النبي ﷺ قال: "التَّيْمُ ضَرْبَتَانِ، ضَرْبَةٌ لِلْوَجْهِ، وَضَرْبَةٌ لِلْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ"^(٢)، ولا بد من استيعاب الوجه واليدين بالتيمم لفعل النبي ﷺ، ولأن التيمم بدل عن الوضوء، والاستيعاب في الأصل واجب، فيكون البديل كذلك، ما لم يقد دليل على خلافه.

واختلف الفقهاء في لزوم إيصال التراب إلى الوجه واليدين وعدمه، فقال الحنفية والمالكية: لا يلزم، وقال الشافعية: يلزم، وسبب الاختلاف الاشتراك في معنى الباء، فإنها ترد للتبويض، وترد للابتداء، وتمييز الجنس، فرجح الشافعية حملها على التبويض قياساً للتيمم على الوضوء، ويجب في الوضوء استعمال بعض الماء، فيجب استعمال بعض التراب في التيمم.

ورجح الحنفية والمالكية حملها على الابتداء، وتمييز الجنس، لأن التيمم ينفذ يديه ليتناثر التراب فيمسح وجهه ويديه من غير تلويث^(١).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٠٨/٦-١٠٩.

(٢) المستدرک على الصحيحين، النيسابوري، باب وأما حديث عائشة، ح (٦٣٦)، ٢٨٧/١، اسناده صحيح.

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٠/٦.

ذكر الله تعالى حكمة مشروعية التيمم وهو التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم، لقوله تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج: ٧٨]، فالله تعالى فيما شرع لنا من أحكام الوضوء والغسل والتيمم وغيرها، فيها رفع الحرج والمشقة، فالله تعالى غني عنكم، رحيم بنا، فلا يشرع لنا إلا ما فيه الخير والصلاح والنفعة، ويريد تطهيرنا من الدنس والرجس سواء مادي، بإزالة الأقدار، والرجس المعنوي، بطرد الكسل والفتور، الحاصل عقب الجنابة وبعث النشاط ليعتد النشاط والراحة النفسية في جسم الإنسان وتكون طهارة للأبدان^(١).

حكمة الوضوء والغسل:

للوضوء والغسل فوائد أهمها^(٢):

١- أن غسل البدن كله، وغسل الأطراف يزيد صاحبه نشاطاً وهمة، ويزيل ما يعرض للجسد من الفتور والاسترخاء، بسبب الحدث أو غيره، من الأعمال التي تؤثر تأثيره، وبدا يقيم الصلاة على وجهها، ويعطيها حقها من الخشوع ومراقبة الله تعالى إذ المشاهد أنه إذا بلغ الإنسان، من هذه اللذة الجسمية غايتها بالوقوع، أو الإنزال، حصل تهيج عصبي كبير، يعقبه فتور، فلا يعيد نشاطه إلا غسل البدن كله.

٢- إن النظافة ركن الصحة البدنية، فإن الوسخ والأقدار مجلبة الأمراض، والأدواء الكثيرة، ومن ثم ترى يشددون في أيام الأوبئة والأمراض المعدية في المبالغة في النظافة، وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصحاب الناس أجساداً، وأقلهم أمراضاً، لأن دينهم مبني على المبالغة في نظافة الأبدان والثياب والأمكنة فإذا هم فعلوا ما أوجبه الدين تتنفي الأسباب التي تولد جراثيم الأمراض عند الناس.

٣- تكريم المسلم نفسه لدى نفسه وأهله وقومه الذين يعيش معهم، إذ من كان نظيف البدن والثياب كان جديراً بحضور كل مجتمع، ولقاء أشرف الناس وفضلائهم، ومن كان وسخاً قذراً فإنه يكون محتقراً عند كرام الناس، ولا يعدونه أهلاً لأن يحضر مجالسهم ويشعر في نفسه بالضعف والهوان.

ولأجل هذا ورد الأمر بالغسل والطيب، ولبس الثياب النظيفة يوم الجمعة، لأنه يوم يجتمع فيه الناس في المساجد لعبادة الله تعالى، روى مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم من طرق عدة أن النبي ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»^(١) أي بالغ مكاف^(٢).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٠/٦.

(٢) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٧٦/٦ بتصرف.

(١) صحيح مسلم، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ، ح (٨٤٦)، ٥٨٠/٢.

(٢) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٧٦/٦.

هذه هي الطهارة ما فرضها الله تعالى على عباده ليشق عليهم ويضيق، ولكنها رحمة ونظافة وطهارة تحمي الإنسان من القذر ووساوس الشيطان وتبيح التعبد ومس المصحف، ودخول المساجد والصلاة على الأموات والنفل وغيرها، تماماً للنعمة وهي نعمة الإسلام المذكورة وفضل الله الذي "ويحب المتطهرين" ثم لعلكم تشكرون الله تعالى، هذا الاهتمام بنظافة وقربى ورفعته بهذا الدين وهذا التشريع.

يذكر الله تعالى بالنعمة، نعمة الإسلام ونعمة التحليل والتحریم، التي هي منهج الله الذي رسمه للعباد، ورضيه لهم ليكونوا على بصيرة في دينهم.

"وميثاقه الذي واثقكم به" وهي موثيق متعددة أولها ما كان عليه العباد في عالم الذر ^(١).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

والميثاق الذي أخذه الرسول ﷺ على الأنصار يوم بيعة العقبة الثانية في العام

الثالث عشر:

١- السمع والطاعة في المنشط والمكروه.

٢- وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣- و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- ولا تأخذكم في الله لومة لائم فكلها موثيق، يذكر الله بها ^(٢).

"ومن الميثاق الذي واثق الله به هذه الأمة المسلمة، القوامة على البشرية بالعدل، المطلق الذي لا يميل ميزانه مع المودة والشنآن، ولا يتأثر بالقرابة أو المصلحة أو الهدى في حال من الأحوال، العدل المنبثق من القيام لله وحده والشعور برقابة الله وعلمه بخفايا الصدور" ^(١).

إذا قلتم سمعنا وأطعنا، والسمع والطاعة عهد وميثاق، ثم يذكر التقوى ويأمر بها لأن في الخوف منه نجاة، وفي التهاون مهلكة والنبي ﷺ يقول: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ فَقَدْ بَلَغَ الْمُنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ» ^(٢)، فمن خاف الله ابتعد عن محارمه، والله يذكر العباد أنه مطلع على ما في صدورهم من شيء وإن لم يذكروه فهو عالم به مطلع عليه.

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٢/٣٠٠.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، ١/١٤٠-١٤١.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٦٦٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، كتاب الرقائق، ح (٧٨٥١)، ٤/٣٤٣، حديث صحيح الإسناد.

﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ وهي مبالغة القيام لله، أن نقوم وفاء بعهوده وموآثيقه وأن نقوم لله ملتزمين بما أمر منتهين عما نهى خوفاً وخشية منه (١).

﴿بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ﴾ شهادة مجردة لله عدلاً لا حيف فيها ولا جور ولا ظلم، حتى لو كان الذي يشهد له أو عليه قريباً من أقرب أقرئنا أو خصماً من الخصوم، لا يحملنا هذا التخاصم الذي يولد العداوة على ألا تعدل، فالله يأمر بالعدل، مع وجود البغضاء لأن الشهادة هنا لله مجردة من كل شبهة وريبة خالصة لله تعالى، فالله يأمرنا أن نعدل في الشهادة ولا نقول إلا ما علمنا إقامة للحق والعدل، فالعدل يقربكم للتقوى أكثر من الجور والحيف ثم يذكر بالتقوى ويأمر بها ويقول أنه "خبير بما تعملون"، كما قال قبلاً "عليم بذات الصدور" كلاهما دليل وتذكير باطلاع الله على ما نكن وما نعلن (٢).

ما ترشد إليه الآيات:

يؤخذ من آية الوضوء والتيمم ما يأتي:

١- الطهارة شرط لصحة الصلاة، لأنه تعالى أوجب الطهارة بالماء عند إرادة الصلاة، وأوجب التيمم عند فقدان الماء، فدل على أن الأمور به أداء الصلاة مع الطهارة، وأداء الصلاة بدون طهارة لا يحقق المطلوب، أو أداء الأمور به، والأذنان من الرأس عند الجمهور غير الشافعية، لكن يمسحان مع الرأس بماء واحد، عند الحنفية، ويجدد لهما الماء في رأي مالك وأحمد والشافعي، ومذهب الجمهور على أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح، وهو الثابت من فعل النبي ﷺ ودلت الآية "وأرجلكم" على قراءة الجر أو الخفض على مشروعية المسح على الرجلين، إذا كان عليهما خفان، وقد أثبت المسح على الخفين عدد كبير من الصحابة وغيرهم، قال الحسن البصري: "حدثني سبعون رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يمسح على الخفين" (١).

٢- التيمم بدل عن الوضوء في الحدث الأصغر باتفاق، وأما كونه بدلاً عن الغسل في الحدث الأكبر فهو محل خلاف بين السلف، قال علي وابن عباس وأكثر الفقهاء: أنه بدل عنه أيضاً، فيجوز التيمم لرفع الحدث الأكبر، وقال عمر وابن مسعود: إنه ليس بدلاً عن الغسل، فلا يجوز له التيمم لرفع الحدث الأكبر، وإذا كان في الاشتغال بالوضوء فوات الوقت، لم يتيمم

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٣٠١/٢ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٠٢/٢.

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٢١١/٦ بتصرف.

عند أكثر العلماء، لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ وهذا واجب، فقد عدم شرط صحة التيمم، فلا يتيمم، وأجاز مالك التيمم في مثل ذلك، لأن التيمم إنما جاء في الأصل لحفظ وقت الصلاة، ولولا ذلك لوجب تأخير الصلاة إلى حين وجود الماء (١).

٣- الطهارة لا تجب إلا عند الحدث، لأنها تضمنت أن التيمم بدل عن الوضوء والغسل، وقد أوجبه الله تعالى، على مرید الصلاة، متى جاء من الغائط، أو لامس النساء، ولم يجد الماء، ودلت الأحاديث على أن الريح، والمذي، والودي، ينقض الوضوء كالبول والغائط.

٤- استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن إزالة النجاسة ليست بواجبة، لأنه قال تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ ولم يذكر الاستنجاء، وذكر الوضوء، فلو كانت إزالتها واجبة لكانت أول مبدوء به، وهو قول أصحاب أبي حنيفة، ومالك، في رواية عنه، وقال ابن وهب عن مالك: تجب إزالتها في التذكر والنسيان، وهو قول الشافعي، والصحيح رواية ابن وهب: لأن النبي ﷺ أخبر عن صاحب القبرين، أن عذاب أحدهما "لأنه لا يستبرئ من بوله، ولا يندب إلا على ترك واجب، وقال أبو حنيفة: يجب إزالة النجاسة إذا زادت على قدر الدرهم البغلي (٢).

ولا يجوز المسح على الجوربين عند أبي حنيفة والشافعي، إلا أن يكونا مجلدين، وأجاز جماعة من الصحابة، المسح على الجوربين.

الدروس المستفادة ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ما يأتي:

وجوب تقوى الله تعالى فيما أمر به، ونهى عنه، والمراد من الآية: هو العهد والميثاق الذي جرى للصحابة مع النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، إذ قالوا: سمعنا وأطعنا، كما جرى في ليلة العقبة، وتحت الشجرة. (١).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٣/٦.

(٢) ذكر الدميري ضرباً من النقود يقال لها البغلية، نقلاً عن التفسير المنير، ١١٤/٦.

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٤/٦.

المقطع الثاني

القوامة على البشرية بالعدل، والتذكير بنعم الله تعالى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ * وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ [المائدة: ٨-١١].

أولاً: المناسبة:

[بعد أن أمر الله ﷺ عباده بالوفاء بالعقود عامة، ثم امتن عليهم بإباحة كثير من الطيبات لهم، وتحريم ما يضرهم من الطعام إلا في حال الضرورة، ثم ذكر حل طعام أهل الكتاب ونسائهم إذا كن محصنات، ثم أمرهم بالطهارة مع رفع الحرج عنهم، ذكر هنا ما ينبغي أن يكون في معاملتهم سواهم، سواء أكانوا أعداء أم أولياء، ثم ذكر وعده لعباده الذين يعملون الصالحات، ووعيده لمن كفر وكذب بالآيات، ثم ختمها بذكر المنة الشاملة والنعمة الكاملة، إذ أنقذهم من أعدائهم وأظهرهم عليهم، وكانوا على وشك الإيقاع بهم، ولكن رحمهم وكبت أعداءهم وردهم صاغرين، ليكون الشكر أتم والوفاء ألزم] (١).

ثانياً: أسباب النزول:

هناك عدة روايات في أسباب النزول منها:

* ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

١- قيل: نزلت هذه الآية في يهود بني النضير، حين انتمروا على الفتك برسول الله ﷺ، فأوحى الله إليه بذلك، ونجا من كيدهم، فأرسل ﷺ يأمرهم بالرحيل، من جوار المدينة، فامتنعوا وتحصنوا بحصونهم، فخرج ﷺ، بجمع من أصحابه، وحاصرهم ست ليال، اشتد الأمر فيها عليهم، فسألوا النبي ﷺ أن يكتفي منهم بالجلاء، وأن يكف عن دمائهم، وأن يكون لهم ما حملت الإبل، وكان البعض من المؤمنين يرى لو يمثل النبي ﷺ بهم، ويكثر من الفتك فيهم،

(١) في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٧٨/٢.

فنزلت الآية لنهيهم عن الإفراط في المعاملة بالتمثيل والتشويه، فقبل النبي ﷺ من اليهود ما اقترحوه (١).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

قوامين: من الفعل الثلاثي (قَوَّمَ)، القاف والواو أصلان صحيحان، يدل إحداهما على جماعة ناس وربما استعير في غيرهم، والآخر على اختصاص أو عَزَمَ.

فالأول: القوم يقولون: جمع امرئ، ولا يكون ذلك إلا للرجال، قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، ثم قال: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾.

وأما الآخر فقولهم: قام قياماً، والقَوْمَةُ المرة الواحدة، إذا انتصب، ويكون قام بمعنى: العزيمة، كما يقال: قام بهذا الأمر، إذا اعتنقه، وهم يقولون في الأول: قيام حَتْمٌ، وفي الآخر: قيام عَزَمَ.

ومن الباب: قومت الشيء تقويماً، وأصل القيمة الواو، هذا قوام الدين، والحق: أي به يقوم، أما القوام: فالطول الحسن، والقومية: القوام والقامة (٢).

بالقسط: (قَسَطَ) القاف والسين والطاء أصلان صحيح يدل على معنيين متضادين، والبناء واحد، فالقسط: العدل، ويقال منه أقسط، يقسط، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] والقسط: بفتح القاف: الجور، والقُسُوط: العدول عن الحق، يقال: أقسط إذا جاء يقسط قسطاً، والقَسَطُ: اعوجاج في الرجلين، وهو خلاف الفحج.

ومن الباب الأول القِسْطُ: النصيب، وتقسطنا الشيء بيننا، والقسطاس: الميزان، قال تعالى: ﴿وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢]، ومما ليس من هذا القِسْطُ: شيء يُتَبَخَّرُ به عربي (٣).
المغفرة: (عَفَرَ) الغين والفاء والراء عَظُمَ بابه الستر، ثم يشذ عنه ما يذكر، فالعَفْرُ: الستر والغفران، والغَفْرُ بمعنى، يقال: غفر الله ذنبيه غفراً ومغفرة، وغفراناً.

ويقال: عَفَرَ الثوب، إذا ثار زبئره، وهو من الباب، لأن الزبئر يغطي وجه الثوب والمغفَرُ معروفٌ، والغفارة: خرقة يضعها المدهن على هامته.

هَمٌّ: الهمُّ: الحزن والجمع هموم، وأهمني الأمر، إذا أقلقك وحزنك، ويقال: همك ما أهمك، والمهم: الأمر الشديد، وهمني المرض: أذابني، وهم بالشيء يهم هماً، نواه وأراده وعزم عليه (٤).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د وهبة الزحيلي، ١١٦/٦، جامع البيان، للطبري، ٩٠/١٠.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣/٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٨٥/٥، ٨٦.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦٢٠/١٢.

يبسطوا: (بَسَطَ)، الباء والسين والطاء أصل واحد، وهو امتداد الشيء في عرض، أو غير عرض، فالبساط ما يُبسط، والبَسَطُ: الأرض، وهي البسيطة، يقال مكان بسيطٌ وبَسَطٌ.

ويد فلان بِسَطٌ: إذا كان منافقاً، والبسطة في كل شيء السعة، وهو بسيط الجسم، والباع والعلم، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسُطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ومن هذا الأصل وإليه يرجع قولهم للناقة التي حُلِيَتْ هي وولدها لا تمنع منه (١).

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: ﴿سَنَنْ﴾.

قرأها ابن عامر وشعبة، وأبو جعفر، بإسكان النون "سَنَنْ".
وقرأها الباقون بالفتح، "سَنَنْ" (٢).

قراءة الإسكان على أنها مصدر لـ"سنيء" نحو لويته ليئناً، فليان مصدر على وزن فعلان فيكون المعنى: لا يكسبنكم سنانكم قوماً، أي بغضكم قوماً، لأن صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء، ويجوز أن يكون صفة، ومعناه مبغض قوم، أو بغيض قوم، والتقدير على هذا: لا يحملنكم بغيض قوم: أي عداوة بغيض قوم (٣).

وقراءة الفتح: "سَنَنْ" على أنها مصدر "سَنَنْ"، أي بالغ في بغضه، والمصدر يكثر على وزن فعلان، فيكون مصدراً مضافاً إلى المفعول، أي لا يحملنكم بغضكم لقوم، ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل: أي بغض قوم إياكم (٤).

خامساً: الإعراب:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

يحتمل متعلق حرف الجر (على) وجهين: (٥)

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٤٧/١.

(٢) القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية، والدرة، فكرة علوي بن محمد بن بلقفيه.

(٣) انظر: الكشف، ٤٠٤/١، ومفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ص ٤٦.

(٤) انظر: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء العكبري، ص ٢١٣.

(٥) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢١٩/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٥/١، وروح المعاني للألوسي،

الأول: أن يتعلق بـ(نعمت).

الثاني: أن يتعلق بمحذوف وقع حالاً من (نعمت).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: يا أيها الذين آمنوا اذكروا ما أنعم الله تعالى عليكم بدفع بأس العدو عنكم، فالمراد تذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم.

المعنى الثاني: اذكروا نعمة كائنة عليكم من الله، ففي هذه المعنى تأكيد كون نعمة الله تعالى على المؤمنين لا على غيرهم، بدفع الشر والمكروه عن نبيهم، فإنه لو حصل له شر أو مكروه لكان ذلك من المحن الكبرى التي تصيب المسلمين.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾

يحتمل متعلق الظرف (إذ) وجهين: (١)

الأول: أنه متعلق بـ(نعمت).

الثاني: أنه متعلق بمحذوف وقع حالاً من (نعمت).

المعاني التفسيرية للإعراب: (٢)

المعنى الأول: اذكروا يا أيها المؤمنون - نعمة الله تعالى عليكم وقت قصدهم، أي يهود بني النضير، أن يمدوا إليكم أيديهم بالقتل للنبي ﷺ ومن معه.

المعنى الثاني: اذكروا - يا أيها المؤمنون - نعمة الله تعالى حالة كونها وقت همهم أن يبسطوا إليكم أيديهم، وهذا المعنى حمل معه التأكيد على تذكير نعمة الله تعالى، في هذا الوقت، بكف أيدي اليهود عنهم، ورد كيدهم في نحورهم.

سادساً: البلاغة:

١- التكرير في طلب المعدلة، والسر فيه التأكيد على العدل، والتشويق إليه، وخلاصة المعنى:

لا يحمنكم بغضكم للمشركين على ترك المعدلة، فتعتدوا عليهم، وهذا منتهى ما تصل إليه المثل العليا، والقيم الإنسانية السامية (٣).

٢- بسط اليد: عبارة مجازية مرسلة بعلاقة السببية، لأن اليد سبب الإيذاء، كما أن بسط اللسان عبارة مجازية، علاقتها السببية (٤).

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٤/٢١٩، ٢٢٠، والتبيان، العكبري، ١/٤٢٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٠/٩٥، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ١/٢٢٤.

(٣) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ٢/٤٢٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٢/٤٢٧.

سابعاً: التفسير الإجمالي:

نداء من الله ﷻ للمؤمنين الذين اتصفوا بالإيمان والخضوع لله تعالى، وكان ذلك الإيمان عنوانهم الذي يعرفون به، وشرفهم الذي يتشرفون به، اجعلوا أنفسكم وإحساسكم ومشاعركم، مطبوعة على أن تقوم لله، ولأجل محبته، سبحانه ورضاه، لا لهوى النفس، ومنازع الشهوات، وكونوا شاهدين بالحق، لا تطلبون سواه.

ولقد ذكر الإمام محمد شلتوت في تفسيره قائلاً: "وقد اشتمل هذا النداء على أمور ثلاثة:

أولها: أن يكونوا قوامين لله: وهذا يمثل القوة والإخلاص في الأقوال والأفعال والثبات في خدمته ﷻ.

ثانيها: الشهادة بالقسط: وهي الغاية من إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ثالثها: أكدت على النهي عن الظلم ولو للأعداء: وحذرت أن تحمل العداوة والبغض على الظلم، والتساهل في العدل^(١).

وهنا ملاحظات بيانية يجب اعتبارها، والإشارة إلى كمال الحكمة في عمومها:

الأولى: ﴿كُونُوا﴾ فهو أمر بالكينونة، بأن يجعلوا القيام لله تعالى والاعتبار به، والأخذ بهديه، جزءاً من كيانه، وأن يستمروا على الطاعة، ويديموا عليها، وأحب الأعمال لله تعالى، أدومها وإن قل، فالمدائمة على العمل والاستمرار فيه، يكون عادة للنفس، بمنزلة الطبيعة.

ثانيهما: قوله: ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ فإن قوام معناها: من المبالغة بالقيام بالشيء وإتقانه، والإتيان به على أكمل وجه، مع كونه تعالى، ولا شيء سواه^(٢).

والأمر عاماً شاملاً، لجميع ما أخذ الله تعالى علينا الميثاق ومن التكليف، حتى المباحات، ويأمرهم الله تعالى بأن يكونوا من أصحاب الهمم العالية وأهل الإخلاص لله في العمل وكل الأمور، سواء أمور دينكم أو دنياكم، وعمل الخير، والتزام الحق، من غير شائبة، اعتداء على أحد، أو إيقاع ضرر به، والشهادة بالعدل دون محاباة، بين مشهود ولا مشهود له، ولا لقرابته وولائه، لأن المحاباة والجور تزيل الثقة بين الناس، وتنتشر المفساد وتقطع روابطهم الاجتماعية، عن النعمان بن بشير أن أباه أتى النبي ﷺ فقال: **إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ: «أَكُلْ وَلَدِكَ نَحْلَتَ مِثْلَهُ»**، قَالَ:

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، للإمام محمد شلتوت، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ٢٠٥٨/٤.

لَا، قَالَ «فَارْجِعْهُ»^(١).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم، على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في معاملتهم مع كل أحد، صديقاً كان أو عدواً.

وعدلكم أقرب للتقوى من تركه، أي العدل في معاملة الأعداء، أقرب إلى اتقاء المعاصي، على الوجه العام، وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ من باب استعمال أفعل التفضيل، في المحل الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، أي ليس للمفاضلة بين شيئين، فهو ليس على بابه، كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤].

واتقوا الله، أي اتخذوا وقاية من عذابه، في جميع أعمالكم، فإن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجزىكم على ما علم من أفعالكم، التي عملتموها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر^(٢).

ثم أوضح جل وعلا، جزاء كل من الفريقين: الفريق الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتزموا عهود الله ﷻ، وبذلوا جهودهم في صالح الأعمال، فالمغفرة لذنوبهم، تكفيراً لهم، ووعدهم الأجر العظيم على ما قدموا من خير، وهو الجنة، ومضاعفة الثواب على الإيمان، فضلاً من الله ورحمة. والفريق المقابل الآخر، وهم الذي كفروا بالله ورسله، سواء كفروا بالجميع أو البعض، وكذبوا بآيات الله تعالى الكونية، التي أقامها الله تعالى، في الأنفس والأكوان، للدلالة على وحدانيته، وكمال قدرته، وآياته المنزلة على رسله، فيما يبلغون عنه، وجزاؤهم أنهم أصحاب النار العظيمة الملازمون لها، لفساد أنفسهم وسوء أعمالهم، وهذا من عدل الله تعالى، وحكمته، وحكمه الذي لا جور فيه.

ثم يذكر الله تعالى، المؤمنين بنعمة الله عليهم، بدفع الشر والمكروه عن نبيهم، ورد كيد الأعداء عنهم، على كثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين وقتلهم، بعد أن هموا وعزموا على البطش بكم، ولكن الله تعالى، أيد رسوله ﷺ، ونصر دينه، وأتم نوره، ولو كره الكافرون^(٣).

إن ترسيخ بناء المجتمع الإسلامي من الداخل، بإقامة العدل، وأداء الشهادة لله تعالى، والتحرر من الضغوط التي تتحرف بالإنسان عن العدل، وتماسك أبناء المجتمع وتعاونهم على البر والتقوى، هو الذي يشكل الجبهة الداخلية القوية للأمة، ويعطيها القوة والمنعة، في الجبهة الخارجية،

(١) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، ٢٥/٥، ح (٢٥٨٦)، ١٥٧/٣، وصحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ح (١٦٢٣)، ١٢٤٢/٣.

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٢٠٥٩/٤.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ٣٠٢/٢، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١١٨/٦، ١١٩ بتصرف.

لمواجهة أعدائها، وتأييد الله تعالى، بنصرتها على أعدائها، وكف أيديهم عنها، وحرمانهم من تحقيق أهدافهم في بلاد المسلمين^(١).

أنقذ الله تعالى البشرية جمعاء من نقمة كادت أن تقع، فصرفها الله تعالى بحكمته وقدرته، والمسلمون لا يعرفونها، حتى عرفهم الله ﷺ بها، حيث هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم، بالضرب والتتكيل والقتل، فصرف الله تعالى عنكم، هذا وكف أيدي الظالمين، بعد أن هموا بإحداث ما انطوا عليه، وهموا به، فصرفه عنكم نعمة من نعمه جل وعلا، ذكرهم بها، وهم غافلون عنها، ثم يأمرهم بالتقوى التي تجلب الخير، وتصرف عنهم السوء، ويأمرهم بالتوكل على الله تعالى، فالتوكل حسبه الله تعالى كافياً، حسبه الله صارفاً، عنه السوء وحسبه منجياً له من هول وشدة.

والحديث عن هذه النعمة كثير، فقد تعنى نجاة جميع المسلمين، أو أفراداً منهم أو الرسول ﷺ نفسه، فإن تعرضه للأذى، تعرض للأمة كلها، ونجاته، نجاة للأمة كلها، وهنا يروي:

١- أن الرسول ﷺ كان نائماً، وهم قادمون من غزوة، وسيفه معلق على الشجرة، فجاء أعرابي تسلل إليه، وأخذ سيف رسول الله ﷺ وسل السيف، وأيقظ النبي ﷺ وقال: من ينجيك مني؟ قال ﷺ، الله، فسقط السيف من يده، وسقط الأعرابي على الأرض، ونادى النبي ﷺ الصحابة، وأراهم ما حدث^(٢).

٢- نجا الله تعالى النبي ﷺ، من سحر لبيد بن الأعصم، والذي قصد إهلاك رسول الله ﷺ^(٣).

٣- نجا الله تعالى النبي ﷺ من محاولة قتل بني النضير له^(٤).

٤- من قبل نجا من تأمر قريش على قتله^(٥).

كلها نعم من الله تعالى على المؤمنين ونجاهم، فلا بد من ذكر وشكر الله تعالى، على ذلك.

قتل القادة واغتيالهم مكر يهودي قديم:

إن ما يفعله اليهود اليوم على أرض فلسطين من اغتيال قادة المقاومة يذكرنا بسلاح الإيمان والتقوى، والتوكل والصبر، والمصابرة، في مواجهتهم، مع حسن إعداد الجبهة الداخلية،

(١) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما بينتها سورة المائدة، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٦٥ بتصرف.

(٢) مسند أحمد، ٤٥٠/٢٩، ح (١٤٤٠١).

(٣) انظر: صحيح البخاري، باب السحر، ح(٥٧٦٦)، ١٣٧/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري، ١١٠/10.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٦٢/٣.

وتنظيم الجهاد بالإيمان، والعدل، وحسن التربية.

فالآية تذكر المؤمنين بسلاح أعداء الإسلام القديم الجديد، في اغتيال قيادات الدعوة، الفكرية والجهادية، وكيف حمى الله تعالى نبيه ﷺ وأصحابه ﷺ، في بداية عهد الدعوة، وهي نعمة ومنة يحمد الله تعالى عليها المؤمنون إلى يوم القيامة، لأن حفظ الله ﷻ، لأولئك السلف الصالحين، هو عين حفظه لهذا الدين القويم، فالنبي ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأصحابه هم الذين تلقوها بالقبول، وأدوها لمن بعدهم بالقول والعمل، وهذا ما وعد الله به رسوله ﷺ، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن فوائد هذا التذكير للمتأخرين، ترغيبهم في التأسى بسلفهم في القيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والإحسان، واحتمال الجهد، والصبر على المشاق في هذه السبيل، وهي سبيل الله تعالى، وهذا هو المعنى العام للجهاد في سبيل الله جل وعلا.

ثم ذيل الآية بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بقدرته وعنايته وفضله، ورحمته، لا على أنفسهم، ولا على أوليائهم، وحلفائهم، لأن الحليف قد يغدر كما غدرت بنو النضير، ولأن النفس قد تضعف أمام كبر المواجهات والتحديات.

فالمؤمنون ماضون في جهادهم، ومقاومتهم، يتسلحون بالتقوى، ويتحصنون بالتوكل على الله تعالى، الذي وعدهم، إن أعدوا وصبروا، وصدقوا وتوكلوا بالنصر والتمكين^(١).

ما ترشد إليه الآيات:

- ١- وجوب القيام لله تعالى بإخلاص بكل التكليف التي كلفنا بها.
- ٢- نفاذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفاذ شهادته عليه؛ لأنه تعالى أمر بقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ بِالْعَدْلِ وَإِنْ أَبْغَضَهُ، ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له، لما كان لأمره بالعدل فيه وجه.
- ٣- إن كفر الكافر لا يمنع من العدل في معاملته، وفي الآية الآمرة بالعدل والتقوى دلالة أيضاً على أن يقتصر في المحاربة على المستحق للقتال، وأن المثلة بالأعداء غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وأدونا بذلك، فليس لنا أن نقللهم بمثلة قصداً لإيقاع الغم والحزن بهم.

(١) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، كما بينتها سورة المائدة، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٦٧ بتصرف.

- ٤- وجوب أداء الشهادات على وجهها من غير محاباة ولا ظلم، فهذه الآية وآية النساء (١٣٥) تعالج داءً خطيراً من أكبر الكبائر وهو كتمان الشهادة وشهادة الزور.
- ٥- وجوب العدل في معاملة الناس قاطبة، سواء كانوا أعداء أو أصدقاء؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]^(١).
- ٦- عرفان الجميل ووجوب تذكر نعمة الله على المؤمنين في رد كيد الأعداء عنهم وعن نبيهم ﷺ.
- ٧- وجوب تقوى الله بنحو عام في كل أحوال الإنسان، ووجوب التوكل على الله بعد اتخاذ الأسباب، لإحراز السعادة الدنيوية والأخروية.
- ٨- جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات والأفعال الخيرة لأنفسهم وإخوانهم: هو المغفرة لذنوبهم والظفر بالخلود في الجنات، وجزاء الكافرين بالله ورسله المكذبين بآيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته: هو ملازمة نار الجحيم، وهي بنس المأوى وبنس المصير، وكل من الجزاءين مؤكد الحصول، لافتتاحه بوعده الله، ووعده الله أقوى؛ لأن الإله قادر على جميع المقدورات، عالم بجميع المعلومات، غني عن كل الحاجات.
- ٩- الآية ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ نص قاطع في أن الخلود ليس إلا للكفار؛ لأن هذا القول يفيد الحصر، والمصاحبة تقتضي الملازمة، كما يقال: أصحاب الصحراء، أي الملازمون لها^(٢).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٠/٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٢١/٦.

المبحث الرابع

مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١٢-٢٦)

ويشتمل على ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: عهد الله وميثاقه مع أهل الكتاب.

المقطع الثاني: معتقدات اليهود والنصارى، والرد عليهم.

المقطع الثالث: تذكير موسى عليه السلام قومه بنعمة الله ومطالبتهم

بدخول الأرض المقدسة.

المقطع الأول

عهد الله وميثاقه مع أهل الكتاب

وينقسم إلى عهدين:

أولاً: عهد الله وميثاقه مع اليهود:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَفُسِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٢-١٣].

أولاً: المناسبة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

هناك تناسباً بين هذه الآية، والآيات التي سبقتها، ناسب ذكر ميثاق بني إسرائيل عقب ذكر ميثاق المسلمين، من قوله تعالى: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ [المائدة: ٧]، تحذيراً من أن يكون ميثاقاً، كميثاقهم، ومحل الموعظة هو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢]، وهكذا شأن القرآن في النفن، ومجيء الإرشاد في قالب القصصي، والتنقل من أسلوب إلى أسلوب^(١).

قال الرازي رحمه الله: اعلم أن في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوهاً:

الأول: أنه تعالى خاطب المؤمنين فيما تقدم فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ثم ذكر الآن أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه، وتركوا الوفاء به، فلا تكونوا أيها المؤمنون، مثل أولئك اليهود في هذا الخلق الذميمة، لئلا تصيروا مثلهم، فيما نزل بهم من اللعنة والذلة والمسكنة.

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣٩/٦.

والثاني: أنه لما ذكر قوله تعالى: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [المائدة: ١١] ، وقد ذكرنا في بعض الروايات، أن هذه الآية نزلت في اليهود، وأنهم أرادوا إيقاع الشر برسول الله ﷺ، فلما ذكر الله تعالى ذلك، أتبعه بذكر فضائحهم وبيان أنهم كانوا مواظبين على نقض العهود والمواثيق.

الثالث: أن الغرض من الآيات المتقدمة، ترغيب المكلفين في قبول التكليف، وترك التمرد والعصيان، فذكر تعالى أنه كلف من كان قبل المسلمين، كما كلفهم ليعلموا أن عادة الله في التكليف والإلزام، غير مخصوصة بهم، بل هي عادة جارية له مع جميع عباده (١).

قال النيسابوري (٢) رحمه الله: "إنه ﷺ لما خاطب المؤمنين بذكر نعمته وميثاقه أردفه، ذكر ميثاق بني إسرائيل ونقضهم إياه، ثم لعنهم بسبب ذلك، تحذيراً لهذه الأمة من مثل ما فعلوا، وفعل بهم" (٣).

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] .

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: "بعد أن ذكر من أحوال فريق أهل الكتاب، وأبنائهم، ما لا يعرفه غير علمائهم، وما لا يستطيعون إنكاره، أقبل عليهم بالخطاب بالموعظة، إذ قد تهيأ من ظهور صدق الرسول ﷺ ما يسهل إقامة الحجة عليهم، لذلك ابتدئ بوصف الرسول بأنه يبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون، من الكتاب، ثم أعقبه بأنه يعفو عن كثير" (٤).

قال أبو السعود (٥) رحمه الله: "التفات إلى خطاب الفريقين، على أن الكتاب جنس شامل للثورة والإنجيل إثر بيان أحوالهما، من الخيانة وغيرها من فنون القبائح، ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ والقرآن" (٦).

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي، ٣٢٢/١١.

(٢) النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت: ٧٢٨هـ)، ويقال له الأعرج، مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من بلدة "قم" ألف تفسيره "غرائب القرآن" سنة ٨٢٨هـ، الأعلام للزركلي، ٢١٦/٢.

(٣) تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، للنيسابوري، ٥٦٧/٢.

(٤) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٠/٦.

(٥) أبو السعود: هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ولد سنة ٩٨٢هـ بقرية قريبة من قسطنطينية، ولي القضاء بقسطنطينية، ثم مكانة الفتيا، وقام بأعبائها، (ت: ٩٨٢هـ)، ودفن بجوار أبو أيوب الأنصاري ﷺ.

انظر: شذرات الذهب، ٣٩٨/٨-٤٠٠، كشف الظنون، ١١٢/١.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٧/٣.

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " مَنْ كَفَرَ بِالرَّجْمِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٥] فَكَانَ مِمَّا أَخْفَا الرَّجْمُ (١) .

ثانياً: التحليل اللغوي:

* **بعثنا:** بعث، يبعثه، بعثاً من باب الفتح، أي أرسله وبعثه من نومه وأيقظته، ومنه قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣] ، بمعنى أرسلنا، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة: ١٢] ، بمعنى أرسلنا (٢) .

* **نقيباً:** النقيب في القوم، من ينقب عن أحوالهم، ويبحث عن شئونهم، وهو فعيل بمعنى فاعل مشتق من التنقيب وهو التفتيش، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَنَّبُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ [ق: ٣٦] ، وسمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسرارهم، وقيل هو بمعنى مفعول، كأن القوم اختاروه على علم منهم، وقيل هو للمبالغة، كعليم وخبير، والنقيب: هو العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم وجمعه نقباء (٣) .

* **عزرتموهم:** نصرتموهم، ومنه التعزير والتوقير والتعظيم، وهو أيضاً التأديب، ومنه التعزير الذي هو الضرب دون الجد، وعزير: اسم ينصرف لخفته، وإن كان أعجماً كنوح ولوط، لأنه تصغير، عَزَّرٌ (٤) .

* **قاسية:** من الفعل قسا، يقسو، قسوة، غلظ واشتد، يقال: قسا قلبه، اشتد في معاملة الناس، فعاملهم بعنف وغلظة، فهو قاس، وهي قاسية، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣] ، أي: صلبة لا تعي خيراً، ولا تعقله، ولا تلين له، ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤] (٥) .

* **يحرّفون:** حرّف الكلام تحريفاً، بدّله، أو صرفه عن معناه.

(١) أخرجه الحاكم في مستدرّكه، باب كتاب الحدود، ح (٨٠٦٠)، ٤/٤٠٠، قال الحاكم صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، قوله تعالى، يا أهل الكتاب، ح (١١٠٧٤)، ١٠/٧٩ .

(٢) انظر: مخطوطة الجمل، ١/١٩٤ .

(٣) انظر: مختار الصحاح، زين الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي، ١/٣١٧ .

(٤) انظر: المرجع السابق، ١/٢٠٧ .

(٥) انظر: مخطوطة الجمل، ٣/٣٥٤ .

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦] ، أي يصرفونه عن معناه، ومثلها ما في المائدة ﴿ ... يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ... ﴾ [المائدة: ٤١] ، حرف الشيء: مال وعدل، فهو منحرف ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ... ﴾ [الأنفال: ١٦] (١).

رابعاً: القراءات:

قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣] .

* قوله تعالى: ﴿ قَاسِيَةً ﴾ قرأها حمزة، والكسائي، بتشديد الياء من غير ألف، "قسيّة"، وقرأ الباقون: بالألف وتخفيفاً الياء، "قاسية" (٢).

قاسية: الحجة لمن خفف، أنه قال: أصله (قاسوة)، لأنه من القسوة، فانقلبت ياء لكسرة السين.
وقسيّة: والحجة لمن شدد: أنه قال أصلها (قسوية)، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن، قلبوا الواو ياء، وأدغموها، فالتشديد لذلك.

وقال بعض اللغويين: معنى قاسية: شديدة، ومعنى قسيّة: رديئة، من قولهم درهم قسيّ، أي بهرج، وقيل معناها: لا يرق بالرحمة (٣).

خامساً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢] .

يحتمل متعلق (منهم) وجهين (٤):

الأول: أن يتعلق بـ (بعثنا).

الثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه حال، من (اثني عشر).

(١) انظر: مخطوطة الجمل، ٣٨٦/١.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ٢٥٤/٢.

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ١٢٩/١.

(٤) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٠/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٦/١.

المعاني التفسيرية للإعراب (١):

المعنى الأول: أي أن الله ﷻ، قد أخذ العهد المؤكد على بني إسرائيل، أن يخلصوا له العبادة وحده، وأمر الله تعالى موسى ﷺ، أن يجعل من بني إسرائيل، اثني عشر نقيباً، بعدد أسباطهم وقبائلهم، كل قبيلة عليها نقيب، ليكون ناظراً عليهم، حاثاً لهم على القيام بما أمروا به.

المعنى الثاني: أي وبعثنا على بني إسرائيل، اثني عشر نقيباً كائنين منهم، وفي هذا المعنى تأكيداً على أن النقباء، كانوا من بني إسرائيل، وليسوا من غيرهم.

* قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾ [المائدة: ١٣].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾.

تحتمل جملة ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ ثلاثة أوجه من الإعراب (٢):

الأول: أنها مستأنفة.

الثاني: أنها حال من المفعول في (لعناهم).

الثالث: أنها حال من المضاف إليه في (قلوبهم) (٣).

المعاني التفسيرية للإعراب (٤):

المعنى الأول: بعدما ذكر ﷻ ما حل بهم بسبب نقضهم ميثاق ربهم من الطرد من رحمة الله تعالى، وجعل قلوبهم غليظة، لا تلتين للإيمان، أخبر ﷻ، أنهم يحرفون كلام ربهم الذي أنزله على موسى ﷻ وهو التوراة.

وهذا الاستئناف جاء لبيان مرتبة قساوة قلوبهم، فإنه لا مرتبة أعظم من الاجترار على

تغيير كلام الله ﷻ والافتراء عليه، وصيغة المضارعة للتجدد والاستمرار.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٢) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٣/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٧/١، وروح المعاني، الألويسي، ٢٦١/٣.

(٣) هذا الوجه ضعيف في الصناعة النحوية، لأن مجيء الحال من المضاف إليه المجرور بالإضافة لا يجوز إلا في ثلاثة مواضع، وهذا الموضع ليس منها، انظر: همع الهوامع، للسيوطي، ٢٣٣/٢-٢٣٥، ودراسات لأسلوب القرآن، عزيمة، ٩١/٣.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٢٥/١٠، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٦/٣، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤٣/٦.

المعنى الثاني: فبسبب نقض هؤلاء اليهود لعهودهم المؤكدة لعناهم، حال اتصافهم بتحريف كلام الله تعالى.

المعنى الثالث: عاقب الله تعالى اليهود بالطرد من رحمته، ويجعل قلوبهم متحجرة، لا تلين حالة كون أصحاب هذه القلوب يتجرؤون ويبدلون كلام الله تعالى حسب أهوائهم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾.

تحتل كلمة (خائنة) وجهين من الإعراب (١):

الأول: أنها اسم فاعل، صفة لموصوف محذوف.

الثاني: أنها مصدر مجرور.

المعاني التفسيرية للإعراب (٢):

المعنى الأول: ولا تزال أيها الرسول تطَّلَع من اليهود على فرقة، أو طائفة خائنة منهم.

المعنى الثاني: ولا تزال أيها الرسول تطَّلَع من اليهود، على خيانة بعد خيانة، فهي عادة مستمرة لهم، ولأسلافهم، بحيث لا يكادون يتركونها، أو يكتمنونها.

وهنا تظهر بلاغة القرآن الكريم، وفصاحته، في هذه الكلمة، فقد استوعبت كل مصادر الخيانة، سواء كانوا جماعة منهم، أو كانوا جميعاً رجالاً ونساءً.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

اختلف في إعراب موضعين من هذه الآية:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا﴾.

تحتل (من) أربعة أوجه (٣):

الأول: أن (من) متعلقة بقوله (أخذنا)، والضمير في (ميثاقهم) عائد على النصارى.

الثاني: أن (من) متعلقة بخبر محذوف لمبتدأ محذوف.

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٤/٤، والبيان، ابن الأنباري، وكشف المشكلات، الباقولي، ٣٤٣/٢.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٢٦/١٠، وروح المعاني، الألوسي، ١٦/٣.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٥٥-٢٢٧، وروح المعاني، الألوسي، ٢٥/٣.

الثالث: أن (من) متعلقة بـ (أخذنا)، والضمير في (ميثاقهم)، عائد على بني إسرائيل.

الرابع: أن (من الذين) معطوف على (منهم)، من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ ، أي: من اليهود.

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: أي: وأخذنا من الذين ادعوا أنهم أتباع المسيح ﷺ وليسوا كذلك، العهد المؤكد بأن يتابعوا رسولهم، وينصروه، ويؤازروه، وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به (١).

المعنى الثاني: ومن الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا ميثاقهم.

وهذا المعنى مشعرٌ بأنه ليس كل الذين قالوا: إنا نصارى أخذ عليهم العهد، وهذا فيه بُعد.

المعنى الثالث: وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى، ميثاقاً مثل ميثاق بني إسرائيل (٢).

وهذا القول أيضاً فيه بعد، حيث إن السياق لا يسانده.

المعنى الرابع: ولا تزال تطلع على خائنة من اليهود ومن الذين قالوا إنا نصارى، وعلى هذا القول يكون قوله تعالى: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ مستأنفاً.

وهذا فيه بُعدٌ أيضاً، لطول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، ولأن ما جاء عن جُلِّ المفسرين في المقصود، من قوله تعالى: ﴿خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من اليهود، ولم يذكر عن أحد أن النصارى منهم، ويؤيد هذا المعنى، أن اليهود هم الذين يتصفون بالخيانة والغدر، كما أخبر عنهم القرآن الكريم، وليس النصارى، والله أعلم.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾.

تحتمل (بين) وجهين من الإعراب (٣):

الأول: أنه ظرف لـ (أغرينا).

الثاني: أنه متعلق بمحذوف وقع حالاً من (العداوة).

(١) انظر: تفسير القرآن، ابن كثير، ٦٧/٣، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود، ١٥/٣.

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٦١٦/١، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢٠٢/٤، وروح المعاني، الألوسي، ٢٥/٣.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٧/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٨/١.

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: فألقينا فيما بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

المعنى الثاني: فألقينا العداوة والبغضاء، كائنة بينهم إلى يوم القيامة، وفي هذا المعنى تأكيداً لوقوع العداوة والبغضاء بينهم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

الموضع الأول: هو قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾.

يحتمل متعلق الجار والمجرور (من الله) وجهين^(١):

الأول: أن يتعلق بـ (جاء).

الثاني: أن يتعلق بمحذوف، وقع حالاً من (نور).

المعاني التفسيرية للإعراب^(٢):

المعنى الأول: قد جاء من الله لكم يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى نور وهو محمد ﷺ وكتاب مبين وهو القرآن الكريم.

المعنى الثاني: قد جاءكم نور كائن من الله تعالى، الذي أنار لكم به معالم الحق، وفي هذا المعنى تأكيد على أن النبي ﷺ الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام، وهو مرسل من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ ﴾.

تحتمل كلمة (يهدي) ثلاثة أوجه إعرابية^(٣):

الأول: أنها في محل رفع صفة ثانية لـ (كتاب).

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٨/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٨/١، وروح المعاني، الألوسي، ٢٦٩/٣.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٤٣/١٠.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٨/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٨/١، والمشكل، مكي بن أبي طالب، ٢٢٢/١.

الثاني: أنها حال من (كتاب).

الثالث: أنها حال من (رسولنا).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: قد جاءكم من الله تعالى النور، والكتاب المبين، الهادي به الله تعالى، من اتبع رضوانه سبل السلام، وهذا المعنى تأكيد على صفة القرآن الكريم، بأنه يهدي به الله من اجتهد، وحرص على ابتغاء مرضاة الله تعالى^(١).

المعنى الثاني: قد جاءكم من الله نور وكتاب، حال كونه يهدي به الله تعالى، من اتبع رضوانه سبل السلام.

المعنى الثالث: قد جاءكم رسولنا حال كونه، يهدي به الله تعالى، من اتبع رضوانه سبل السلام، وفي هذا المعنى بيان بأن مجيء الرسول ﷺ قد اشتمل على مجيء الهدى^(٢)، ولا يحصل الإنسان على هذا الهدى إلا بطاعة النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿... وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا...﴾ [النور: ٥٤].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ .

تحتل كلمة (سُبُل) وجهين من الإعراب^(٣):

الأول: مفعول به ثان لـ (يهدي).

الثاني: بدل من (رضوانه).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: يهدي الله تعالى بهذا الكتاب المبين، من اتبع رضا الله ﷻ طرق النجاة، والأمن والسلامة.

المعنى الثاني: يهدي به الله تعالى من اتبع سُبُلَ السلام، فهنا جعلت الهداية منوطة باتباع طرق النجاة والسلامة، ومناهج الاستقامة.

قال السمين الحلبي: "ويجوز أن ينتصب على أنه بدل من (رضوانه): إما بدل كل من كل، لأن (سبل السلام) هي رضوان الباري تعالى، وإما بدل اشتمال، لأن الرضوان مشتمل على (سبل السلام) أو لأنها مشتملة على رضوان الله تعالى، وإما بدل بعض من كل، لأن (سبل السلام)

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٦/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥١/٦.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٢٩/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٨/١.

بعض الرضوان" (١).

سادساً: البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ .

استعارة تصريحية، فقد شبه الإنفاق في سبيل الله لوجهه، بالقرض على سبيل المجاز، لأنه بإعطاء المستحق ماله لوجه الله تعالى، فكأنه أقرضه إياه (٢).

في قوله تعالى: ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ استعارتان تصريحتان، أصليتان، يقصد بالأول الضلال، وبالثنائية الهدى والإيمان، والعلاقة المشابهة، وقد لفظ المشبه، واستعير بدله لفظ المشبه به، ليقوم مقامه، بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه، وهذا أبعد مدى في البلاغة، وأدخل في بابها، ولما كان المشبه به مصرحاً به، وفي هذا المجاز سميت الاستعارة التصريحية، وسميت أصلية، لأنها جارية في الاسم (٣).

سادساً: التفسير الإجمالي:

إن من يتتبع آيات القرآن التي تحدثت عن بني إسرائيل، يجد أن الكثير منها تحدثت عن العهود والمواثيق التي أخذها الله تعالى عليهم، ولعل السر في ذلك ما هو معروف عن اليهود من نقضهم للمواثيق ونكثهم للعهود حتى أصبح ذلك صفة ملازمة لهم لا تتفك عنهم، كما يجد أن العهود والمواثيق التي أخذت عليهم جاءت أحياناً مجملة كما في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] ، وأحياناً تشير إلى نوع الميثاق بإيجاز كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] ، وأحياناً تفصل الميثاق وتوضح بنوده (٤)، كما في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢] ، وهذه الآية التي سنتناولها الباحثة - إن شاء الله - في هذا المطلب بشيء من التفصيل؛ موضحة بنود هذا الميثاق وموقف اليهود من هذا الميثاق والعقوبات التي استحقوها جزاء

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٣١/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٩/١.

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٤٢٩.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ص ٤٣٥.

(٤) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ص ٥٥-٥٧، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

موقفهم من هذا العهد وذلك على النحو التالي:

أولاً: بنود العهد بين الله تعالى وبين اليهود:

يخبر الله تعالى في آية سورة المائدة السابقة عن العهد المؤكد الذي أخذه على بني إسرائيل بطاعته وعبادته وعدم الشرك به، وبالعامل بما جاء في توراة موسى عليه السلام، من أجل ذلك اختار الله تعالى من كل سبط من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر رجلاً يكون رئيساً عليهم يقوم على أمورهم ويفتش عن أحوالهم، ويحثهم على القيام بما كلفوا به وعاهدوا الله عليه (١)، وهو: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والإيمان برسله وطاعتهم ونصرتهم، والإنفاق في سبيل الله تعالى (٢).

ويقول الطبري في معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾: "إني ناصرکم على عدوكم وعدوي الذين أمرتكم بقتالهم، إن قاتلتموهم ووفيتم بعهدي وميثاقي الذي أخذته عليكم" (٣).

وهذا الجزء من الآية الكريمة يعد قوياً في الترغيب والترهيب معاً، فأما عن الترغيب ففيها وعد وأمل بالنصر والتمكين إذا أطاعوا الله وأقاموا شريعته بينهم، ووفوا بعهوده معهم، وأما الترهيب فهي تعني أن الله سبحانه معهم يسمع ويرى كل أمر منهم، ويعلم ما تخفيه صدورهم ويقدر على أن يعاقبهم إذا عصوه ولم يمتثلوا أمره (٤).

ثم يبين الله تعالى بنود الميثاق المؤكد الذي أخذه على بني إسرائيل، في جملة شرطية أكدت بالقسم (٥)، وهذه البنود هي:

أولاً: إقامة الصلاة: بالاستمرار عليها والإتيان بما يلزم ذلك من الخشوع والتدبر، والأداء على أكمل وجه (٦).

(١) انظر: تفسير البيضاوي، ١١٩/٢، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١١٠/١٠، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن، ٢٢/٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٤/٣.

(٣) جامع البيان، الطبري، ١١٨/١٠.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٤/١١، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي، ص ٤٠٣.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٤/١١، والبحر المحيط، أبو حيان، ٢٠٣/٤.

(٦) انظر: تفسير الشعراوي، ٢٩٩٨/٥، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١٢٥/٦، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد طنطاوي، ص ٤٠٤.

ثانياً: إيتاء الزكاة: بإخراجها من مالكم وإيصالها لمن يستحقها، لأنها مفروضة عليكم لتطهر نفوسكم من حب المال والتشبث به (١).

ثالثاً: الإيمان بالرسول: بالتصديق بهم وبكل ما جاءوا به عن الله تعالى، وذلك يعني التصديق بكل الرسل الذين بعثوا من بعد موسى ﷺ مثل داود وزكريا ومحمد عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم (٢).

ويذكر الإمام الرازي سبباً - تراه الباحثة - وجيهاً لتأخر الإيمان بالرسول عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنه مقدم عليها فيقول: "أن اليهود كانوا مقرين بأنه لا بد في حصول النجاة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة إلا أنهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنه لا بد من الإيمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود، وإلا لم يكن لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الإيمان بجميع الرسل" (٣).

رابعاً: تعزيز الرسل: والتعزيز هنا بمعنى النصرة والطاعة والتقدير والموازرة، والمنع من شر كل من يعاديهم والتقوية والدعم لهؤلاء الرسل، سواء باليد أو باللسان (٤).

خامساً: إقراض الله القرض الحسن: بالإففاق في سبيله وابتغاء مرضاته، والمقصود بالإففاق هنا الصدقات المندوبة الصادرة عن طيب نفس وإخلاص نية لله ﷻ (٥).

هذه بنود الميثاق الذي أخذه الله ﷻ على بني إسرائيل، وتكفل لهم إن هم حققوا هذه البنود والتمروا بها أن يمن عليهم بما أخبر به في نهاية الآية الكريمة: ﴿لَأُكْفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ، وعلى هذا فإن من يلتزم بالميثاق وينفذ بنوده فسيستر الله ﷻ ذنوبه ولا يؤاخذ به، وسيكرمه بالنعيم

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٤٦٠/٣، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ١٢٥/٦، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٢٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٥/٣، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ١٢٥/٦، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٤/١١.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٢١/١٠، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٥/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٢١/١٠، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٤/١١، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢٠٣/٤، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٥/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

المقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار، ولكن من ينقض الميثاق منهم ولا يلتزم به أو يجده فقد انحرف عن الجادة وأخطأ السبيل القويم واستحق ما يستحقه كل ضال ألا وهو الحرمان من النعيم وحصول العذاب^(١)، فماذا فعل اليهود؟ وما هو موقفهم من العهد؟ هل وفوا بما عاهدوا الله عليه أم نكثوا ونقضوا؟ هذا ما سيتم بيانه في النقطة التالية.

ثانياً: موقف اليهود من العهد الذي أخذهُ اللهُ ﷻ عليهم:

إن صفة الغدر ونقض العهود من الصفات التي لازمت الشخصية اليهودية على مر العصور^(٢)، والمتتبع لطبيعة اليهود وتاريخهم القديم والمعاصر يجد أن هذه الصفة تكاد تسري في دمائهم، حتى أنها تشكل جزءاً من طبيعتهم^(٣)، والقرآن خير من يوضح حقيقة هذه الطبيعة ويكشف خفاياها، وليس أدل على ذلك من الآيات الكريمة المتعددة التي وسمت اليهود بهذه الرذيلة، حيث يتضح في هذه الآيات أن الله ﷻ أخذ عليهم المواثيق والعهود على لسان أنبيائه ورسله ولكنهم كانوا ينقضون تلك المواثيق ولا يوفون بها^(٤)، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦]، ويؤكد ذلك ما تكرر منهم من حالات الغدر ونقض العهود على مر الأزمان^(٥)، حيث يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، أي أنهم خالفوا هذا الميثاق، ونقضوا هذا العهد، وهذا النقض كان بتكذيب الرسل الذين أرسلوا بعد موسى ﷺ، وقتل أنبياء الله وأذيتهم سواء بالقول أو الفعل، ونبذ كتابه وتضييع أحكامه وفرائضه، وكتمانهم صفة محمد ﷺ الواردة بوضوح في كتابهم^(٦).

يقول صاحب المنار في بيان بعض صور نقضهم للعهد أنهم: "قتلوا الأنبياء بغير حق، وافترروا على مريم عليها السلام وبهتوها، وأهانوا ولدها الذي أرسله الله تعالى لهدايتهم، وإصلاح

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٥/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٢) انظر: دراسات في الأديان اليهودية، سعود عبد العزيز الخلف، ص ١١٥، واليهود في القرآن والسنة، محمد أديب الصالح، ٥٣/١، واليهود في القرآن، سيد سابق، ص ١١.

(٣) انظر: كشف القرآن لانحرافات أهل الكتاب وإبطالها، رسالة دكتوراه، موسى محمود سعيد، ص ٢٢٨.

(٤) انظر: يا مسلمون اليهود قادمون، محمد عبد العزيز منصور، ص ١٤٣-١٤٤، وكشف القرآن لانحرافات أهل الكتاب، موسى محمود، ص ٢٢٨.

(٥) انظر: مكاييد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٩٠.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٤/١١، ومعالم التنزيل، البغوي، ٣١/٣.

ما فسد من أمرهم، وحاولوا قتله، وافتخروا بذلك بمجرد الشبهة" (١).
وسورة المائدة كشفت حقيقة تحريف بني إسرائيل للتوراة، وهذا من أوضح الصور في
نقضهم للعهد بينهم وبين الله.

ثالثاً: العقوبات التي استحقوها جزاء نقضهم للعهد:

وبسبب نقضهم العهد عاقبهم الله تعالى بعدة عقوبات هي:

الأولى: اللعن: أي الطرد والإبعاد عن الهدى والحق والرحمة (٢).

الثانية: جعل قلوبهم قاسية: أي غليظة لا تقبل الموعدة ولا تتأثر بها، ولا يغيرها ترغيب ولا
ترهيب (٣).

الثالثة: تحريف الكلم عن مواضعه: أي فساد فهمهم، وسوء معاملتهم لآيات الله وتأويلها على غير
ما أراد الله تعالى واستبدالها بما يناسب أهواءهم وادعائهم أن ما كتبوه هو من عند الله (٤).

الرابعة: نسيان ما ذكروا به: وما ذكروا به هو التوراة المنزلة على موسى ﷺ، والنسيان هنا يشمل
أمرين: يشمل نسيان العلم وضياعه منهم وهذا ما حدث في التوراة (٥)، كما يشمل نسيان العمل به
أي ترك العمل به وعدم التوفيق للقيام بما فيه (٦).

الخامسة: الخيانة المتواصلة على مر الأزمان سواء لله تعالى أو لعباده المخلصين (٧).

يقول الإمام السعدي: "فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له
نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما
ذكر به، وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة" (٨).

ثم ينبه الله تعالى نبيه محمد ﷺ أنه سيتعرض للخيانة والغدر ونقض المواثيق من اليهود
في زمنه، فاليهود الذين يعاصرونه فيهم خيانة آبائهم السابقين، وفيهم غدرهم ونقضهم للمواثيق

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٣٣/٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٢٩/١٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

(٧) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٣٣/١٠، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

وعدم التزامهم بالعهود والاتفاقيات^(١)، إلا جماعة قليلة منهم وفيت بما عاهدت الله عليه، وهؤلاء منهم من آمن كعبد الله بن سلام وغيره، ومنهم من بقي على كفر^(٢)، وفي ختام الآية يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعف عنهم وألا يؤاخذهم بما فعلوه لأن ذلك من الإحسان الذي يحبه الله من عبده ويجزيه عليه الثواب العظيم^(٣).

ثانياً: عهد الله وميثاقه مع النصارى:

١ - العهد بين الله تعالى وبين النصارى:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٤-١٦].

يبين الله تعالى أن طائفة أخرى غير اليهود سلكت مسلكهم في الخيانة والغدر واتبعت سبيلهم في نقض العهود وترك العمل بالشريعة الإلهية^(٤)، وهم الذين قالوا عن أنفسهم وادعوا أنهم نصارى واتباع لعيسى ﷺ، وهم ليسوا بهذه الصفة، وكان القرآن يكذبهم فيما ادعوه وزعموه لأنفسهم بأنهم أنصاره وأنصار رسوله عيسى ﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، فهذا الاسم في حقيقته اسم مدح لكنهم ليسوا أهلاً له، لذلك قال: ومن الذين قالوا إنا نصارى ولم يقل: ومن النصارى^(٥).

وأخذ هذا الميثاق من الذين قالوا عن أنفسهم أنهم نصارى على: طاعة الله والتزام شرائعه وفرائضه، والإيمان بجميع الرسل والأنبياء واتباعهم وموازرتهم واتباع سننهم دون تفريق بينهم في

(١) انظر: حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، ٤٢٤/٧.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٥/١١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد طنطاوي، ص ٤٠٨.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٦/١١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٦/١.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٦/١١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

ذلك، وخاصة محمد ﷺ لأنه مذكور بصفته في الإنجيل (١).

٢- موقفهم من العهد:

أتبع الله تعالى الحديث عن اليهود بالحديث عن النصارى؛ لأنهم اتخذوا لأنفسهم نفس الموقف في الغدر ونقض المواثيق وعدم الالتزام بها، فهم خالفوا الميثاق ولم يطبقوا بنوده، بل كذبوا وبدلوا ولم يكفهم هذا وإنما نسبوه للخالق ﷻ ما لا يليق بعظمته وربوبيته تعالى.

يقول الإمام الطبري: "وأخذنا من النصارى فسلخوا في ميثاقي الذي أخذته عليهم منهاج الأمة الضالة من اليهود، فبدلوا كذلك دينهم، ونقضوه، وتركوا حظهم من ميثاقي الذي أخذته عليهم بالوفاء بعهدي، وضيّعوا أمري" (٢).

٣- العقوبات التي استحقوها جزاء نقضهم للعهد:

بسبب موقفهم الخبيث من العهد وخيانتهم وغدرهم عاقبهم الله تعالى بنسيان الإنجيل نسياناً علمياً بضياعه منهم، نسياناً عملياً بترك القيام بأوامره وأحكامه، كما عاقبهم بإغراء العداوة والبغضاء بينهم (٣)، ومعنى أغرينا: ألقينا وألصقنا وحرشنا وسلطنا (٤)، والمعنى: سلطنا بعضهم على بعض ييغضون بعضهم البعض ويعادونهم إلى قيام الساعة، هذا هو الأمر المشاهد (٥).

يقول الإمام الطبري: "لما ترك هؤلاء النصارى، الذين أخذت ميثاقهم بالوفاء بعهدي حظهم مما عهدت إليهم من أمري ونهبي، أغريت بينهم العداوة والبغضاء" (٦).

ويقول الإمام ابن كثير: "فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضاً، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فكل فرقة تحرم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها" (٧).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٣٥/١٠، وتفسير البيضاوي، ١١٨/٢، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٦/١.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٣٥/١٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٦/١.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٣٦/١٠، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٧/١١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٦/١.

(٦) جامع البيان، الطبري، ١٣٦/١٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

ثم قال تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ وهذا تهديد ووعيد لهم، فهو سيخبرهم بأفعالهم ويعاقبهم عليها (١).

مما سبق يتبين أن كلاً من اليهود والنصارى قد أخذ الله عليهم عهداً بطاعة أوامره واجتباب نواهيه واتباع ما جاء في كتبه والإيمان برسله وطاعتهم، ولكنهم خانوا هذه العهود وكما هي عادتهم ونقضوها بعدم تحقيقها واتباعها، فعاقبهم الله تعالى بعقوبات عدة منها الطرد من رحمته تعالى ونسيانهم لكتبهم السماوية بضياعها ونسيانهم ما فيها.

صفة القرآن الكريم والغاية من إنزاله في سورة المائدة:

وصف الله ﷻ القرآن بأوصاف كثيرة، منها: النور والبرهان، والهدى والشفاء، والبركة والبشرى، وفي سورة المائدة وصف القرآن الكريم بالنور والبيان والوضوح، حيث يقول تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

وفي هذه الآية يخبر الله ﷻ عن نفسه أنه أرسل محمد ﷺ للناس بدين الحق الذي لا نقص فيه، أرسله ليظهر ما حرقه أهل الكتاب في كتبهم، ويسكت عما لا فائدة من توضيحه، ثم يذكر صفة هذا الكتاب الذي كشف افتراءهم على الله ﷻ وهي النور والوضوح (٢)، إذ أن هذا الكتاب نور يسطع وسط ظلمات الجهل والضلال والكفر والشرك، يقول صاحب أضواء البيان: "وما دلت عليه هذه الآيات الكريمة من كون هذا القرآن نوراً يدل على أنه هو الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق، ويتميز عن الباطل ويميز به بين الهدى والضلال والحسن والقيح، فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنوره، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويمتثل أوامره ويجتنب ما نهى عنه ويعتبر بقصصه وأمثاله" (٣).

كذلك وصفت الآية القرآن الكريم أنه كتاب مبين أي واضح يبين كل ما يحتاج إليه المسلم من أمور دينه ودنياه، وقد بين الله فيه أخبار الأولين والآخرين، وخلق السموات والأرضين، وبين فيه الحلال والحرام، وقواعد الآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات، وسير الأنبياء والصالحين، ومصير المؤمنين والكافرين، ووصف الجنة والنار، أي فيه تبياناً لكل شيء كما قال تعالى: ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] (٤).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٧/١٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٥/١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣.

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي، ٣٧٠/١ بتصرف.

(٤) الإيمان حقيقته خوارمه ونواقضه، عبد الله الأثري، ص ١٣٦ بتصرف.

وتبين الآية التي تليها الغاية من نزول القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦].

فقد نزل القرآن الكريم ليكون هدى لمن يجتهد ويحرص على رضا الله ﷻ، فمن كان شأنه كذلك يهديه القرآن طرق السلام التي تنجي صاحبها من العذاب في النار، وتوصله إلى الأمان والنعيم المقيم في الجنة، كما يخرجهم القرآن الكريم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإيمان والتقوى والاستقامة، وكل ذلك بإذن الله ﷻ ومشيئته، يقول الإمام ابن كثير في غاية إنزال القرآن الكريم: "يهدى إلى طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة، ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة" (١)، وما أجمل ما وصف به القرآن الكريم بأنه "كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعْتَهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٢).

خصائص القرآن الكريم في سورة المائدة:

اختص القرآن الكريم بخصائص ميزته عن باقي الكتب السماوية، وجعلته مهيمناً عليها وجامعاً لكل علومها، ومن هذه الخصائص:

١- جاء القرآن الكريم شاملاً لكل التعاليم والشرائع الإلهية، وناسخاً لما جاء في الكتب السماوية الأخرى، بل ومهيمناً عليها، كما بين الزيف والتحريف الذي حدث فيها وكشفه (٣)، والقرآن آخر الكتب السماوية جمع كل فضائل الكتب الأخرى وزاد من الخصائص والسمات مما ميزه عليها وجعله أشرفها وأعظمها (٤)، كما يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٦/٣-٦٧.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ح (٢٩٠٦)، ١٧٥/٥، قال ابن كثير: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٣.

(٣) انظر: الإيمان، محمد نعيم ياسين، ص ٤٠.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٣.

الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿ [المائدة: ٤٨] .

أي: "وأُنزِلنا إليك القرآن الذي هو أفضل الكتب وأجلها، إنزالاً بالحق، ومشتماً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه، مصدقاً لما سبقه من الكتب لأنه شهد لها ووافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقاً لخبره، وهو الكتاب المشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، والزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية، فهو الكتاب الذي تتبع كل ما حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة" (١).

كما يقصد بلفظ "ومهيماً عليه": "مصدقاً للكتب قبله، وشهيداً عليها أنها حق من عند الله، أميناً عليها، حافظاً لها" (٢).

٢- أنزل هذا القرآن للناس كافة ولم ينزل خاصاً بقوم معينين أو فئة محددة، بل جعله الله ﷻ مصدر هداية ونور سبيل لجميع الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا بخلاف الكتب السماوية الأخرى فقد نزلت خاصة في زمن معين لقوم معينين، صحيح أن الأصول والعقائد واحدة ولكن الشرائع والأحكام متباينة، وذلك كما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ، حيث يقصد بالشرعة والمنهاج السبيل والسنة، وهذا إخبار عن الأمم المتباينة في الشرائع والأحكام، والمنقفة في العقائد، فأركان الإيمان واحدة في كل الرسالات السماوية، ولا يكون المؤمن مؤمناً إلا بالإيمان بالله وما يستلزم ذلك من الإيمان بالملائكة والرسول والكتب واليوم الآخر والقدر خيره وشره (٣).

الخلاصة:

نبه القرآن العظيم أمة الإسلام إلى عظمة أمر الله تعالى، بالوفاء بميثاقه، وما وعد الله تعالى به بني إسرائيل، من خيرات وبركات، إذا وفوا بهذا الميثاق.

وجهت الآيات الكريمة إلى التنظيم الشعبي الإيمانى للأمة، كما وجهت إلى الاعتصام بالله، وإقامة شرائعه وهذا ما يفيد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، وحين يشتد البلاء وتجتمع كلمة أعداء الإسلام، على حرب الإسلام وأهله، فلا سبيل للمقاومة إلا بالنصرة التي تقتضي التنظيم المقتدي بهداية القرآن، ومنهج الرسول ﷺ (٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٣٤/١.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٣٧٧/١٠.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٩/٢.

(٤) انظر: خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٦٩.

هناك فرق عظيم بين القلوب اليقظة المسارعة للقيام بالالتزام بشريعة الله تعالى، والجهاد لنصرة دينه والخيرة على شرعه وأحكامها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبين القلوب القاسية التي فسدت فطرتها، وتشربت حب الدنيا ولهوها، وحجبت عن نور الهداية وآثرت القعود على الجهاد، والجبن والسلامة على مواجهة الظالمين، وتحمل الشدائد، حتى فقدت الحس بالمصائب والجراح، كما فقدت القدرة على الحركة، لمواجهة أعظم الأخطار التي تهدد وجودها وهويتها، ودينها ومقدساتها (١).

والذي يتأمل في واقع المسلمين اليوم، واحتلال العدو لبلادهم في فلسطين والعراق، والشيشان وغيرها من بلاد الإسلام، ويرى هذا الجمود أو قسوة القلوب، التي لا تمتلك القدرة على الإنكار والحركة والتعاون من أجل الإصلاح والتغيير، يعلم عظمة مسئولية العلماء، والمؤسسات التربوية في إزالة هذه القسوة، وإحياء القلوب، وإعادة الأمة للمقاومة قبل أن تهلك، كما هلك بنو إسرائيل.

فالقلب القاسي، كالصخرة القاسية، لا ينتفع بماء، ولا تنبت غرساً، ولا ثمرأً، وكذلك القلب القاسي لا ينتفع بهداية الله تعالى، ولا تحركه مصائب الدنيا، ولا يتفاعل مع أهدافها وهمومها، بل همه أن يعيش لمتعته الشخصية، ومصالحه الذاتية، وقد نجح المستعمر منذ مطلع القرن الماضي ببرمجة الجامعات والمدارس والإعلام لإخراج جيل يعيش لنفسه وروحه، صقيل الوجه، مظلم الروح، ثقافته وأخلاقه غريبة، محجوب عن القرآن والسنة، فلا يحسن تلاوة القرآن وآدابه ولا فهمه، فكان من نتائج هذا الجيل، هزائمنا، واحتلال أوطاننا، وهيمنة القيم الغربية والقوانين الوضعية على المؤسسات والمجتمع (٢).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

فالأمة كالأرض، إذا أهملت، ولم تحرك، ولم يقم بخدمتها، قست وتعطلت وظيفتها، وكذلك الأمم إذا لم تتلق التوجيه الصحيح الصالح، ولم تقم مؤسساتها التربوية، والإعلامية، بواجبها بالتربية

(١) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٧٦ بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٧٧، ٧٨.

والتذكير، والإعداد قست القلوب وتغيرت، وتحولت، فكيف إذا كان التوجيه فاسداً، وسماذ الأرض سموم مستورد من الغرب أو الشرق، وحكامها ينفذون توجيهات الأعداء، وفي غفلة عن رسالتهم ووظيفتهم.

إن ذكر إحياء الأرض بعد موتها، بعد ذكر ما أصاب أهل الكتاب، من قبل من قسوة لقلوبهم وهو تذكير للعلماء والحكام، بواجبهم في إحياء الأمة، وتجديد أمر دينها، وإزالة الشوائب الضارة، في العقائد والأخلاق والقيم، والأحكام، والعودة إلى النبع الصافي، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(١).

ما ترشد إليه الآيات: (٢)

- ١- الإخبار عن نقض اليهود الموثيق، وأن جزاء النقض اللعنة، والطرء من رحمة الله تعالى.
- ٢- الإعلام بأن اليهود يحرفون كلام الله تعالى المنزل في التوراة، إما تحريف ألفاظ، وإما تحريف معان.
- ٣- إثارة العفو والصفح، على العقاب، والمحاربة، والقنل والإبذاء.
- ٤- اتخاذ النقباء دليل على قبول خير الواحد، فيما يقتصر إليه المرء، ويحتاج إلى معرفته من حاجاته الدينية والدنيوية.
- ٥- دل اتخاذ النقباء على جواز اتخاذ الجاسوس.
- ٦- إن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالله والرسل، والاتفاق في سبيل الله تعالى، سبب لتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، ودخول الجنة، فمن انحرف عن ذلك فقد أخطأ، طريق الحق والخير، وعدل عن الهدى إلى الضلال.
- ٧- الإخبار عن النصرى أيضاً، أنهم نقضوا العهد والميثاق، وأهملوا ما أمرهم به، كتابهم ودينهم من أوامر، وما نهاهم عنه من نواه، ولم يؤمنوا بالنبي ﷺ، الذي بشر به الإنجيل والتوراة من قبله، وقد هدهم الله ﷻ وأوعدهم بالجزاء السيء على ما صنعوا، والخلاصة: إن سبيل النصرى، مثل سبيل اليهود في نقض الموثيق من عند الله^(٣).
- ٨- النبي محمد ﷺ، نور كشف زيف أهل الأديان الأخرى، فهو يبين لأهل الكتاب (اليهود والنصرى) ما يخفونه من كتبهم، من الإيمان به، ومن آية الرجم، ومن قصة أصحاب السبت، الذين مسخوا قرده، فإنهم كانوا يخفونها، وهو يعفو عن كثير، أي: يتركه ولا يبينه، وإنما يبين ما فيه حجة على نبوته، ودلالة على صدقه، وشهادة برسالتة.

(١) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ٧٨، ٧٩ بتصرف.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٢٩/٦.

(٣) انظر: الرجوع السابق، ١٢٩/٦.

المقطع الثاني

معتقدات اليهود والنصارى، والرد عليهم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنزلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧-١٩].

أولاً: المناسبة:

بعد أن أقام الله سبحانه الحجة على أهل الكتاب عامة، بين ما كفر به النصارى خاصة، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] (١).

يقول ابن عاشور: وهذه الجملة استنفاية للبيان؛ لأن المقصود منها بيان ما في هذه المقالة من الكفر لا بيان ما عليه النصارى والضلال، لأن ضلالهم حاصل لا محالة (٢).

ثانياً: أسباب النزول:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، عن ابن عباس قال: "أتى رسول الله ﷺ، نعمان بن قصي، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي من اليهود، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى، فأنزل الله ﷻ فيهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] (٣).

٢- عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورجبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ ابن جبل، وسعد بن عباد: يا معشر يهود اتقوا الله، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة، ووهب بن يهودا: ما قلنا لكم هذا، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فأنزل الله:

(١) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ١٠٨٤/٢.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٥/٦ بتصرف.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ١٥٠/١٠.

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ... ﴾ [المائدة: ١٩] (١).

ثالثاً: التحليل اللغوي:

﴿ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾، أي على انقطاع، لأن النبي ﷺ، بُعِثَ على انقطاع الرسل، كانت إلى وقت رفع عيسى عليه السلام، تَتْرَى، أي متواترة، يجيء بعضها إثر بعض (٢).

رابعاً: الإعراب:

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩].

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ عَلَى فِتْرَةٍ ﴾.

يحتمل الجار والمجرور (على فترة) ثلاثة أوجه: (٣)

الأول: أنه متعلق بـ(جاءكم).

الثاني: أنه حال من فاعل (يُبَيِّنُ).

الثالث: أنه حال من الضمير المجرور في (لكم).

المعاني التفسيرية للإعراب: (٤)

المعنى الأول: أي: قد جاءكم رسولنا أيها اليهود والنصارى، على حين انقطاع الرسل، وانقطاع الوحي، ومزيد الاحتياج إلى البيان، لذلك كان من الواجب عليهم، أن يشكروا الله تعالى، الذي أرسله إليهم، في هذه المدة، وكان من الواجب عليهم أيضاً ما دام قد جاء رسول، أن يرهف الناس آذانهم، لما جاء به لسماع مهمته ورسالته.

المعنى الثاني: قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ، يبين الحق، حال كونه على فترة من الرسل، ففي هذا المعنى بيان للحال، الذي كانوا فيه حين مجيء الرسول ﷺ بالحق والهدى.

(١) انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، ص ١٣٦.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٣٦/٦، ١٣٧.

(٣) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٣١/٤، والتبيان، العكبري، ٤٢٩/١.

(٤) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٢٦٩/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٣٨/١، وتفسير الشعراوي،

خامساً: التفسير الإجمالي:

من المعلوم أن جميع الأنبياء عليهم السلام بعثوا برسالة التوحيد أي دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ومن هؤلاء الأنبياء عيسى عليه السلام الذي بعث إلى قومه ليدعوهم إلى عقيدة التوحيد؛ وعلى هذا فإن من المنفق عليه أن المسيحية الأولى كانت على التوحيد الخالص بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٢٩-٣٢]، يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "وهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إلهاً كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة، ويعلن أن الله جعله نبياً، لا ولداً ولا شريكاً، وبارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته" (١).

ولكن رغم ذلك ابتدع الذين يدعون أنهم نصارى لأنفسهم معتقدات ما أنزل الله بها من سلطان، بل نقضها وأبطلها، وناقشها في كتابه الكريم مناقشة هادئة قائمة على الحقيقة والصدق، فقد بقيت المسيحية على التوحيد حتى أثرت فيها الكثير من العوامل جعلتها تتحرف عن التوحيد إلى معتقدات وثنية باطلة (٢)، ومن هذه العوامل: دخول جماعات وثنية مختلفة الأعراق من مصريين ويونان ورومان وأشوريين وهنود وفرس وفلاسفة حاول كل منهم فهم دينه الجديد بناءً على أسس دينه القديم، ومنها دخول بولس (٣) في النصرانية وإدخاله إليها الكثير من المعتقدات الباطلة،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٣٠٨/٤ بتصرف.

(٢) انظر: العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، هاشم جودة، ص ١١٨، ١١٩.

(٣) يرى الكثير من الباحثين أن بولس هو من أدخل العقائد الوثنية الفاسدة الطارئة على المسيحية بعد أن كان يتزعم اضطهاد المسيحيين في القدس ثم ذهب إلى دمشق لمحاربتهم هناك، وحصلت له الهداية هناك في قصة يشكك فيها معظم الباحثين ومفاد القصة أنه ظهر له يسوع بعد صوت وبرق قوي وقال له: لماذا يضطهده؟ فقال له: يا رب ماذا أفعل؟ ويلاحظ أنه نادى يسوع إن ثبتت القصة بالربوبية رغم أنه لم يشر إليها، ثم تحول بولس إلى المسيحية وأصبح يبشر بها، كما يرى الباحثون أن دخوله في المسيحية هو سلاح جديد يقضي به عليها بعد أن فشل في القضاء عليها بالعنف فدخل فيها ليدمرها وينقضها ويفسدها من الداخل عن طريق تغيير معالمها وأصولها كإدخال التثليث فيها وبنوة عيسى عليه السلام لله تعالى والصلب والفداء وقيامته =

ومنها المجمع النصرانية (١) التي صاغت الشكل النهائي للعقيدة النصرانية من خلال إرهاب الحكام للامة بنفوذهم وسلطانهم، وإجبارهم على تبني هذه المعتقدات الباطلة، ولقد بين القرآن الكريم هذه المعتقدات الباطلة ورد عليها، وكان لسورة المائدة حظاً ليس بالقليل منها وذلك كما يلي:

أولاً عقيدة التجسيد والاتحاد عند النصارى:

تناولت سورة المائدة هذه العقيدة النصرانية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وتؤمن جميع فرق النصرانية بأن المسيح ﷺ إله متجسد، رغم اختلافها في طبيعته (٢)،

= عيسى من الأموات وعالمية المسيحية وهذه كلها عقائد تخالف أصول المسيحية، انظر: (أصول المسيحية كما يصورها القرآن، داوود علي الفاضي، ص ١١٦، ١٩٢، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ص ١٤٤، ومصادر النصرانية، عبد الرزاق الأرو، ١/٦٣٨، ٦٤١، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، ١/١٠٢، ١٠٣).

(١) المجمع: جمع مجمع وهي مؤتمرات واجتماعات يعقدها النصارى لحا مشكلة أو مناقشة موضوع يختلف فيه الناس ليخرجوا بقرار نهائي بشأنه، ولكن هذه الاجتماعات بدأ فيها تحريف النصرانية وإفسادها وإخراجها عن مسارها السليم بما يناسب أهواءهم ومصالحهم، وتتقسم هذه المجمع إلى مسكونية عامة عالمية ولا حدود معينة لها ويشهدها علماء من كل الكنائس لإصدار قرارات بشأن مذاهب غريبة، ومكانية محلية خاصة الكنيسة لتثبيت عقائد معينة أو نيلها، وأخطر المجمع النصرانية أربعة مجامع وعدت أخطر المجمع لأنها أقرت العقائد النصرانية على ما هي الآن، وهذه المجمع هي: مجمع نيقية ٣٢٥م وتقرر فيه ألوهية المسيح، ومجمع القسطنطينية ٣٨١م وتقرر فيه ألوهية روح القدس، ومجمع أفسس الأول ٤٣١م وتقرر فيه أن مريم العذراء ولدت إلهاً وسميت بأب الإله، ومجمع خلقيدونية ٤٥١م وتقرر فيه أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد، انظر: المسيحية، أحمد شلبي، ص ١٩٧، ١٩٩، وأضواء على المسيحية، رؤوف شلبي، ص ٩٦، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج، ص ١٦٦، ١٨٧، ومصادر المسيحية، عبد الرزاق الأرو، ١/٧١٠، ٧١٢، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. (رؤوف شلبي، ص ٢١٣، ومحاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص ١٤٧، ١٤٥، ١٧٠).

(٢) انظر: الله ﷻ واحد أو ثلاثة، منقذ محمود السقار، ص ١٣، بدون رقم طبعة ولا تاريخ نشر.

يقول التفنازاني في شرحه لهذه العقيدة عن النصارى: "قالوا: إن الكلمة ^(١) وهي أقنوم ^(٢) العلم اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ^(٣) بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكائية، وبطريق الإشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور عند النسطورية، وبطريق الانقلاب لحماً ودماً بحيث صار الإله هو المسيح عند اليعقوبية" ^(٤).

ويرى ابن تيمية رحمه الله: أن جميع طوائف النصرانية متفقة على اتحاد اللاهوت والناسوت وأن المتحد هو الكلمة ^(٥)، وكذلك يرى صاحب المنار بقوله: "جميع فرق النصارى هذا العصر تقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح ابن مريم هو الله" ^(٦)، بخلاف بعض المفسرين الذين يرون أن هذه الآيات تقصد الطائفة اليعقوبية منهم ^(٧)، والذي يظهر للباحثة في الجمع بين الرأيين أن جميع الطوائف تسلم بتجسد أقنوم الكلمة ولكن اليعقوبية هي الطائفة التي عبرت عن هذا التجسد برأي أشبه ما يكون بالامتزاج التام والاتحاد الكامل حتى يصبحان جسداً واحداً، وهذا ما يظهر في قول الشهرستاني عنهم أنهم قالوا: "الكلمة انقلبت لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو: هو"، وزعم أكثرهم أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله وجوهر الإنسان تركبا تركيباً كما تركبت النفس والجسم وصارا جوهرًا واحداً أقنوماً واحداً، وضربوا لذلك مثال الفحمة التي تصبح النار جمرة، فالجمرة لا هي نار مطلقة ولا هي فحمة مطلقة ^(٨).

(١) ذهب النصارى إلى أن الله تعالى جوهر واحد ثلاثة أقانيم هي الوجود ولعلم والحياة ويعبر عنها عندهم بالأب والابن وروح القدس فالابن هو عيسى عليه السلام الذي تقوم عليه معظم معتقداتهم هو أقنوم العلم المقصود به الكلمة. انظر: (شرح المقاصد، التفنازاني، ٥٧/٤، والملل والنحل، الشهرستاني، ١/١٨٦).

(٢) الأقانيم الأصول، مفردها أقنوم، وهي كلمة رومية (يونانية)، الصاح في اللغة، الجوهرية، ٢٩٤/٥، ويقول ابن تيمية: "قيل الأقنوم في لغتهم معناه الأصل ولهذا يضطربون في تفسير الأقانيم تارة يقولون أشخاص وتارة خواص وتارة صفات وتارة جواهر وتارة يجعلون الأقنوم اسماً للذات والصفة معاً"، الجواب الصحيح، ابن تيمية، ٢٠٠/٣، ويقول الأستاذ محمد مجدي مرجان الذي كان مسيحياً فأسلم: "الأقانيم كلمة سريانية الأصل، مفردها الأقنوم وتعني شخص أو كائن مستقل بذاته". (الله واحد أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، الذي كان مسيحياً فأسلم، ص ٩، ط ٢، مكتبة الناظرة، ٢٠٠٤م).

(٣) الناسوت: الطبيعة البشرية ويقابله اللاهوت بمعنى الألوهية وعلم اللاهوت هو العلم الذي يبحث عن العقائد المتعلقة بالله واللاهوتي هو العالم بالعقائد المتعلقة بالله، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ٨٩٥، ٨٤١.

(٤) انظر: شرح المقاصد، للتفنازاني، ٥٨/٤.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ١٢/٢.

(٦) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٠٨/٦.

(٧) جامع البيان، الطبري، ٤٨٠/١٠، ومفاتيح الغيب، الرازي، ٦٣/١٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٤/٦.

(٨) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/١٩١.

ونترك المجال للمسيحي الأثبا غريغوريوس ليؤكد كلام ابن تيمية بقوله: "لم يستحدث المسيحيون عقيدة ألوهية السيد المسيح، وإنما هي عقيدتهم بعينها منذ الابتداء، وهي عقيدة المسيحيين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم" ثم يقول: "لا خلاف بينهم أن المسيح هو الله الكلمة متجسداً" (١).

ويرجع سبب تبني المسيحيون لهذه العقيدة هو فكرة الخطيئة الموروثة، والتي يقصد بها أن الله تجسد في المسيح ليكفر عن خطايا الناس وذنوبهم، التي ورثوها من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة هو وحواء عليهما السلام، فهو يكفر عن خطاياهم بتجسده في المسيح ثم موته بالصلب فداءً لهم -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- (٢).

نقض القرآن لهذا الافتراء:

وقبل البدء في بيان رد القرآن على افتراء النصارى؛ تجدر الإشارة إلى أن "التجسد يمثل قلب وجوهر الديانة المسيحية" (٣)، لذلك استدلوا عليه بالكثير من الأدلة من العهد الجديد في الكتاب المقدس، ولسنا في موضع بسط هذه الأدلة وإنما يحال القارئ إلى الكتب التي تناولت هذه الأدلة بالتفصيل وناقشتها؛ سواء الأدلة التي تحدثت عن التجسد باسمه والأدلة التي تحدثت عنه باسم الظهور والتجلي أو عبرت عنه بألوهية المسيح أو بنوته لله - تعالى الله عما يقولون - أو الحلول والاتحاد، وردت عليها من خلال القرآن والكتاب المقدس وإعمال العقل فيها، وجاءت هذه الردود في منتهى القوة والجديّة والموضوعية (٤).

ونقض القرآن هذه الفرية بعدة أمور:

١ - عدم قدرة المسيح على رد الموت عنه وعن والدته مريم عليها السلام:

يقول تعالى: ﴿... قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

(١) اللقاء بين الإسلام والنصرانية، بين الدكتور أحمد حجازي السقا والأثبا غريغوريوس، ص ١٤.

(٢) انظر: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للقس الذي أسلم إنسلم تورميديا، ص ٨٨، ٨٩، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ص ١٤٨، والذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية، عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم، رسالة ماجستير، ص ٢١)، وفي الكتب المسيحية: الله طرق إعلانته عن نفسه، عوض سمعان، ص ٦٦، وألقاب المسيح، للقس منيس عبد النور، ص ٩، ١٠، ١٢.

(٣) من محاضرة مفرغة عن التجسد للدكتور: جورج حبيب بباوي، ضمن محاضرات أقيمت باليوم الروحي .

(٤) للمزيد من أدلة النصارى على التجسد وردود العلماء المسلمين عليهم وإبطاله عندهم (راجع هداية الحيارى في أجوبة النصارى، ابن القيم، ص ٤٩٨، ٥٢٢، والذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية، عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم، ص ٢٢، ٢٦، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، إنسلم تورميديا، ص ٨٩، ٩٣، وغيرها).

يخبر الله تعالى في هذا الجزء من الآية عن بشرية عيسى عليه السلام والتي تتمثل في عدم قدرته على رد الموت والهلاك عن نفسه أو عن أمه أو عن أي فرد على وجه الأرض ^(١).

يقول الرازي: "هذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط، والتقدير: إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً، فمن الذي يقدر على أن يدفعه عن مراده ومقدوره" ^(٢).

فمن الذي يملك أي يقدر على رد قضاء الله أو دفعه إذا أراد أن يهلك المسيح عليه السلام وأمّه البتول ومن على وجه الأرض جميعاً، والجواب: بالطبع لا أحد يستطيع ذلك، وهذا رد مفحم للنصارى إذ أن من يعتقدون ألوهيته لم يستطع دفع الموت عن أمه لما جاءها، وهذا يدل أنه بشر ^(٣).

٢ - ملك الله الواسع وقدرته المطلقة وخلقه:

يقول تعالى: ﴿... وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧] .

توضح الآية رداً آخر على القائلين بالتجسد، وهو أن ملك السموات والأرض لله تعالى يدبر أمرهما بما ومن فيهما كيفما يشاء، وعيسى عليه السلام وأمّه مملوكان لله فقراء إليه، فلا يصح شرعاً ولا عقلاً أن يكون المملوك إلهاً يعبد ^(٤).

ثم يقول تعالى: "ويخلق ما يشاء" أي: وينشئ ما يشاء ويوجده، ويخرجه من حال العدم إلى حال الوجود، ولن يقدر على ذلك غير الله الواحد القهار، ويعني بذلك، أن له تدبير السموات والأرض وما بينهما وتصريفه، وإفناءه وإعدامه، وإيجاد ما يشاء مما هو غير موجود ولا منشأ، يقول: فليس ذلك لأحد سواي، فكيف زعمتم، أيها الكذبة، أن المسيح إليه، وهو لا يطيق شيئاً من ذلك، بل لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه ولا عن أمه، ولا اجتلاب نفع إليها إلا بإذني؟" ^(٥).

وهذا الجزء من الآية: "جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح معتراهم من الشبهة في أمر المسيح لولادته من غير أب وخلق الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أي يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد" ^(٦).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٨/١١، ومثل ذلك جاء في التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٥/٦.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٤٧/١٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١٩/٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٧/١.

(٥) جامع البيان، الطبري، ١٤٩/١٠.

(٦) تفسير أبو السعود، ١٩/٣، وروح المعاني، للألوسي، ٢٧٠/٣.

فإنه المعبود الحقيقي يستطيع خلق ما يشاء؛ فهو يستطيع خلق إنسان لا من ذكر ولا من أنثى كآدم عليه السلام، وخلق إنسان من ذكر وأنثى كسائر البشر، وذلك لأن قدرته مطلقة غير محدودة بحد ولا ممنوعة بمانع ^(١).

٣- رد عيسى عليه السلام عليهم بنفسه:

بقول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل: ، وهو بهذا يعلنها صريحة أنه وجميع الخلق عبيد لله تعالى، كما أثبت لنفسه ولجميع الناس العبودية والتذلل، والله تعالى الربوبية، ولم يفرق بينه وبينهم في عبادة الله والخضوع له، ومعنى قوله: أن اعبدوا الله وتذلوا لله فهو الرب والمالك والخالق والسيد لي ولكم ^(٢)، يقول صاحب المنار في تفسير الآية: "أي والحال أن المسيح قال لهم ضد ما يقولون؛ أمرهم بعبادة الله تعالى وحده، معترفاً بأنه ربه وربهم، فاعترف بأنه عبد مربوب لله تعالى ودعا بني إسرائيل ، الذين أرسل إليهم، أن يعبدوا الله الذي يعبدوه هو" ^(٣).

ومن الحجج التي تساق في هذا الباب وتتعلق بأقوال عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، أو أول كلمة نطق بها وهو في المهد ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠]، ولم يقل أي أمر من الأمور المبتدعة في النصرانية، فلم يقل: إني أنا الله، ولم يقل: أنه ابن الله، وكذلك كان الأمر في كبره فقد قال لهم ما سبق توضيحه وهو أنه مربوب لله تعالى وليس رباً كما يدعون ^(٤)، ثم بين عيسى عليه السلام جزاء من يشرك بالله شيئاً سواء كان حجراً أو شجراً أو بشراً أو نجماً، فقال: أن من يشرك بالله فقد حرم الله عليه سكنى الجنة في الآخرة، وأوجب له الخلود والمأوى في نار جهنم، لأنه جعل المخلوق كالخالق مساوياً له في العبادة والخضوع، ولأن الجنة مأوى الموحدين ومستقرهم بينما النار مأوى الكفار والمشركين ^(٥)، الذين لا يكون لهم ناصر ولا معين ينقذهم مما هم فيه من العذاب والذل والهوان ^(٦)، و"نكتة جميع الأنصار مع كون النكرة المفردة تفيد العموم في سياق النفي هي التنبيه على كون النصارى كانوا يتكلمون على كثير من الرسل والقديسين؛ إذ كانت وثنية الشفاعة قد فشت فيهم، وإن لم تكن من أصل دينهم" ^(٧).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٢٧/١١، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٢٧/١.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٤٨١/١٠، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٣، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٤٠/١.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤٨٣/٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري، ٤٨١/١٠، وتفسير الكشاف، الزمخشري، ٦٩٦/١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٨/٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري، ٤٨١/١٠، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٤٠/١.

(٧) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٦٢/٦.

ثانياً: عقيدة التثليث عند النصارى:

ولقد ورد ذكر هذه العقيدة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ...﴾ [المائدة: ٧٣]، وأبطل الله تعالى هذا المعتقد ونقضه بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ حيث حكم عليهم بالكفر، وبين لهم وأثبت الوجدانية لله ﷻ وحده دون سواء، ثم أثبت البشرية لعيسى وأمه البتول عليهما السلام حين قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾ [المائدة: ٧٥]، وإن أوردت ذلك فقط للاطلاع مع أن ذلك ليس محل دراسة في رسالتي هذه (١).

ثالثاً: ادعاء اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه:

لم يكتف اليهود بوصف الله تعالى بالغلول والبخل، ولم يكتف النصارى بتأليه بشر مع الله تعالى ونسبة بنوته إلى الله تعالى، وإنما استمر مسلسل غيهم وضلالهم وكفرهم إلى أن وصل إلى أن يقولوا: هم أبناء الله وأحباؤه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأناية المفرطة والنفسية المعقدة، التي ترغب في الحصول على كل شيء والاستحواذ عليه دون غيرها، حتى لو كان هو رب العالمين (٢).

وهذا ما أخبر به تعالى في سورة المائدة في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

توضيح هذا الافتراء:

جاء في تفسير القرطبي: "قال ابن عباس: خوف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود العقاب فقالوا: لا نخاف فإننا أبناء الله وأحباؤه فنزلت الآية" (٣).

ولقد ورد في العهد القديم والجديد ذلك، فقد جاء في التوراة في سفر التثنية أول الفصل الرابع عشر قول موسى (أنتم أولاد للرب إلهكم) [التثنية: ١٤: ١]، كذلك جاء في الإنجيل قول عيسى ﷺ: (إني أصعد إلى أبي وأبيكم) [يوحنا: ٢٠: ١٧]، وجاء في رسالة يوحنا الأولى: (انظروا أية محبة

(١) انظر: النصرانية من الوجدانية إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ص ٢١٩، والله واحد أم ثلاث، محمد مجدي مرجان، ص ٢١.

(٢) انظر: الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي، ص ١٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/١١٩.

أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله) [١:٣]، ومعنى الآية: أنهم أبناء الله وأحباؤه، لذلك لهم من الحظوة والفضل لديه ما ليس لغيرهم من الناس، ولكن من أسلم منهم بين أن المقصود بذلك سواء في التوراة أو الإنجيل: التشريف والإكرام، لكنهم أولوا وحرفوا وحملوا الأبوة والبنوة على الظاهر واعتقدوا حقيقتها (١).

نقض القرآن لهذا الافتراء:

أبطل الله تعالى ذلك الافتراء في بقية الآية حيث قال:

أولاً: ﴿... قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾:

أي قل لهم يا محمد: إذا كان ما تدعونه صحيح فلماذا يعذبكم يوم القيامة بذنوبكم، بسبب عبادتكم للعجل، وهذا ما اعترفوا به بأنفسهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]، وهذا ما يتعارض مع دعواهم في محبة الله وأبوته لهم - تعالى الله - (٢).

وفي هذا يقول ابن القيم: "فلو كانت المحبة قائمة كما زعموا لم يكن هناك ذنوب يستوجبون عليها العذاب من المسخ قرده وخنازير، وتسلط أعدائهم عليهم، يستيحبونهم ويستعبدونهم ويخربون متعبداتهم، ويسبون ذراريهم فالمحب لا يفعل هذا بحبيبه، ولا الأب بابنه، ومعلوم أن الرحمن الرحيم لا يفعل هذا بأمة إلا بعد فرط إجرامها وعتوها على الله واستكبارها عن طاعته وعبادته، وذلك ينافي كونهم أحبابه، فلو أحبوه لما ارتكبوا من غضبه وسخطه ما أوجب لهم ذلك، ولو أحبهم لأدبهم ولم يعذبهم" (٣).

ولا يقصد بهذا العذاب؛ العذاب الذي سينالونه في الآخرة بسبب كفرهم؛ لأنهم لا يعتقدونه ولا يعترفون به، وإنما المقصود العذاب الذي يعتقدون حصوله ويوجد في كتبهم، أما عن اليهود ففي قولهم السابق في سورة البقرة، وأما النصارى ففي أنجيلهم أن كل بني آدم يستحقون العذاب بسبب خطيئتهم الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام، وكان عيسى عليه السلام ضحى بنفسه وافتدى البشرية، فالعذاب كان مكتوباً على جميع الناس لولا تكفير عيسى له عنهم (٤).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٩/٣، وتفسير روح المعاني، الألوسي، ٢٧٢/٣، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٦/٦.

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٣٠٤/١.

(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم، ١٥٧٠/٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥٦/٦.

ثانياً: ﴿... بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

رد الله عليهم برد آخر يبين لهم حقيقة أمرهم، فما هم إلا بشر من خلقه، لهم الحسنى والثواب إن أحسنوا، ولهم العقاب والعذاب إن أساءوا، كسائر البشر، لكم عند الله ما لهم، وعليكم ما عليهم، لا يتميز أحد عن الآخر، فيغفر لمن يشاء من أهل الإيمان، ويصفح عنه ويرحمه، ويعذب من يشاء من أهل المعصية ويعاقبه بها (١).

يقول الإمام القرطبي: "فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين، إما أن يقولوا هو يعذبنا، فيقال لهم: فلستم إذاً أبناءه وأحباؤه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تقررون بعذابه، فذلك دليل على كذبكم، أو يقولوا: لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلم، ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب العصاة منهم، ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم" (٢).

ثم تنتهي الآية بأن الله تعالى له تدبير أمر السماوات والأرض، يصرف أمرهما ويدبره بمشيئته وحسب إرادته، لا شريك له في ذلك، فيا من قالوا: أنهم أبناء الله وأحباؤه، إن أراد عذابكم فلن يمنعه مانع من ذلك، ولن يدفع العذاب عنكم أحد، فلا يوجد نسب بينه وبين أحد، وهو إليه مصير الخلائق كلهم ويحاسبهم يوم القيامة على أعمالهم (٣).

مما سبق يتبين افتراء كل من اليهود والنصارى على الله ﷻ من خلال وصفهم لأنفسهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، لذلك لن يعذبهم، ويتبين رد الله تعالى لمقولتهم المفتراة بأنه سيعذبهم يوم القيامة على كفرهم وعصيانهم لأوامره فكيف يكونوا أحباؤه وهو سيعذبهم، كما أنهم خلق من خلق الله يحاسبون كغيرهم وليس لهم أدنى ميزة على غيرهم إن أحسنوا يثابوا، وإن أساءوا يعذبوا.

ثم خاطب الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسلاً محمداً ﷺ خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده، ولا رسول، بل المصدق لما معهم، والمعقب لجميعهم، وهو الذي بشرتم به في كتبكم، وأخبركم به أنبياءكم، جاءكم يبين لكم على فترة من الرسل، أي على انقطاع منهم، وطول عهد بالوحي، وبعد مدة متطاولة ما بين إرساله، وعيسى بن مريم، بين لكم ما أنتم بحاجة إليه من أحكام دينكم ودنياكم من عقائد أفسدتها الوثنية، وأخلاق أفسدها الإفراط في المادية، وعبادات أفرغتم محتواها، فهي مجرد طقوس، لا معنى لها، ولا روح فيها.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٥٢/١٠، ١٥٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢١/٦.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٥٤/١٠.

ويبين لكم ما أشكل عليكم من أمر دينكم، ومن المعلوم أن بين آدم ونوح عشرة قرون، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، والقرن مائة عام، وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف وسبعمائة سنة، وبين ميلاد عيسى عليه السلام والنبي ﷺ خمسمائة وتسع وستون سنة ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] ، أي لئلا تحتجوا، وتقولوا يا من بدلتم دينكم وغيرتموه، ما جاءنا من رسول يبشرنا بالخير وينذر بالشر، فقد جاءكم بشير ونذير، يبشر من أطاعه بالجنة، وهو من آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهى عنه، وينذر من عصاه، وخالف أمر الله بالنار، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، قال الطبري: معناها: إني قادر على عقاب من عصاني، وثواب من أطاعني ^(١)، ومن دلائل قدرة الله تعالى نصر نبيه محمد ﷺ، وإعلاء كلمته في الدنيا، وعلو منزلته في الآخرة ^(٢).

ما ترشد إليه الآيات:

- أثبتت الآية الأولى: ﴿لقد كفر ...﴾ كفر النصارى بقولهم: إن الله هو المسيح بن مريم، أي يدينون له، وأعلمهم الله أن المسيح لو كان إلهاً لقدر على دفع ما ينزل به، أو يغيره، وقد أماته الله، ولم يتمكن من دفع الموت عنها، فلو أهلكه هو أيضاً، فمن يدفعه عن ذلك أو يرده؟! والمسيح وأمه مخلوقان محدودان محصوران، وما أحاط به الحد والنهاية لا يصلح للألوهية وإنما الله هو مالك السماوات والأرض وما بينهما من النوعين والصنفين، يخلق ما يشاء كخلق عيسى من أم بلا أب آية لعباده، والله قادر على كل شيء ^(٣).

- وأبطلت الآية الثانية: ﴿وقالت اليهود والنصارى ...﴾ دعاوى اليهود والنصارى معزتهم وحظوتهم عند الله وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فإن صح ما يزعمون فلم أنزل العذاب بهم في الدنيا من هزيمة، وتخريب، وتدمير ديارهم، وتشريدهم، وأعد لهم عذاب جهنم لكفرهم، ومعصيتهم، فليسوا إذاً أبناء الله وأحباؤه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تقرون بعذاب العصاة منكم، فذلك دليل على كذبكم، وإنما هم في الحقيقة كسائر البشر يحاسبهم على الطاعة والمعصية ^(٤).

- وأوضحت الآية الثالثة: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ...﴾ مهمة النبي ﷺ في تبيان أمر النجاة والسعادة والأبدية، وإناطتها بالإيمان والعمل الصالح، فالجنة لمن أطاع الله ورسوله، والنار لمن عصى الله ورسوله، وفي تقدير أحكام الحياة وقوانين المجتمع لئلا، أو كراهية أن

(١) تفسير الطبري، ١٥٧/١٠-١٥٨.

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤٠/٦-١٤١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٤١/٦.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤١/٦ بتصرف،

تقولوا ما جاءنا من بشير ولا منذر، وكان بين ميلاد عيسى عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وستون سنة^(١).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤٢/٦.

المقطع الثالث

تذكير موسى قومه بنعمة الله، ومطالبتهم بدخول الأرض المقدسة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّى يُخْرِجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * [المائدة: ٢٠-٢٦].

أولاً: المناسبة:

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "ومناسبة موقع هذه الآيات هنا، أن القصة مشتملة على تذكير نعم الله تعالى عليهم، وحث على الوفاء بما عاهدوا الله عليه، من الطاعة، تمهيداً لطلب امتثالهم" (١).

قال الرازي رحمه الله: "واعلم أن وجه الاتصال، هو أن الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ واو عطف، وهو متصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ١٢] كأنه قيل: أخذ الميثاق، وذكرهم موسى ﷺ بنعم الله تعالى، وأمرهم بمحاربة الجبارين، فخالفوا القول في الميثاق، وخالفوه في محاربة الجبارين" (٢).

وقيل: "جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل، بعد أخذ الميثاق منهم، وتفصيل كيفية نقض الميثاق، وتعلقهم بما قبله حيث إن ما ذكر فيه من الأمور التي وصف النبي ﷺ بيانها، ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم" (٣).

ثانياً: التحليل اللغوي:

الأرض المقدسة: أي بيت المقدس، أو أرض الشام عامة (٤).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦١/٦.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ٣٣٠/١١.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٢٢/٣، وروح المعاني، الألوسي، ٢٥٨.

(٤) تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن باسم الكواري، ٢١/٥، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨م.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ ملكه، يملكه، ملكاً، استولى عليه وكان في قدرته يتصرف فيه بما يريد، يعطيه من يشاء، ويمنعه من يشاء، ويكون بذلك في الأحيان والمعاني (١).

قال الأصفهاني: "المَلِكُ اسم لكل من يملك السياسة، إما في نفسه وذلك بالتمكين من زمام قواه وصرافها عن هواها، وإما في غيره سواء تولى ذلك أو لم يتول على ما تقدم" (٢).
ويقال: ملك الناس ملكاً، كان له التصرف فيهم بالأمر والنهي.

والملك: ذو السلطان والسيادة على فريق من الناس، أو على الناس، والملك المطلق هو الله ﷻ.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾: أي جعلكم تملكون أمركم، لا يغلبكم عليه غالب، وقال بعضهم: جعلكم ذوي منازل، لا يُدخل فيها عليكم إلا باذن، والمعنى راجع إلى مالك الملك (٣).
ثالثاً: الإعراب:

* قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

الموضع هو: قوله تعالى: ﴿فَتَنْقَلِبُوا﴾.

تحتل جملة (فتنقلبوا) وجهين من الإعراب (٤):

الأول: أنه مجزوم عطفًا على فعل النهي.

الثاني: أنه منصوب بإضمار (أن) بعد الفاء في جواب النهي.

المعاني التفسيرية للإعراب (٥):

المعنى الأول: يا قوم ادخلوا الأرض المطهرة، وهي بيت المقدس وما حولها، التي وعد الله أن تدخلوها وتقاتلوا من فيها من الكفار، ولا ترجعوا عن قتال الجبارين فتتصرفوا وقد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء، وفتح بلادكم، وآخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب.

(١) معاني القرآن، للزجاج، ١٦١/٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥٧٥.

(٣) مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، ٣٢٤/٤.

(٤) انظر: الدر المصون، الحلبي، ٢٣١/٤، والتبيان، العكبري، ٤٣٠/١، وروح المعاني، الألوسي، ٢٧٧/٣.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٠/١٦٨-١٦٩، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٢٣٨/١.

المعنى الثاني: ولا ترجعوا عن قتال الجبارين ولا أن تنصرفوا خائبين، ففي هذا المعنى ينهاهم موسى عليه السلام عن أن ينقلبوا خاسرين.

* قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

الموضع هو: قوله تعالى: ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾.

تحتل جملة (أنعم الله) أربعة أوجه إعرابية^(١):

الأول: أنها صفة ثانية فمحلها الرفع.

الثاني: أنها حال من الضمير في (يخافون).

الثالث: أنها حال من (رجلان).

الرابع: أنها حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور (من الذين).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: قال رجلان يخشون الله تعالى، أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيه ﷺ، فكانت هاتان الصفتان دافعا لهما لنصح قومهما.

المعنى الثاني: قال رجلان من الذين يخافون حال كونهما قد أنعم الله عليهما، وفي هذا المعنى بيان لحال الرجلين الذين يخشون الله تعالى بأنهما قد أنعم الله عليهما، وهذه الخشية من الله تعالى ما جاءت لهم إلا بطاعتهم لله تعالى وطاعتهم لنبيه ﷺ، فالطاعة نابعة من العلم، والعلم يورث الخشية، كما قال تعالى: ﴿ ... إِيَّاهُ يَخْشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ [فاطر: ٢٨].

المعنى الثالث: قال رجلان حال كونهما قد أنعم الله عليهما، وفي هذا المعنى بيان لحال الرجلين حين نصحا قومهما.

المعنى الرابع: قال رجلان من الكائنين قد أنعم الله عليهما، وفي هذا المعنى تأكيد لإنعام الله ﷻ على الرجلين.

* قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥].

(١) انظر: الدر المصون، الحلبي، ٢٣٣/٤، والمشكل، مكي، ٢٢٢/١، والتبيان، العكبري، ٤٣٠/١.

الموضع: ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾.

يحتمل الاسم (أخي) ستة أوجه إعرابية^(١)، مشتملة على الرفع، والنصب، والجر، وهي كالاتي:

أولاً: أوجه الرفع:

فالرفع ثلاثة أوجه هي:

- ١- الرفع عطفاً على محل (إن) واسمها.
- ٢- الرفع بالابتداء وخبره محذوف.
- ٣- الرفع عطفاً على الضمير المستتر في (أملك).

ثانياً: وجهها النصب:

والنصب على وجهين:

- ١- النصب عطفاً على (نفسى).
- ٢- النصب عطفاً على اسم (إن).

ثالثاً: وجه الجر:

الجر عطفاً على الياء في (نفسى).

المعاني التفسيرية للإعراب:

بداية أجمل المعنى العام للآية، وهو: أن موسى عليه السلام توجه إلى ربه داعياً: يا رب إني لا أقدر على أحدٍ أن أحمله على ما أحب وأريد من طاعتك واتباع أمرك ونهيك إلا على نفسي وعلى أخي هارون عليه السلام فاحكم بيننا وبين القوم الفاسقين^(٢).

أما المعاني التفسيرية للإعراب فهي كالاتي^(٣):

المعنى الأول: إني لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك.

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٣٣٤-٣٣٥/٤، وإعراب القرآن، النحاس، ٢٦٤/١، والمشكل، مكي،

٢٢٣/١، وروح المعاني، الألوسي، ٢٧٨/٣، وإعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ٢٠٧/٢-٢٠٨.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٨٧/١٠، وتفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ٢٧٧/٦.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٦٤=١٦٥/٢، ومفتاح الغيب، الرازي، ٣٣٥/١١، والبحر المحيط،

أبو حيان، ٢٢١/٤، والتسهيل، ابن جزي، ٢٣٢/١.

المعنى الثاني: إني لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه، وهذا المعنى فيه إظهار وتأكيد بأن أخاه لا يملك إلا نفسه.

المعنى الثالث: إني لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا، وفي هذا المعنى كان اهتمام موسى عليه السلام بعدم مقدرته هو وأخيه بأمرٍ إلا بأمرٍ لأنفسهما.

المعنى الرابع: إني لا أملك إلا نفسي، ولا أملك إلا أخي، وفي هذا المعنى بيان لمن كان تحت أمر وطاعة موسى عليه السلام من قومه وهو أخوه هارون عليه السلام، لأن أخاه إذا كان مطيعاً له فهو ملك طاعته.

المعنى الخامس: إني وأخي لا نملك إلا أنفسنا، وفي هذا المعنى كان اهتمام موسى عليه السلام بنفسه وبأخيه بعدم مقدرتهما بأمرٍ على أنفسهما.

المعنى السادس: إني لا أملك إلا نفسي وأخي، وفي هذا المعنى زيادة تأكيدٍ على عدم مُلكِ موسى عليه السلام لأحدٍ من قومه إلا نفسه وأخيه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

الموضع هو: قوله تعالى: ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾.

يحتمل نصب ظرف الزمان (أربعين) وجهين من الإعراب^(١):

الأول: أنه منصوب بـ (محرمَةٌ)، وعلى هذا القول تحتل جملة (يتيهون) وجهين:

١- أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

٢- أنها حال من الضمير في (عليهم).

الثاني: أنه منصوب بـ (يتيهون).

المعاني التفسيرية للإعراب:

المعنى الأول: بناءً على أن (أربعين) منصوبٌ بـ (محرمَةٌ) وجملة (يتيهون) مستأنفة:

قال الله تعالى مجيباً لدعوة موسى عليه السلام: إن الأرض المقدسة مُحَرَّمٌ دخولها على بني إسرائيل أربعين سنة، فهم يتيهون في الأرض لا يهتدون إلى طريق المخرج من التيه، فلا تأسف ولا تحزن عليهم، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظمناً منا، وعلى هذا المعنى تكون الآية قد أخبرت عن أنهم يتيهون في الأرض لكن بلا تحديد لزمان، فهو تيةٌ أبدية مع بيان أن

(١) انظر: الدر المصون، السمين الحلبي، ٢٣٦/٤، والمشكل، مكي، ٢٢٣/١، والبيان، ابن الأثير، ٢٨٩/١.

التحريم كان مؤقتاً بأربعين سنة^(١).

المعنى الثاني: بناءً على أن (أربعين) منصوبٌ بـ (محرمَةٌ) وجملة (يتيهون) حال:

قال فإنها محرمة أربعين سنة عليهم حالة كونهم تائهيين حائرين في الأرض^(٢)، فبيّن هذا المعنى الحالة التي كانوا عليها مدة التحريم، وهي أنهم قضوها في التّيه.

المعنى الثالث: قال فإنها محرمة عليهم، يتيهون في الأرض أربعين سنة، فبيّن هذا المعنى أن التحريم كان أبدياً، والتّيه مؤقتاً^(٣)، أما دخولهم فيها الآن فهو من باب الاغتصاب لهذه الأرض من أصحابها الشرعيين، والله المستعان.

رابعاً: البلاغة:

١- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، تشبيهه بليغ، أي كالمملوك في رغد العيش والطمأنينة، فحذف أداة التشبيه، ووجه الشبه.

٢- وقوله تعالى: ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ جملة اعتراضية، لبيان مدى فضل الله ﷻ على الصالحين^(٤).

خامساً: التفسير الإجمالي:

وجاءت هذه الآيات تسليّة لرسول الله ﷺ، عما يلاقيه من عنت، وعناد يهود المدينة، لذا أعلمه الله تعالى بما لاقى موسى منهم من غلظة، وجفاء، وتعنّت^(٥).

هذا حديث بين نبي الله موسى ﷺ وبني إسرائيل، يذكرهم فيه بآلاء الله تعالى ونعمه التي أنعم بها عليهم^(٦)، وهذا من شأن القرآن أن يلون في الموعظة، وأن ينتقل القارئ من الخطاب

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٠/١٩٠، وكشف المشكلات، الباقولي، ٢/٣٤٥-٣٤٦، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٣/٢٢٣ والتفسير الميسر، نخبة من العلماء، ص ١١٢.

(٢) انظر: إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، ٢/٢٠٨.

(٣) يظهر لنا من خلال هذا الموضع: أنه بين لنا جانباً من جوانب أهمية إعراب القرآن، وهو ارتباطه بالوقف والابتداء، فيرتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً وثيقاً، فالوقف يؤثر في المعنى، وهذا بدوره يؤثر في الإعراب. وتطبيق ذلك في هذه الآية: أن فيها وقف تعانق، فمن وقف على (عليهم) كان التحريم أبدياً والتّيه مؤقتاً، وعليه فقد جعل (أربعين) منصوب بـ (يتيهون)، ومن وقف على (سنة) كان التحريم مؤقتاً والتّيه أبدياً، وعليه فقد جعل (أربعين) منصوب بـ (محرمَةٌ).

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ٦/١٤٣.

(٥) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ص ٤٩٧.

(٦) انظر: في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، ٦/١٠٨٨.

الغائب، ترويحاً للنفس، وتنشيطاً للذهن.

ونجمل هذه النعم في الآتي:

- ١- فجر الله ﷻ لهم من الصخر ينابيع في جوف الصحراء.
 - ٢- أنزل الله ﷻ عليهم المن والسلوى، طعاماً سائغاً من أيسر سبيل.
 - ٣- أرسل إليهم الرسل والأنبياء.
 - ٤- فضلهم على عالمي زمانهم، حين اتبعوا أمر التوراة، والتزموا بتعاليم السماء.
 - ٥- نجاهم من فرعون، وأغرق فرعون وقومه.
 - ٦- مكنهم شئون أنفسهم، بعد أن كانوا عبيداً، لفرعون يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم، فنجاهم منه، وجعل أمر أنفسهم بأيديهم.
 - ٧- أنزل التوراة على موسى، وفيها الهداية والرحمة لهم.
- إلى غير ذلك من النعم، ومنها قصة البقرة التي أمروا بذبحها، وضرب قبيل بذيها فيقوم ويقول: قتلني فلان (١).

* وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، هذا تشبيهه بليغ، أي كالملوك في تصرفهم في أنفسهم، وسلامتهم من العبودية، التي كانت عليهم للقطب، وجعلهم سادة على الأمم التي مروا بها، من الأموريين، والعنانيين، والحشيبونيين، والرفائيين، والعمالقة والكنعانيين (٢).

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾، وبعد تذكير موسى ﷺ لهم بهذه النعم الكثيرة، يبلغهم أمر ربهم بالجهاد، لرفع راية التوحيد في الأرض المقدسة، فلسطين وتحريرها من المشركين، ولكن بني إسرائيل جبنوا عن مواجهة المشركين، ووصف الله تعالى لنا جبنهم، وعزيمتهم الخوارة، وإيثارهم للذلة مع الراحة، على العزة مع الجهاد، وإقبالهم على المطاعم، وأصناف الطعام، بدل أن يقبلوا على الطاعة، والإعداد والجهاد.

وهنا أمر موسى ﷺ قومه بالدخول إلى الأرض المقدسة وهو أمر بالسعي في أسبابه أي تهيأوا للدخول، والأرض المقدسة بمعنى المطهرة المباركة، التي بارك الله تعالى بها وقدست بدفن إبراهيم ﷺ في قرية حبرون، وهي أرض فلسطين، وفي وصفها بالتي كتب الله لكم، تحريض على الإقدام على دخولها، وحذرهم بوجوب الانهزام، لأن ارتداد الجيش على الأعقاب، من أكبر أسباب الانخزال، والارتداد.

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٥٦/٦-١٠٥٧.

(٢) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، ١٦١/٦.

ومن أكبر أسباب الهزيمة، وقد وعد الله ﷺ، أمة الإسلام بالنصر والتمكين، إن نصرنا الله
وُفِّي لهم بالوعد، حين وفوا بالنصر، ولكن بني إسرائيل جبنوا واعتذروا (١).

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ...﴾، كان موسى ﷺ قد بعث العيون لاستكشاف أرض
العدو، فأخبروه عن جودة أرضها وثمارها، وقوة سكانها، وتحصيناتها، فلما سمع بنو إسرائيل ذلك،
جزعوا، وتذمروا على موسى ﷺ، وقالوا: لو متنا في أرض مصر كان خيراً لنا، من أن تغنم
نساؤنا وأطفالنا ... (٢)، ولكنهم أعلنوا جبنهم عن الجهاد ومواجهة هؤلاء المشركين المعروفين بالقوة،
وامتنعوا عن اقتحام القرية خوفاً من أهلها، وأكدوا الامتناع من دخول أرض العدو توكيداً قوياً
بمدلول (إِنَّ) و(لَنْ) ﴿وَأَنَا لَنْ نَدْخُلَهَا﴾، تحقيقاً لخوفهم، ليسجل عليهم القرآن هذه النقيصة، ويحذر
منها، وهي طلب المكاسب، والفتوحات، بلا ثمن ولا جهاد، وهذا يؤدي بالأمة إلى الهلاك والشقاء.

ولكن رجال الدعوة هم قادة الجهاد، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ
يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
[المائدة: ٢٣]، وهنا يذكر الله ﷻ، رجلين من بني إسرائيل، استثناهم مما وقع به قومهم من جبن
وهوان وبأس.

هنا توجيهه رباني أيضاً إلى مكانة رجال العقيدة والدعوة، في إنقاذ هذه الأمة، وهدايتها،
اتفق رواة التفسير، على أن الرجلين هما: (يوشع بن نون، وكالب بن يصفى) فهما اللذان كانا
يحثان القوم على الجهاد، والطاعة، ودخول أول بلد للجبارين، ثقة بوعده الله تعالى وتأبيده.

وقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾، يجوز أن يراد به مدخل الأرض المقدسة، أي
المسالك التي يُسلك منها إلى أرض كنعان، ويجوز أن يراد به باب السور المحيط بالمدينة، وبعد
أن أمرا القوم باتخاذ الأسباب، والوسائل، أمراهم بالتوكل على الله تعالى، والاعتماد على وعده
ونصره، ولذلك ذيلاً بقولهما: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، لأن الشك في صدق الرسول، مبطل للإيمان.

قال الزمخشري: "فإن قلت من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: من جهة إخبار موسى ﷺ
بذلك، ومن جهة ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وقيل من جهة غلبة الظن، وما تبيناه من عادة الله تعالى، في
نصر رسله، وما عهد من صنع الله لموسى ﷺ في قهر أعدائه وما عرفنا من حال الجبابرة (٣).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦٢/٦.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ص ١٤٨.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٦٢١/١.

ويتدبر هذه الآية الكريمة نعرف الصفات التالية، لقادة الجهاد والتحرير وهي:

- ١- الإيمان بالمبتدأ وخشية الله تعالى، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ .
- ٢- الشجاعة، وعلو الهمة، والثقة بوعده الله تعالى، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ .
- ٣- صدق التوكل على الله تعالى، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ويعتذر بنو إسرائيل عن الجهاد، والمواجهة بجنبهم، وهوانهم، ويذكر الله ﷻ، قولهم واعتذارهم، ليكون درساً لمن بعدهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] .

والمتدبر لهذا الاعتذار يجد النقاط الآتية:

- ١- تأكيد جنبهم، وإصرارهم على التخلف عن الجهاد، بقولهم ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ .
- ٢- وفي قولهم ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، تصوير لإيمانهم الضعيف الخوار، فهم يؤمنون بنبوة موسى، ورب موسى، وصدق صلة موسى مع ربه، ولكنهم يوظفون هذا الإيمان، لإعفائهم من فريضة الجهاد، والمقاومة والتضحية، لنصرة الدين، ويطلبون من موسى أن يأتيهم بمعجزة، بأن يهلك الله تعالى الجبارين بدعوة موسى ﷺ.

وقيل أرادوا بهذا الكلام الاستخفاف بموسى ﷺ، وهذا بعيد، لأنهم ما كانوا يشكون في رسالته، ولو أرادوا الاستخفاف لكفروا، وليس في كلام موسى ﷺ جواباً عن مقاتلتهم هذه إلا وصفهم بالفاسقين^(٢).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] ، نجد في رد موسى ﷺ، ما يبين أن التخلف عن الجهاد معصية كبرى، تفضي إلى غضب الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإلى مفارقة النبي ﷺ لهؤلاء الفاسقين، المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

وكان تربية النبي القائد محمد ﷺ لأصحابه أن ينتفعوا بما حصل لبني إسرائيل عن عبد الله ابن مسعود قال: "أتى المقداد بن الأسود النبي ﷺ، وهو يدعو على المشركين يوم بدر، فقال:

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦٥/٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ١٦٦/٦.

يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن آمين، ونحن معك، فكأنه سُرِّي عن رسول الله ﷺ" (١).

قال موسى ﷺ: رب إنك تعلم أنني لا أملك لنصرة دينك أمر أحد ألزمه بطاعتك سوى أمر نفسي، وأمر أخي هارون، ولا أحد من هؤلاء الجبناء، أستطيع أن أحمله على الطاعة والاستجابة، إلى ما دعوت إليه.

هؤلاء قومي قد خرجوا عن طاعتي، وفسقوا عن أمرك، وما دام هذا شأنهم، فافصل بيننا وبينهم بقضائك العادل، بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون فإنك أنت الحكم العدل بين العباد.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] (٢)، كان التيه والضياع هو العقوبة الربانية لبني إسرائيل، الذين وعدهم الله تعالى بالنصر على أعدائهم إن نصروه، وقاموا بما فرضه الله عليهم مجاهدين، لتحرير الأرض المقدسة من الشرك والمشركين، ثم نكسوا وجبنوا عن مواجهة أعداء الدين، فكتب عليهم التيه والضياع والشقاء.

وقال الله تعالى لنبيه موسى ﷺ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا ينبغي للنبي أن يحزن على ما أصاب قوماً فرطوا بأمر دينهم، وتوجيه نبيهم، فالأمة التي تعلن عصيانها لربها، وعدم إذعانها لأمره، وخروجها عن هدايته، وتعطيلها للجهاد في سبيل الله تعالى طلباً للراحة، والحياة الوادعة، وبقرب منها عدو يهددها، سيعاقبها الله تعالى، عقوبة تحرمها من السعادة والراحة التي طلبتها في ظل السكينة والاستسلام، وطلب الراحة والبعد عن حياة المقاومة، وما تتطلبه من دماء وتضحيات (٣).

اختلف الناس في أن موسى وهارون عليهما السلام، هل بقيا في التيه أم لا؟

فقال قوم: إنهما ما كانا في التيه؛ لأن موسى ﷺ دعا الله تعالى أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين، ودعوات الأنبياء مجابة، ولأن التيه كان عذاباً، والأنبياء لا يعذبون.

وقال آخرون: إنهما كانا مع القوم في ذلك التيه، إلا أن الله تعالى سهل عليهما ذلك العذاب كما سهل النار على إبراهيم ﷺ، فجعلها برداً وسلاماً، وإنهما قد ماتا في التيه، وبقي يوشع بن نون، وكان ابن أخت موسى ﷺ، ووصيه بعد موته، وهو الذي فتح الأرض المقدسة بعد انقضاء

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ح (٤٦٠٩)، ص ٥٧٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٦/٦ بتصرف.

(٣) انظر: خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما بينتها سورة المائدة، د. إبراهيم زيد الكيلاني، ص ١١١.

مدة التيه.

وقيل: بل بقي موسى عليه السلام بعد ذلك وخرج من التيه، وحارب الجبارين وقهرهم، وأخذ الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ^(١).

يدعي اليهود أن الأرض المقدسة حق لهم بدليل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، والجواب: أن الله تعالى كتب لهم دخولها بشرط الجهاد والطاعة، ولكنهم تناقلوا عن الجهاد وامتنعوا من دخول الأرض المقدسة، بالجهاد والكفاح، فحرماها الله تعالى عليهم.
قال الفخر الرازي: "إن الوعد بقوله ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مشروط بقيد الطاعة، فلما لم يوجد الشرط، لا جرم لا يوجد المشروط" ^(٢).

وبذلك نرى أن دعوى اليهود بأن الأرض المقدسة ملك لهم، بدليل قوله تعالى: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، لا أساس لها من الصحة، ولا يشهد لها عقل أو نقل.

لماذا كانت مدة التيه أربعين سنة؟

بني إسرائيل نشأوا في الذل وتعودوا المهانة، ولذلك امتنعوا عن قتال الجبارين، وعن دخول الأرض المقدسة، فكتب الله تعالى عليهم التيهان، في قطعة محدودة من الأرض، لا يعرفون لا هدفاً ولا مقراً، وأن يستمروا على تلك الحال أربعين سنة، حتى يفنى جيل الذل والقهر وينشأ جيل عزيز قادر على المطالبة والتغلب.

ولقد كان بنو إسرائيل، في هذا الوقت، في سيناء، ثم إن اليهود لما دخلوا فلسطين، بعد هذه العقوبة، مكثوا فيها مدة محدودة، ثم أشركوا بالله تعالى، وأفسدوا في الأرض، فسلط الله تعالى عليهم من ينقم منهم، ويطردهم من بيت المقدس ^(٣).

قال ابن خلدون: "أن حكمة ذلك التيه، مقصودة، وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر، وأفسدوا من عصبيتهم، حتى نشأ في ذلك التيه، جيل آخر عزيز، لا يعرف القهر ولا يسأم بالمدلة، فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى: اقتدروا بها على المطالبة والتغلب، ويظهر من ذلك أن الأربعين سنة، أقل مما يأتي فيها فناء الجيل، ونشأة جيل آخر، فسبحان الحكيم العليم..." ^(٤).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٣٦/١١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٣٢/١١.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ١٠٦/٦.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ص ١٥٠.

الخلاصة:

إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتُساس بالظلم والاضطهاد تُفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، وإذا طال عليهم أمد الظلم، تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة، حتى تكون كالعرائز الفطرية، والطباع الخلقية، وإذا أخرجت صاحبها من بيئتها، ورفعت عن رقبتها نيرها، أفيته ينزع بطبعه إليها، وينقلت منك ليقتمح فيها، وهذا شأن البشر في كل ما يألّفونه، ويجرون عليه من خير وشر، وإيمان وكفر، أفسد ظلم فرعون فطرة بني إسرائيل في مصر، وطبع عليها بطابع المهانة، والذل وقد أراهم الله تعالى من الآيات الدالة على وحدانيته، وقدرته، وصدق رسوله موسى عليه السلام، وبين لهم أنه أخرجهم من مصر، لينقذهم من الذل إلى الحرية... ولكنهم كان مع هذا كله إذا أصابهم ضرر، يتطيروا بموسى، ويذكرون مصر، ويحنون إليها، وكان الله تعالى، يعلم أنهم لا تطاوعهم أنفسهم المهينة، على دخول أرض الجبارين، وأن وعده تعالى لأجدادهم، إنما يتم على وفق سنته في طبيعة الاجتماع البشري، إذا هلك ذلك الجيل، الذي نشأ في الوثنية والعبودية... ونشأ بعده جيل جديد في حرية البداوة، وعدل الشريعة، ونور الآيات الإلهية، وما كان الله ليهلك قوماً بذنوبهم، حين يبين لهم حجته عليهم، ليعلموا أنه لم يظلمهم وإنما يظلمون أنفسهم، فعلينا أن نعتبر بهذه الأمثال التي ضربها الله تعالى لنا وأن نعلم أن إصلاح الأمم من بعد فسادها بالظلم والاستبداد، إنما يكون بإنشاء جيل جديد يجمع بين حرية البداوة واستقلالها، وعزتها، وبين معرفة الشريعة والفضائل والعمل بها ^(١).

إن المتأمل في أحوال الأمة الإسلامية اليوم، وما أصابها من فرقة وتقطيع سياسي، واقتصادي واجتماعي، حوّلها إلى شعوب مستعبدة، لا تملك إرادتها السياسية، ولا التشريعية، ولا الاقتصادية، وقد أعلن حكامها تعطيل فريضة الجهاد، وملاحقة المجاهدين، والتتكيل بهم، وحراسة أمن أعدائهم، يجد صورة جديدة لهذا التيه، يزيد في الأمة ضراوة الإعلام الفاسد، والفضائيات المبرمجة، حتى يصرفوا الأمة عن طريق الإنقاذ، والتحرير والفلاح.

وهذا ما يدعو علماء الأمة، وقادتها الصادقين أن يتسلحوا بالصبر، ويواجهوا هذه الفتن المبرمجة لإحكام التيه، موضع الخطط الحكيمة، وتوظيف طاقات الأمة، وتعاون العلماء لمواجهة الفساد والفاستدين، وإخراج الأمة من الظلمات إلى النور، ومن التيه إلى الهدى، والعمل الصالح، تحت راية الإسلام ^(٢).

إن الدارس للسيرة النبوية، يجد أن إعداد الله تعالى لهذه الأمة لتحرير الأرض من الأنظمة الظالمة ولتحرير مكة المكرمة، والجزيرة العربية، وبيت المقدس، وما حوله من بلاد الشام، من

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٧٦/٦.

(٢) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، إبراهيم زيد الكيلاني، ص ١١٢ بتصرف.

الشرك والمشركين، ووعدهم بالنصر والتمكين في الأرض، إن نصرنا دينه، وكيف تحلى النبي ﷺ وأصحابه بصدق الإعداد والمواجهة، والجهاد في سبيل الله تعالى حتى رفعوا أعلام التوحيد من مكة المكرمة، إلى المدينة المنورة، إلى القدس الشريف، وأعلن النبي ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول، مسجد الأقصى) (١).

واختيار الله تعالى القدس ومسجدها الأقصى، مسرى لنبيه ﷺ ومنطلقاً لمعراجته، وتقديم الأنبياء لرسول الله ﷺ ليكون إمامهم في المسجد الأقصى، والإمامة سيادة وقيادة، واختيار القدس ومسجدها قبلة أولى للمسلمين، كل هذا ليبين الله ﷻ لنا أن ما كتبه على بني إسرائيل من جهاد لدخول الأرض المقدسة، لتحريرها من الشرك والمشركين، هو ما كتبه الله تعالى على أمة محمد ﷺ من جهاد التحرير، ولكن بني إسرائيل عصوا، وجبنوا وتاهوا وخسروا، وأصحاب محمد ﷺ قاموا بفريضة الله تعالى وطهروا مكة والجزيرة والقدس، وفلسطين، وبلاد الشام، والعراق وما بعدها من الشرك والمشركين، وأنظمة الجاهلية الفاسدة، وبين الله تعالى في كتابه أن السيادة على القدس وفلسطين هي لمحمد ﷺ ولأمته، بعد أن خان اليهود والنصارى رسالة الله وقتلوا الأنبياء والعلماء، وأفسدوا في الأرض، واختلفوا فيما بينهم (٢).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٣-١١٤].

وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ أي: اليهود والنصارى، ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا ﴾ أي لا يدخلوا هذه المساجد، وأرضها في القدس وفلسطين، ﴿ إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ أي إلا بإذن من المسلمين، أصحاب السيادة على هذه البلاد، وهذه المساجد، يزيل خوفهم، ويعطيهم الأمان في دخولهم (٣).

وقد أوضحت آية الإسراء، أن وعد الله تعالى بدخول الأرض المقدسة، وبقاءهم فيها، مشروط بإقامة أحكام الله فيها، ونصرة دينه وشريعته، فلما أفسدوا وعطلوا شرائع الله تعالى، ومساجد الله عاقبهم الله ﷻ، بإخراجهم منها، وزوال استقلالهم وملكهم وتشريدهم في البلاد، قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا

(١) صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ح (١١٨)، ٦٠/٢.

(٢) انظر: انخصائص الأمة الإسلامية الحضارية، إبراهيم زيد الكيلاني، ص ١١٣، ١١٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١١٤.

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا * إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿ [الإسراء: ٤-٩] .

ثم بين الله ﷻ لهم سنته العادلة، وهم أعلم بطبيعة نفسهم وما جبلوا عليه من ظلم وعدوان، ﴿وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا﴾ أي وإن عدتم للمخالفة عدنا لتسليط عدوكم عليكم.

وها هم يعودون إلى أرض فلسطين ليفسدوا من جديد، ويخرجوا أهلها منها، ويشردوا شعبها في البلاد، وينكلوا بأهل فلسطين الباقين فيها، يقتلون أبناءهم، ويهدمون ديارهم، ويقتلون أشجارهم، ويسومونهم سوء العذاب ليعود الله تعالى عليهم بسنته التي وعدنا بها على لسان نبيه على يد قوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم^(١)، قال ﷻ: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعُدْوِهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: " بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ "^(٢).

ولقد أبرزت هذه الآيات عدم طاعة اليهود لأنبيائهم، ومدى وقاحتهم في جدالهم، وهذا ما يظهر في حوارهم مع موسى ﷺ عندما طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة كما أمرهم الله تعالى، فردوا عليه ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢] ، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] .

جاءت هذه الآيات تحكي خبر اليهود مع موسى ﷺ عندما طلب منهم الجهاد بالدخول إلى الأرض المقدسة، ولكن لجبنهم خافوا من العمالقة الذين يسكنون هذه الأرض، لذلك عصوا أمره وخالفوه، فعاقبهم الله على عصيانهم هذا انتصاراً لموسى ﷺ بالتيه أربعين عاماً، يسيرون ولا يعلمون وجهتهم مدة أربعين عاماً، بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ^(٣).

(١) خصائص الأمة الإسلامية وحضارتها، إبراهيم زيد الكيلاني، ص ١١٦ بتصرف.
(٢) رواه أحمد في مسنده، باب حديث أبي أمامة الباهلي الصدي، ح (٢٢٣٢٠)، ٦٥٦/٣٦، صحيح لغيره.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٩/٢-٤٠، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦٧/٦.

ويبين الإمام الرازي "مخالفتهم الواضحة وفسقهم بسبب مخالفتهم لنبيهم فيقول: "إن قالوه على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر، وإن قالوه على وجه التمرد عن الطاعة فهو فسق، ولقد فسقوا بهذا الكلام بدليل قوله تعالى في هذه القصة: ﴿... فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]، والمقصود من هذه القصة شرح خلاف هؤلاء اليهود وشدة بغضهم وغلوهم في المنازعة مع أنبياء الله تعالى منذ كانوا" (١).

وقول بني إسرائيل لموسى ﷺ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، يدل على سوء الأدب مع الله تعالى، وعلى فساد فطرتهم، وخلو نفوسهم من الأخلاق والتهديب حتى مع الله تعالى ومع أنبيائه، يقول صاحب المنار: "وهذه العبارة منه تدل على منتهى التمرد، والمبالغة في العصيان والإصرار عليه والجفاء والبعد عن الأدب" (٢).

ويقول صاحب أيسر التفاسير: "هذا هو جواب القوم على طلب الرجلين الصالحين باقتحام المدينة على العدو، إذ قالوا بكل وقاحة ودناءة وخسة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا...﴾ أي: المدينة، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا...﴾ أي: ما دام أهلها فيها يدافعون عنها ولو لم يدافعوا ﴿... فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا...﴾ أهل المدينة، أما نحن فـ ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ أي تمرد وعصيان أكثر من هذا؟ وأي جبن وخور أعظم من هذا؟ وأي سوء أدب أحط من هذا؟" (٣).

ما ترشد إليه الآيات:

تضمنت هذه القصة تقرير اليهود، وبيان فضائحهم ومخالفتهم لله تعالى ورسوله، ونكولهم عن طاعتها فيما أمر به كل منهما من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مقاتلة الأعداء، مع أن معهم موسى ﷺ كلیم الله ﷻ، يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، وبالرغم مما شاهدوا من فعل الله بعدوهم فرعون، من إغراقه مع جنوده في اليم، وهم ينظرون، لتقر به أعينهم، وإذا كان أسلافهم تمردوا على موسى ﷺ وعصوه، فكذلك أحفادهم، وتمردوا على محمد ﷺ وهو تسليية له، وهذا يدل على قبح طبائع اليهود، وإمعانهم في مخالفة أوامر الله ﷻ، بالرغم من تذكير موسى ﷺ لهم بنعم الله ﷻ الكثيرة عليهم، وأهمها ثلاث:

١- بعث كثير من الأنبياء في بني إسرائيل.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٣٣٤/١١.

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٢٧٦/٦.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ٣٣٧/١.

٢- وجعلهم ملوكاً: أي يملكون أمرهم، لا يغلبهم فيه غالب، بعد أن كانوا مملوكين لفرعون مقهورين فأنقذهم الله تعالى وأغرق عدوهم.

٣- وإعطاؤهم ما لم يعط أحداً من عالمي زمانهم^(١).

وقد أمر موسى ﷺ بمجاهدة الأعداء من الكنعانيين الجبارين في فلسطين، وبدخول الأرض المقدسة (المطهرة المباركة) فتمردوا وأبوا الدخول، وبالرغم من تبشير الرجلين الصالحين من النقباء (يوشع وكالب) لهم بالنصر والغلبة والفتح، وقالوا: "ولا يهولنكم عظم أجسامهم، فقلوبهم ملئت رعباً منكم، فأجسامهم عظيمة، وقلوبهم ضعيفة".

وتمادوا بعناد، وإفراد على الله ﷻ، فرفضوا الدخول إلى الأرض المقدسة وقالوا لموسى ﷺ: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ، وهذا منهم كفر، لأنهم شكوا في رسالة موسى ﷺ.

فدعا موسى ﷺ عليهم، وطلب فصل القضاء بينه وبينهم، فاستجاب الله تعالى دعاءه، وعاقبهم في النية أربعين سنة، ومات هارون وموسى في النية، وكان العقاب الإلهي لبني إسرائيل المتمردين عن الطاعة، هو تصفيتهم وتجديد بنية الشعب وظهور جيل جديد من الشباب يتحملون المسؤولية، وكانوا أهلاً للجهاد، ومقاومة الجبارين، وجعلهم أئمة وارثين^(٢).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٤٩/٦.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ١٥٠/٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأرجوا من الله العليّ القدير، أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وبما ينفع الأمة، بعيداً عن الرياء والسمعة، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقد أمضيت في رحلة هذا البحث جاهدة للارتقاء بدرجات العقل، ومعراج الأفكار، وما هذا البحث إلا جهد قليل، ولا أدعي فيه الكمال، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

أولاً: أهم النتائج:

- ١- إن الدين الإسلامي قائم على العدل والتساوي، يراعي مصالح العباد، ويعطي للمرء كرامته وحقوقه، فقد أعطى للمرأة كرامتها، عندما ساوى الإسلام بينها، وبين الرجل في التكاليف الشرعية، وفي نصيبها من الميراث، ومن كرامتها أيضاً بأن جعل الإسلام الرجل قوام عليها، ليحفظها، ويرعاها ويحميها.
- ٢- إن الدين الإسلامي هو دين السماحة والرفق والمحبة، فقد راعى شئون الناس ومصالحهم، ورفع من شأن الضعفاء والمحرومين، وساوى بينه وبين الأقوياء، وأعطاهم نصيبهم وحقوقهم كاملة، لا ينقصها عن الأغنياء والأقوياء وقد تحدثت سورة النساء عن هذه الفئة، ومنها أن الله تعالى، حفظ للأيتام حقوقهم، وهم صغاراً حتى يكبروا، وأيضاً حفظ للمرأة نصيبها من الميراث، وباقي حقوقها سواء كانت طفلة، أم بنتاً، أم زوجة، وأيضاً فقد رغب الله ﷻ عباده على التعدد لمن لديه القدرة، لحفظ المطلقة والأرملة والعانس، وأيضاً حفظ للإماء حقوقهم عند المكاتب.
- ٣- إن الله تعالى أوجب على عباده تطبيق الشرع، وإقامة الحدود، حفاظاً على الممتلكات والحقوق، وصيانة للنفوس والأعراض.
- ٤- إن عزة الأمة وكرامتها وجمع شملها بتطبيق الجهاد في سبيل الله تعالى.
- ٥- المجتمع الإسلامي يقوم على العفة والطهر، وحفظ الأعراض والأنساب.
- ٦- العلماء ورثة الأنبياء في التبليغ والبيان، والحكم ونصرة شرع الله ﷻ.
- ٧- الشخصية المسلمة، شخصية عاقلة حضارية، تربط تصرفاتها بالعدل، مع حسن التوكل على الله تعالى ولا تبني تصرفاتها في الزواج أو التجارة أو السفر أو غيره على الحظوظ والتخيلات أو الرجوع للكهنة، أو مدعي علم الغيب.

٨- سماحة الإسلام، ويسر الشريعة الإسلامية، وتقديرها لضرورات وحاجات الناس، يظهر ذلك من خلال، من ألجأته الضرورة لأكل شيء من المحرمات، فلا ذنب عليه.

٩- سمو ورفعة التعبير القرآني، حيث تحاشى ﷺ التصريح بما يُستحى من ذكره، أو يستهجن التصريح به، فالقرآن يكني، وفي ذلك تعليم للناس الأدب في الخطابة والبعد عن الألفاظ التي تخذش الحياء، ويأبأها الذوق السليم.

١٠- الأمة، كالأرض إذا أهملت، ولم تحرث، ولم يقم بخدمتها قست وتعطلت وظيفتها، وكذلك الأمم إذا لم تلق التوجيه الصالح، ولم تقم مؤسساتها التربوية والإعلامية، بواجبها بالتربية والتذكير والإعداد، قست القلوب، وتغيرت وتحولت، فكيف إذا كان التوجيه فاسداً وسماد الأرض مسموم مستورد من الغرب، أو الشرق، وحكامها ينفذون توجيهات الأعداء، وفي غفلة عن رسالتهم ووظيفتهم.

١١- عالمية الرسالة المحمدية، وأن أمة محمد ﷺ هي وارثة الرسالات جميعاً، وأن الإيمان برسول الله تعالى يعني تشريفهم وتكريمهم وتعظيم شأن رسالاتهم.

١٢- كشف سورة (النساء) عداوة اليهود والمنافقين ومخططاتهم ومكائدهم.

١٣- من صفات المجتمع المسلم، المحافظة على هويته الحضارية، والحذر من مكر أعدائه المتربصين به، والتحذير من اليهود المعاصرين، الذين ورثوا رذائل آبائهم، لأن أخلاق الآباء كثيراً ما يتوارثها الأبناء.

ثانياً: التوصيات:

١- دعوة علماء الأمة وقادتها الصادقين أن يتسلحوا بالصبر، ويواجهوا هذه الفتن المبرمجة لإحكام التيه، بوضع الخطط الحكيمة، وتوظيف طاقات الأمة، وتعاون العلماء لمواجهة الفساد والفاستين، وإخراج الأمة من الظلمات إلى النور، ومن التيه إلى الهدى والعمل الصالح تحت راية الإسلام.

٢- نهيب بمؤسساتنا التربوية، أن تعطي القرآن الكريم حقه من الحصة اللازمة، لإتقان تلاوته وفهمه وتدبره، وكذلك مؤسساتنا القانونية والإدارية، والاجتماعية، أن تحفظ أحكامه، وتطبق شريعته حتى لا تقع فيما وقع به بنو إسرائيل.

٣- لا بد من الالتفات حول القيادة الرشيدة، والاعتصام بالله تعالى وإقامة شرائعه ﷺ.

٤- حث الطلبة على إكمال المسيرة التعليمية، والخوض في غمار البحث العلمي، وعدم الاقتصار على مرحلة البكالوريوس، فالعلم بحر خضم زاهر واسع لا ينتهي، وفوائده عظيمة.

٥- العمل على كتابة رسالة أو أطروحة علمية لمواصلة الكتابة في الدراسة التحليلية لمقاصد القرآن الكريم.

٦- توصي الباحثة وزارة الأوقاف الاهتمام بالجانب الدعوي والوعظي وتوعية الناس لما يصلح لدينهم ودنياهم.

وفي الختام نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعفوا عني، ويغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتشتمل على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ... ﴾	٦-٧	١١٧
٢-	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ... ﴾	٢١	٢١٣
٣-	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾	٤٠	٣٠٢
٤-	﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٥٢	٦٢
٥-	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ ظَالِمًا لِنَفْسِي... ﴾	٥٤	٦٢
٦-	﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ... ﴾	٥٥-٥٦	٦٢، ٥٩
٧-	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ... ﴾	٦٣	٣٠٢
٨-	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً... ﴾	٦٧-٧١	٧٠
٩-	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ... ﴾	٧٤	٧٠
١٠-	﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً... ﴾	٨٠	٣٢٤
١١-	﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ... ﴾	٨٧	٧٠، ٦٥
١٢-	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ... ﴾	٩٦	٦٩
١٣-	﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ... ﴾	١٠٠	١١٧
١٤-	﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ... ﴾	١٠٥	٧٠
١٥-	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ... ﴾	١٠٩	٧٠
١٦-	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى... ﴾	١١٣	٣٤٠

٢٩٥	١٢٠	﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى ... ﴾	- ١٧
٢٢٩، ١٩٤	١٧٣	﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ... ﴾	- ١٨
٢١٧	١٨٧	﴿ ... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾	- ١٩
١٩٢	١٩٦	﴿ ... فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ﴾	- ٢٠
١٩٤	٢٠٦	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ... ﴾	- ٢١
٢٩٤	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ ... ﴾	- ٢٢
٧١	٢١٧	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ... ﴾	- ٢٣
٢٥٩، ٢٥٥	٢٢١	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ ... ﴾	- ٢٤
٢٧٥	٢٢٢	﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ... ﴾	- ٢٥
٢١٧	٢٢٩	﴿ ... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾	- ٢٦
١٦٢	٢٤٢	﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	- ٢٧
٢٨٣	٢٤٧	﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ... ﴾	- ٢٨
١١٠	٢٥٥	﴿ وَلَا ... بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ... ﴾	- ٢٩
٥٩	٢٥٨	﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ... ﴾	- ٣٠
١٤٠	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ... ﴾	- ٣١
١١٤	٢٨٢	﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ ... ﴾	- ٣٢
١٢١، ٥١	٢٨٥	﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	- ٣٣
سورة آل عمران			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٧	٣	﴿ ... نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ... ﴾	- ٣٤
١٨	٧	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ... ﴾	- ٣٥

١٨	١٤	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ... ﴾	-٣٦
١٧	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ... ﴾	-٣٧
١٠٥	١٩	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا... ﴾	-٣٨
٣٠٧	٥٢	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ... ﴾	-٣٩
٧٩ ، ١٧	٥٥	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ... ﴾	-٤٠
٨٠	٥٥	﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾	-٤١
١٣٢	٥٩	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ... ﴾	-٤٢
٢٢٧	٨٥	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ... ﴾	-٤٣
٩١	٩٣	﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ... ﴾	-٤٤
٦٧	١١٩-١١٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ... ﴾	-٤٥
١٦	١٢٦-١٢١	﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ... ﴾	-٤٦
١٧	١٣٩	﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	-٤٧
١٧	١٦٩	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا... ﴾	-٤٨
١٦	١٧٢	﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾	-٤٩
١٩٦	١٩٣	﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا... ﴾	-٥٠
١٦	٢٠٠	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	-٥١
سورة النساء			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٨٤ ، ١٥	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾	-٥٢
١٦	١	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ... ﴾	-٥٣
١٧	٢	﴿ وَاتَّقُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ... ﴾	-٥٤

١٧	٤	﴿...وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾	-٥٥
١٥٧	٨-٧	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ...﴾	-٥٦
١٧	١١	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ...﴾	-٥٧
١٥٨	١٢-١١	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ...﴾	-٥٨
١٦١	١٢	﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ ...﴾	-٥٩
١٨٢	١٢	﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ...﴾	-٦٠
١٧	١٥	﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ...﴾	-٦١
٨٣	١٨	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ...﴾	-٦٢
١٧	٢٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ...﴾	-٦٣
٢٤١	٢٩	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	-٦٤
٧	٣١	﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ ...﴾	-٦٥
١٨٢	٣٣	﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ ...﴾	-٦٦
١٨٣	٣٥	﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ...﴾	-٦٧
٦٩	٣٧	﴿الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ...﴾	-٦٨
٧	٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ...﴾	-٦٩
٨٣ ، ٨	٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ...﴾	-٧٠
٢٦٦ ، ١٨٣	٤٣	﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ...﴾	-٧١
١٨٣	٤٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ...﴾	-٧٢
١٨٣	٤٣	﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا ...﴾	-٧٣
٥	٤٤	﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾	-٧٤
٢٩٧ ، ٦٨	٤٦	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ...﴾	-٧٥

١١٨، ٧	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ... ﴾	-٧٦
٦٩	٥٠-٤٩	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ... ﴾	-٧٧
٦٩	٥١	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾	-٧٨
١١٨	٥٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا ... ﴾	-٧٩
١٤٤	٥٧	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي ... ﴾	-٨٠
١٤٣، ١٧، ٦، ٢١٢	٥٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ... ﴾	-٨١
٢١٢، ١٤٣	٥٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ... ﴾	-٨٢
٧	٦٤	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ... ﴾	-٨٣
١١٨	٧٦	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ... ﴾	-٨٤
١٦	٨٨	﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا ... ﴾	-٨٥
١٨٢	٩٠	﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ... ﴾	-٨٦
١٨٢	٩٢	﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ ... ﴾	-٨٧
١٤٤	٩٥	﴿ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ... ﴾	-٨٨
٢٦٤	١٠٣	﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾	-٨٩
١٦	١٠٤	﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ ... ﴾	-٩٠
١٨٣	١٠٥	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ... ﴾	-٩١
٧	١١٠	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ... ﴾	-٩٢
٣٨	١٤٠	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾	-٩٣

٣٨ ، ٣٥	١٤٨	﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ... ﴾	-٩٤
٤٩ ، ٤٤	١٥٢-١٥٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا... ﴾	-٩٥
٤٧ ، ٤٤	١٥٢	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا... ﴾	-٩٦
٧٣ ، ٥٩ ، ٥٤	١٥٣	﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا... ﴾	-٩٧
٦٣ ، ٦٠ ، ٥٤	١٥٤	﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا... ﴾	-٩٨
٧٥ ، ٦٨ ، ٦٥ ١٨١	١٥٥	﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقْتَلْتُمْ الْأَنْبِيَاءَ... ﴾	-٩٩
٦٥	١٥٦-١٥٥	﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْتُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقْتَلْتُمْ الْأَنْبِيَاءَ... ﴾	-١٠٠
٥٤	١٥٦-١٥٣	﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا... ﴾	-١٠١
٦٦ ، ١٦	١٥٦	﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾	-١٠٢
١٧	١٥٨-١٥٧	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ... ﴾	-١٠٣
٧٣	١٥٩-١٥٧	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ... ﴾	-١٠٤
٨١	١٥٩	﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ... ﴾	-١٠٥
٨٥	١٦٢-١٦٠	﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ... ﴾	-١٠٦
١٨	١٦٢	﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ... ﴾	-١٠٧
٩٨	١٦٣	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ... ﴾	-١٠٨
١٠٢	١٦٥	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ... ﴾	-١٠٩
١١٣	١٦٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا... ﴾	-١١٠

١١٣	١٦٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ... ﴾	-١١١
١١٩	١٧٠	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴾	-١١٢
١٢٥	١٧١	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا... ﴾	-١١٣
١٢٣	١٧١-١٧٢	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ... ﴾	-١١٤
١٢٥	١٧١	﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ... ﴾	-١١٥
١٣٦	١٧١	﴿ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ... ﴾	-١١٦
١٢٣	١٧٢	﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ... ﴾	-١١٧
١٣٦	١٧٢	﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ... ﴾	-١١٨
١٣٧	١٧٣	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ... ﴾	-١١٩
١٤٨	١٧٣	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا... ﴾	-١٢٠
١٤٨ ، ١٣٧	١٧٣	﴿... فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	-١٢١
١٤٥	١٧٤-١٧٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ... ﴾	-١٢٢
١٥٤ ، ١٥٢	١٧٦	﴿... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	-١٢٣
١٦٠	١٧٦	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ... ﴾	-١٢٤
١٥٢	١٧٦	﴿ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ... ﴾	-١٢٥
١٥٢	١٧٦	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ... ﴾	-١٢٦
١٥٧	١٧٦	﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ... ﴾	-١٢٧
سورة المائدة			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٦٦	١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ... ﴾	-١٢٨

١٩٠	٢	﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا...﴾	-١٢٩
١٩٩، ١٩١	٢	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾	-١٣٠
١٩٩، ١٩١	٢	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾	-١٣١
١٧٤، ١٧٣ ١٧٧، ١٧٥ ٢٣٤، ١٧٨ ٢٤٢	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾	-١٣٢
٢٢٨، ٢٠٢ ٢٣٤، ٢٣١ ٢٥٨	٣	﴿وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ...﴾	-١٣٣
٢٠٢، ١٧٣ ٢٣١، ٢٢٨ ٢٣٤	٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...﴾	-١٣٤
٢٣١، ٢٢٨ ٢٤١، ٢٣٤	٣	﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ...﴾	-١٣٥
٢٢٦، ٢٢٣ ٢٣٧، ٢٢٩	٣	﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ...﴾	-١٣٦
١٧٣	٥-٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾	-١٣٧
٢٤١	٤، ٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ...﴾	-١٣٨

٢٤٣، ٢٤٢ ٢٥٢، ٢٤٦	٥	﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ...﴾	-١٣٩
٩٥	٥	﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ...﴾	-١٤٠
٢٦٢	٦	﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ...﴾	-١٤١
٢٦٢	٦	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ...﴾	-١٤٢
٢٦١	٧-٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا...﴾	-١٤٣
١٧٥، ١٦٧ ٢٧٠	٧	﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ...﴾	-١٤٤
١٦٩، ١٢٦ ٢٨١، ٢١٦ ٢٩٠	٨	﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...﴾	-١٤٥
٢٠٦	٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ...﴾	-١٤٦
٢٨١	١١-٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...﴾	-١٤٧
٢٨٤، ٢٠٦ ٢٩٣	١١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	-١٤٨
١٨٩، ١٧٥ ٢٩٦، ٢٩٢ ٣٠٢	١٢	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ...﴾	-١٤٩
٢٩٢	١٦-١٢	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾	-١٥٠
٢٩٥، ٢٩٤ ٣٠٥، ٢٩٧	١٣	﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً...﴾	-١٥١

٢٩٨، ١٧٥	١٤	﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا... ﴾	-١٥٢
٢٩٤، ٢٠٨ ٣٠٩، ٢٩٩	١٥	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ... ﴾	-١٥٣
٣٠٩، ٣٠٠	١٦	﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... ﴾	-١٥٤
٣٢١، ٣١٨	١٧	﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ... ﴾	-١٥٥
٣٢١	١٧	﴿ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يُخْلِقُ مَا يَشَاءُ... ﴾	-١٥٦
٣١٥	١٧-١٩	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ... ﴾	-١٥٧
٦٨	١٨	﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... ﴾	-١٥٨
٣٢٣، ٣١٥	١٨	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... ﴾	-١٥٩
٣١٦، ٢٠٨	١٩	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ... ﴾	-١٦٠
٣٢٨	٢٠-٢٦	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴾	-١٦١
٣٢٩	21	﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ... ﴾	-١٦٢
١٦٨	٢٣	﴿...فَأَيْنَكُم عَالِيُونَ... ﴾	-١٦٣
٣٣٥، ٣٣٠	٢٣	﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا... ﴾	-١٦٤
٣٤٢، ٣٣٦	٢٤	﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا... ﴾	-١٦٥
٣٣٥، ٣٣٠	٢٥	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ... ﴾	-١٦٦
٣٣٧، ٣٣٦	٢٦	﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ... ﴾	-١٦٧
٢١٨	٢٧	﴿ وَاتُّلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا... ﴾	-١٦٨
١٧٧	٢٧-٣٠	﴿ وَاتُّلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا... ﴾	-١٦٩
١٧٨	٣٢	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا... ﴾	-١٧٠

١٧٩، ١٧٠	٣٣	﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾	- ١٧١
٢٠٦	٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ... ﴾	- ١٧٢
٢٠٨	٤١	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ... ﴾	- ١٧٣
٢٩٥	٤١	﴿ يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ... ﴾	- ١٧٤
٦٩	٤٢	﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ... ﴾	- ١٧٥
٢٨٣	٤٢	﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾	- ١٧٦
١١٥	٤٤	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	- ١٧٧
١٨١	٤٥	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	- ١٧٨
٣١١، ٥٠	٤٨	﴿ ... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾	- ١٧٩
٣١	٤٨	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾	- ١٨٠
٢٠٦، ٦٦، ٤١	٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ... ﴾	- ١٨١
٢٠٧، ١٧٨	٥٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ... ﴾	- ١٨٢
٢٠٧	٥٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا ... ﴾	- ١٨٣
٢٠٨	٥٩	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾	- ١٨٤
٢٠٨، ١٢١، ٢٨٩	٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... ﴾	- ١٨٥
٢٠٨	٦٨	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ ... ﴾	- ١٨٦
١٧٥	٧٠	﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ... ﴾	- ١٨٧
٣١٨، ٣١٥	٧٢	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ ... ﴾	- ١٨٨
٣٢٣	٧٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ... ﴾	- ١٨٩

٢٠٨	٧٧	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ...﴾	١٩٠-
٢٠٧	٨٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ...﴾	١٩١-
١٨١، ١٧٩، ٢٠٧	٩٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ...﴾	١٩٢-
٢٠٧	٩٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ...﴾	١٩٣-
١٩٣	٩٧	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ...﴾	١٩٤-
١٧٧	٩٩	﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾	١٩٥-
٢٠٧	١٠١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ...﴾	١٩٦-
٢٠٧	١٠٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ...﴾	١٩٧-
٢٠٧	١٠٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...﴾	١٩٨-
٨٢	١١٧	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾	١٩٩-
١٨٣	١١٨-١١٩	﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ...﴾	٢٠٠-
١٨٢	١١٩	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ...﴾	٢٠١-
١٨٣، ١٨٢	١٢٠	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٠٢-
سورة الأنعام			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٨٢	١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ...﴾	٢٠٣-
٦١	٧	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ...﴾	٢٠٤-
١٤٣	٤٨	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾	٢٠٥-

٧٩	٦٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ... ﴾	-٢٠٦
١٥١	٩٠	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهِ ... ﴾	-٢٠٧
١٣٣	١٠١	﴿ يَدْبِعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ... ﴾	-٢٠٨
٢٥٣	١٢١	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ... ﴾	-٢٠٩
٩٩	١٢١	﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ... ﴾	-٢١٠
١٩١	١٤٤-١٤٢	﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ مِّمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ... ﴾	-٢١١
١٩١	١٤٣	﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... ﴾	-٢١٢
١٩٠	١٤٥	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ... ﴾	-٢١٣
٢٣٧، ٢٢٩	١٤٥	﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	-٢١٤
٩١	١٤٦	﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ... ﴾	-٢١٥
١٩	١٤٩	﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	-٢١٦
سورة الأعراف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٧	٤٥	﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ... ﴾	-٢١٧
١٤٦	٨٦	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ ... ﴾	-٢١٨
٢١٢	٩٦	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ ... ﴾	-٢١٩
٦٢	١٣٨	﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ... ﴾	-٢٢٠
٦٢	١٤٨	﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ... ﴾	-٢٢١
٦٢	١٥٢	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيُتَاَهُمُ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ... ﴾	-٢٢٢

٢٤١	١٥٧	﴿ وَيُلْهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ... ﴾	-٢٢٣
١٢٠	١٥٨	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... ﴾	-٢٢٤
١٠٠	١٦٠	﴿ وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمَمًا... ﴾	-٢٢٥
٦٤	١٦٦-١٦٣	﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... ﴾	-٢٢٦
٦٣	١٧١	﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ... ﴾	-٢٢٧
٢٠٩	١٧٤-١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ... ﴾	-٢٢٨
سورة الأنفال			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٥١	٤-٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾	-٢٢٩
١٠٠	١٢	﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيَّ مَعَكُمْ... ﴾	-٢٣٠
٢٩٥	١٦	﴿ وَمَنْ يُؤْمَرْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ... ﴾	-٢٣١
٢١٢	٢٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا... ﴾	-٢٣٢
٣٠٥	٥٦	﴿ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ... ﴾	-٢٣٣
سورة التوبة			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٢٠، ٢١٥	٥	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ... ﴾	-٢٣٤
٢٢٠، ٢١٥	٥	﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ... ﴾	-٢٣٥
٢١١، ٢٠٢	٢٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ... ﴾	-٢٣٦
٦٨	٣٠	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ... ﴾	-٢٣٧
١٣١	٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾	-٢٣٨

١٤٦	٣٢	﴿... وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	-٢٣٩
٢١	٤٢	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ...﴾	-٢٤٠
٢٦٢	١٠٣	﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾	-٢٤١
سورة يونس			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩٠	١٣	﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا...﴾	-٢٤٢
١٩٢	٣٥	﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي...﴾	-٢٤٣
١٤٠	٥٨	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ...﴾	-٢٤٤
٢١٥	٥٩-٦٠	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا...﴾	-٢٤٥
سورة هود			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٠٣	٥٠	﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾	-٢٤٦
٧٦	٨٧	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾	-٢٤٧
سورة يوسف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٦٢	٢	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	-٢٤٨
٢٩٥	٥٢	﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾	-٢٤٩
١٢٤	٨٧	﴿وَلَا تَيْسَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْسَّسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ...﴾	-٢٥٠
سورة الرعد			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٣٦	١٠	﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾	-٢٥١

١٨٨	٢٥	﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ... ﴾	-٢٥٢
٥٢	٢٦	﴿ اللَّهُ يُسِطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا ... ﴾	-٢٥٣
سورة إبراهيم			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٢٠	٨	﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ... ﴾	-٢٥٤
سورة الحجر			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٧٧،٧٦	٦	﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	-٢٥٥
١٢٠	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	-٢٥٦
١٣٢	٢٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾	-٢٥٧
سورة النحل			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٩١	٧-٥	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ... ﴾	-٢٥٨
٢١	٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ... ﴾	-٢٥٩
٥٢	٣٠	﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ... ﴾	-٢٦٠
١٠٣،٢٣	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴾	-٢٦١
٩٩	٦٨	﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ... ﴾	-٢٦٢
١٩١	٨٠	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ ... ﴾	-٢٦٣
٣١٢	٨٩	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ... ﴾	-٢٦٤
٤٦	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ... ﴾	-٢٦٥

٢١٥	١١٧-١١٦	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ...﴾	-٢٦٦
سورة الإسراء			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٧٤	١	﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾	-٢٦٧
٣٤٤	٩-٤	﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ...﴾	-٢٦٨
١٠٤	١٥	﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	-٢٦٩
٢٠٣	٢٠	﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾	-٢٧٠
سورة الكهف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٣	١٠٤	﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	-٢٧١
١٤٣	١٠٨-١٠٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا...﴾	-٢٧٢
سورة مريم			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٩٩	١١	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا...﴾	-٢٧٣
٦٦	٢٨-٢٧	﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا...﴾	-٢٧٤
٣١٩	٣٢-٢٩	﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	-٢٧٥
٣٢٤	٣٠	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا...﴾	-٢٧٦
٢١٢	٦٣	﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾	-٢٧٧
٢١٢	٧١	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾	-٢٧٨

سورة طه			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٩-	﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾	٧	٣٦
٢٨٠-	﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾	٥٠	٢٩٧
٢٨١-	﴿ وَلَا صَلْبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ... ﴾	٧١	٧٤
٢٨٢-	﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ... ﴾	٨٣-٩١	٦٢
٢٨٣-	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ... ﴾	١٢٤	١١٦
٢٨٤-	﴿ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا ... ﴾	١٣٤	١٠٨
سورة الأنبياء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٨٥-	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	٢٥	٣١٧، ١٠٣
٢٨٦-	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ... ﴾	٢٦-٢٨	١٣٤
٢٨٧-	﴿ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ... ﴾	٤٠	٥٨
٢٨٨-	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا ... ﴾	٧٣	٢٩٥
٢٨٩-	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ ... ﴾	٧٣	٨٧
٢٩٠-	﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ... ﴾	٩٠	٣١٢
٢٩١-	﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾	٩١	٢٤٤، ١٣٢
٢٩٢-	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٢٢

سورة الحج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٣-	﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾	٣٢	٢٢٠
٢٩٤-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	٣٨	١٤٣
٢٩٥-	﴿ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ... ﴾	٤٠	٢٦٢
٢٩٦-	﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٧٤	٥٤
٢٩٧-	﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... ﴾	٧٨	٢٧٦
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩٨-	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ... ﴾	٥-٦	١٤٢
٢٩٩-	﴿ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾	٧	٦١
٣٠٠-	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ... ﴾	١٢-١٣	١٤٧
٣٠١-	﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّرَاطِ لَنَّا كِئُونَ ﴾	٧٤	١٤٦
سورة النور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٢-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	١٩	٣٩
٣٠٣-	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ... ﴾	٣٩	١١٥، ٤٦
٣٠٤-	﴿... وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا... ﴾	٥٤	٣٠١
سورة الفرقان			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٥-	﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾	٢٤	٢٨٧

سورة الشعراء			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٦-	﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ...﴾	١٨٢	٢٨٣
سورة القصص			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٠٧-	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...﴾	٧	٩٩
٣٠٨-	﴿عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	٢٢	٢٩٥
٣٠٩-	﴿...أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾	٢٩	٥٧
٣١٠-	﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾	٥٩	٩٠
٣١١-	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...﴾	٨٨	١٥٣
سورة الروم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٢-	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	٧	٩٥
٣١٣-	﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ...﴾	١٠	٣٦
سورة لقمان			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٤-	﴿...إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	١١٥
سورة السجدة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٥-	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾	١٢	١١٦
٣١٦-	﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا...﴾	١٥	١٤١

سورة الأحزاب			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٧-	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾	٢١	١٠٥
٣١٨-	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... ﴾	٥٦	٢٦٢
سورة سبأ			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٩-	﴿ وَلِسَلْيَانَ الرَّيْحِ غُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ... ﴾	١٢	١٢٤
سورة فاطر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢٠-	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا... ﴾	٢٤	١٠٨
٣٢١-	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ... ﴾	٢٨	٣٣٠
٣٢٢-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا... ﴾	٢٩	٤٠
٣٢٣-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا... ﴾	٤١	١٥٤
٣٢٤-	﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ... ﴾	٤٤	٨١
سورة يس			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢٥-	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	٨٢	١٣١
سورة الصافات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢٦-	﴿ ... مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾	٢٣	١٩٢، ١٤٦
٣٢٧-	﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾	٩٩	٨٠

سورة ص			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢٨-	﴿ اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾	٤٢	٢٦٣
سورة الزمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢٩-	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ ... ﴾	٤٢	٧٩
٣٣٠-	﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ... ﴾	٦٠	١١٨
٣٣١-	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾	٦٨	٥٦
٣٣٢-	﴿ ... وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٧٥	١٨٣
سورة غافر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣٣-	﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾	٧	١٤٣
٣٣٤-	﴿ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ... ﴾	٣٤	١٥٣
٣٣٥-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	٦٠	١٤٠
سورة فصلت			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٣٦-	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ... ﴾	٥	٦٥
٣٣٧-	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ... ﴾	١٧	١٩٢
٣٣٨-	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ ... ﴾	٢٦	١١٥

١٤٨	٥٣	﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾	-٣٣٩
سورة الشورى			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٠٤	١٣	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾	-٣٤٠
١٤٢	٣٨	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ...﴾	-٣٤١
٤٢،٤١	٤٠	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ...﴾	-٣٤٢
٣٩	٤١	﴿وَلَمَنِ اتَّقَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾	-٣٤٣
١٠٨	٥١	﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا...﴾	-٣٤٤
سورة الدخان			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٢٤	٤٤-٤٦	﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ...﴾	-٣٤٥
سورة الجاثية			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٢٧	١٣	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...﴾	-٣٤٦
٢٤٢	٢١	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ...﴾	-٣٤٧
سورة الأحقاف			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١١٦	٣	﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾	-٣٤٨
١١١	٩	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي...﴾	-٣٤٩

سورة محمد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٠-	﴿ سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾	٢٩	٥٧
سورة الحجرات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥١-	﴿ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ... ﴾	١١	٢٨٢
٣٥٢-	﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ... ﴾	١٢	٧٩
سورة ق			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٣-	﴿ فَتَنْقَبُوا فِي الْبِلَادِ ... ﴾	٣٦	٢٩٤
سورة الذاريات			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٤-	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * أَحْذِينَ مَا آتَاهُمْ ... ﴾	١٥-١٨	١٤١
سورة الطور			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٥-	﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾	٢٨	١٩٣
سورة النجم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٦-	﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾	٣٦-٣٧	١٣٧
سورة القمر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٧-	﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾	٤٦	١٧٣

سورة الرحمن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٨-	﴿ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴾	٦	٥٨
سورة الحديد			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٥٩-	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ... ﴾	٤	٨١
٣٦٠-	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ... ﴾	١٦-١٧	٣١٢
سورة الحشر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦١-	﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ... ﴾	٧	١٥٩
٣٦٢-	﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ... ﴾	١٤	٦٩
سورة الممتحنة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦٣-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ... ﴾	١	٢٥٩، ٤١
٣٦٤-	﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ... ﴾	٨-٩	٩٤
سورة الصف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦٥-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا... ﴾	٤	٣١٢
٣٦٦-	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ... ﴾	٥	١١٦
٣٦٧-	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ... ﴾	٦	٣١٧
٣٦٨-	﴿ فَأَمَّا تَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾	١٤	٧٨

سورة التغابن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦٩-	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ... ﴾	١٠	١١٧
سورة الطلاق			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٠-	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا... ﴾	٢	٢١٢
٣٧١-	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾	٤	٢١٢
سورة التحريم			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٢-	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ... ﴾	١٢	١٣٢
٣٧٣-	﴿ فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوْحِنَا... ﴾	١٢	١٣٢
سورة الحاقة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٤-	﴿ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾	٢٩	١٥٣
٣٧٥-	﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ... ﴾	٤٤-٤٧	١٢١
سورة المعارج			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٦-	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا... ﴾	١٩-٢٢	٦٤
٣٧٧-	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾	٣٢	١٤٢
٣٧٨-	﴿ كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفُضُونَ ﴾	٤٣	٢٢٥
سورة الجن			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٧٩-	﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا... ﴾	١	٣١٠
٣٨٠-	﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾	٨	٢٦٣

٢٦٣	١٧	﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	-٣٨١
سورة الطارق			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٧٥	٧	﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	-٣٨٢
سورة الأعلى			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٠٥	١٩-١٤	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى...﴾	-٣٨٣
سورة الليل			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٩٥	١٢	﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾	-٣٨٤
سورة التين			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
١٧٨	٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	-٣٨٥
سورة البينة			
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
٢٥٥	١	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾	-٣٨٦
١٤١	٥	﴿وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾	-٣٨٧

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	وردود الحديث	الصفحة
١-	... وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل	صحيح مسلم	٢٥٩
٢-	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة	الأدب المفرد - البخاري	٩١
٣-	اتقوا الله ولو بشق تمره	صحيح البخاري ومسلم	٢١٢
٤-	أحل لكم ميتتان ودمان	سنن ابن ماجه	٢٣١
٥-	آخر سورة نزلت سورة المائدة	المستدرک علی الصحيحين	١٧٢
٦-	أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك	صحيح البخاري	٢٢٣
٧-	إذا أرسلت كلبك وسميت فأخذ، فقتل فكل	صحيح مسلم	٢٤٩
٨-	إذا التقى الختانان وجب الغسل	موطأ مالك، ومسنند أحمد	٢٧٦
٩-	إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ثم لينثر	سنن أبي داود	٢٧٥
١٠-	إذا دبغ الإهاب فقد طهر	صحيح مسلم	٢٣٢
١١-	إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب	صحيح مسلم	٢٦٣
١٢-	إذا رميت بالمعراض فخرق فكله	صحيح مسلم	٢٣٣
١٣-	اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس	فيض القدير شرح الجامع الصغير - تاج الدين بن زيد العابدين	٣٨
١٤-	اشتد غضبي على من ظلم	المعجم الصغير - الطبراني	٩١
١٥-	أعطيت مكان التوراة السبع	شعب الإيمان للبيهقي	٣
١٦-	اقرأ عليّ قلت: اقرأ عليك، وعليك أنزل	صحيح البخاري	٧

٢٥٨	المستدرک علی الصحيحين	ألا أخبركم عن خير ما يکنز المرء، المرأة الصالحة	-١٧
٧٥	صحيح البخاري	ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش	-١٨
١٥٩	صحيح البخاري	ألقوا الفرائض بأهلها، فما تركت الفرائض فالأولى	-١٩
٢٨٩	مسند أحمد	أن الرسول ﷺ كان نائماً وهم قادمون من غزوة وسيفه معلق على الشجرة	-٢٠
٢٣١	شرح السنة، البغوي	إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير	-٢١
٢٣٩	مسند أحمد	إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه	-٢٢
٣٥	سنن الترمذي	أن رجلاً نال من أبي بكر الصديق والنبي ﷺ حاضر	-٢٣
٣٥	جامع البيان - الطبري	أن ضعيفاً تضيف قوماً فأساءوا قراه	-٢٤
٢٥٥	صحيح البخاري	إننا بأرض قوم من أهل الكتاب نأكل في آنيتهم	-٢٥
٢٢٢	صحيح البخاري	أنا فتلت قلائد هدي رسول الله بيدي	-٢٦
١٧٣	مسند أحمد	أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته	-٢٧
٢١٨	صحيح البخاري	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	-٢٨
٢٧٥	صحيح البخاري	إنما الأعمال بالنيات	-٢٩
٢٧٦	صحيح مسلم	إنما الماء من الماء	-٣٠
٢٧٥	شرح السنة للبغوي	إنما هو بضعة منه، أو مضغة منه	-٣١
٢٧٥	صحيح البخاري ومسلم	أنه بال ثم توضأ، ومسح على خفيه	-٣٢
٢٧٤	صحيح مسلم	أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء	-٣٣
٤٠	سنن أبي داود	أنها سرق لها شيء فجعلت تدعو عليه	-٣٤
٢٤٩	صحيح مسلم	إنني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب	-٣٥
٢٣٧	صحيح البخاري	أني النبي ﷺ لما رأى الصورة في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحييت	-٣٦

١٠٨	مسند أحمد	إني خاتم ألف نبي أو أكثر وما بعث الله نبي يتبع	-٣٧
١٧٤	صحيح البخاري	إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير	-٣٨
١٧٣	مسند أحمد	إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ	-٣٩
٢٨٨	صحيح البخاري	إني نحتت ابني هذا غلاماً، فقال أكل ولدك نحتت مثله ..	-٤٠
٨٠	صحيح البخاري	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	-٤١
١٦٧	المستدرك على الصحيحين	تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة	-٤٢
٢٧٧	المستدرك على الصحيحين	التيمة ضربتان، ضربة للوجه، وضربة لليدين إلى المرفقين	-٤٣
١٧٢، ١٧٤	المستدرك على الصحيحين	حجبت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت لي يا جبير: تقرأ المائدة؟ فقلت نعم	-٤٤
٢١٢	صحيح البخاري ومسلم	الحلال بين والحرام بين وبينهما شبهات	-٤٥
٢٢٣	الطبراني	الدال على الخير كفاعله	-٤٦
١٠٠	جامع البيان - الطبري	دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود فقال لهم: إني والله	-٤٧
١٩١	سنن أبي داود	زكاة الجنين زكاة أمه	-٤٨
٢٣٥	فتح الباري، ابن حجر العسقلاني	الزكاة في الحلق واللثة	-٤٩
٢٦٢	صحيح البخاري	سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون بالمدينة	-٥٠
٢٥١	صحيح مسلم	عليكم بالأسود البهيم ذي النقطنين فإن شيطان	-٥١
١٥٤	صحيح البخاري	عن البراء رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء	-٥٢
١٥٣	صحيح مسلم	عن جابر رضي الله عنه قال: سألت وعندي سبع أخوات	-٥٣
٢٧٨	صحيح مسلم	غسل الجمعة واجب على كل محتلم	-٥٤

٢٧٢	مسند أحمد	فلما كان يوم فتح مكة توضع ومسح على خفيه	٥٥-
٢٤٩	صحيح البخاري ومسلم	قلت يا رسول الله إني أرسل كلبتي وأسمي عليه	٥٦-
٦٥	صحيح البخاري	قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقلوا حطة	٥٧-
٢٣٧	صحيح البخاري ومسلم	كان الرسول يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها	٥٨-
١٩١	صحيح مسلم	كل ذي ناب من السباع فأكله حرام	٥٩-
٢٢٥	كنز العمال، تفسير الجلالين	كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر منها لحم ميتة ..	٦٠-
٢٧٢	مسند أحمد	كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث	٦١-
٨٤	صحيح البخاري	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم	٦٢-
١٥٩	صحيح مسلم	لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلاله فأراحت	٦٣-
٢٤٥	مسند أحمد	لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين	٦٤-
٨٤	مسند أحمد	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين	٦٥-
٣٤٣	صحيح البخاري	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٦٦-
٢٥٦	سنن أبي داود ومسند أحمد	لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي	٦٧-
١٢٩، ١٣٢	صحيح البخاري	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٦٨-
٢٢٤	موطأ مالك، سنن ابن ماجه	لا ضرر ولا ضرار	٦٩-
١٥٩	صحيح البخاري	لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم	٧٠-
٢٧٢	صحيح البخاري	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ	٧١-
٢٥٧	مسند أحمد وسنن أبي داود	لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله	٧٢-

٢٣٢	صحيح البخاري	لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحملوها وباعوها ...	-٧٣
٧٩	المستدرک علی الصحيحين	لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج إلى أصحابه وفي البيت	-٧٤
٢٦٣	المعجم الكبير، الطبراني	لما كان من أمر عقدي ما كان	-٧٥
١٤١	صحيح البخاري	لن يدخل أحداً عمله بالجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله ...	-٧٦
٤٠	صحيح البخاري وصحيح مسلم	اللهم اشدد وطأتك على مضر	-٧٧
٢١٤	صحيح مسلم	اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى	-٧٨
١٠٨	صحيح مسلم	لو رأيتي البارحة وأنا أستمع لقراءتك	-٧٩
٢٥١	صحيح مسلم	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها	-٨٠
١١٥	سنن أبي داود	لولا أن الله لا يحب ضلالة نمل ما زريناكم عقلاً	-٨١
١٠٩	صحيح البخاري - صحيح مسلم	ليس أحد أحب إليه المدح من الله ﷻ	-٨٢
٢٣٣	صحيح البخاري ومسلم	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه	-٨٣
٦، ٣، ١٧٤	صحيح البخاري	ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده	-٨٤
٤٣	صحيح مسلم	ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو	-٨٥
٢٥٠	صحيح مسلم	ما يصاد بالبزة وغيرها من الطير فما أدركت ذكاته فهو حلال	-٨٦
٣٩	الأدب المفرد - البخاري	المستبان ما قالوا فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم	-٨٧
٢٦١	مسند أحمد	مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور	-٨٨
٨٤، ٨٢	صحيح البخاري	من أحب لقاء الله أحب لقاءه	-٨٩

٧	مسند أحمد	من أخذ السبع الأول فهو حبر	-٩٠
٢٥٨	صحيح البخاري ومسلم	من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية	-٩١
٢٥٠	سنن أبي داود	من اقتنى كلباً ليس كلب صيد ولا ماشية ولا أرض	-٩٢
١٤٣	صحيح البخاري	من آمن بالله ورسله وأقام الصلاة وصام رمضان	-٩٣
١٥٨	صحيح البخاري	من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلاً فالينا	-٩٤
٢٧٨	المستدرک علی الصحيحين	من خاف أدلج، ومن أدلج بلغة المنزلة	-٩٥
٢١٧	صحيح مسلم	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	-٩٦
٢١٧	صحيح مسلم	من دل على خير فله مثل أجر فاعله	-٩٧
١٣٢	صحيح البخاري	من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله	-٩٨
١٢٩	صحيح البخاري	من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له	-٩٩
٢١٢	صحيح البخاري ومسلم	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	-١٠٠
١٩٠	صحيح مسلم	نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب فأكله حرام	-١٠١
٢٧٣	مسند الشافعي	هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ	-١٠٢
٢٣٠	مسند أحمد، سنن أبي داود	هو الطهور ماؤه، الحل ميتته	-١٠٣
٨٣	صحيح البخاري	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً...	-١٠٤
٢٦٤	صحيح مسلم	ويل للأعقاب من النار	-١٠٥
٢٣٨	مسند أحمد	يا رسول الله إنا بأرض تصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا بها الميتة	-١٠٦
٢٣٧	صحيح البخاري	يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾	-١٠٧
٩٠	صحيح مسلم	يا عباد إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً	-١٠٨
٩٨	جامع البيان - الطبري	يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء	-١٠٩

٥١	صحيح البخاري	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله	-١١٠
٢٥٠	صحيح مسلم	يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود	-١١١

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لها

م	العلم	الصفحة
-١	ابن الفرس	١٥١
-٢	ابن عاشور	٢١
-٣	ابن عامر	٢٤٤
-٤	ابن منظور	٣٠
-٥	أبو السعود	٢٧١
-٦	أبو حيان	١٥٠
-٧	الألوسي	٦٠
-٨	أوس بن أوس	٢٤٥
-٩	البقاعي	٤
-١٠	حفص	٢٤٤
-١١	الخازن	١٣٤
-١٢	خلف	٢٤٤
-١٣	الرازي	٣٤
-١٣	الزركشي	١٢
-١٤	الزمخشري	٦٢
-١٥	السعدي	٨٠
-١٦	الشوكاني	٢٣٤
-١٧	الفيروز آبادي	٣
-١٨	القاسمي	٢٠٠
-١٩	القرطبي	٥٦
-٢٠	محمد دراز	٢٥

٥	محمود شلتوت	-٢١
١٣٩	المراغي	-٢٢
٦	النحاس	-٢٣
٢٧١	النيسابوري	-٢٤

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم.
١. إيتقان البرهان في علوم القرآن، للدكتور فضل عباس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م.
 ٢. الإيتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر، مجمع الملك فهد، السعودية، ط١.
 ٣. الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، ١٩٩٨م.
 ٤. الأحاديث والآثار الواردة في فضائل سور القرآن الكريم، دراسة ونقد، للدكتور: إبراهيم علي السيد عيسى، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، دار السلام، مصر، القاهرة.
 ٥. أحكام القرآن، لابن العربي، أبو بكر بن العربي، المحقق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
 ٦. أحكام القرآن، للشافعي، أحمد بن الحسين بن علي الخسروجدي، (ت: ٤٥٨)، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
 ٧. أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي المعروف بالكنيا الهراسي، (ت: ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي، عزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
 ٨. الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
 ٩. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، قاضي القضاة الإمام أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 ١٠. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
 ١١. أساس البلاغة، للإمام جار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت.
 ١٢. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.
 ١٣. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

١٤. الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١ / ١٤٢١هـ.
١٥. الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين، ط٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١٦. أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، أ.د. محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة، عمان، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
١٧. أصول الفقه، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
١٨. أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، داود علي القاضي، رسالة دبلوم الدراسات العليا، مطبعة المعارف، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، بدون طبعة.
١٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.
٢٠. أضواء على المسيحية، رؤوف شلبي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون رقم طبعة، ١٩٧٥م.
٢١. إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (ت: ١٤٠٢هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، دار اليمامة، دمشق، ط٤، ١٤١٥هـ.
٢٢. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد النحوي، المتوفي ٢٨٨هـ، وضع حواشيه وعلق عليه، عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٣. أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي،
٢٤. إعلام ذوي الأفتدة بأحكام سورة المائدة، عبد العظيم بدوي، القاهرة، دار ابن رجب، دار الفوائد، ط١.
٢٥. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٢، ١٩٩٧م.
٢٦. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، راجعه: محمد البلقاجي، دار التراث العربي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.
٢٧. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، تأليف الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، تعليق وضبط وتخريج د. محمد محمد تامر، كلية دار العلوم.
٢٨. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء عبد الله ابن الحسين ابن عبد الله العكبري، (ت: ٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي، البيضاوي، (ت: ٦٨٥هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان-١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٠. الأهداف السلوكية، د. مهدي محمود سالم، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
٣١. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتب.
٣٢. أهمية علم المقاصد، د. محمد بن عبد العزيز الخضير، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن.
٣٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٤. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، بدون طبعة، دار عمر بن الخطاب.
٣٥. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار النشر، دار الفكر العربي.
٣٦. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٣٧. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الإمام محمد بن رشيد القرطبي، ط٨، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، بدار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣٨. بدائع الفوائد، ابن القيم، تحقيق: علي بن محمد العمران، بدون طبعة، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع.
٣٩. البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.
٤٠. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
٤١. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر، عبد الفتاح القاضي، المكتبة المحمدية التجارية، المطبعة العربية.
٤٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٤٣. بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، بدون رقم طبعة، دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٤٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت.
٤٥. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، فضيلة الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي، ط٢، دار الشروق، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٤٦. بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعاً، وبعث به خاتمهم محمداً ﷺ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ط١/١٤١٧-١٩٩٦م.
٤٧. بين علمي أصول الفقه والمقاصد، الشيخ محمد الحبيب الخوجة، المجمع الفقهي، ٦٤، الجيل الشرعية.
٤٨. تاج العروس من جوهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٤٩. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، طبعة دار المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، طبع تحت مراقبة عبد المعيد خان.
٥٠. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي، دار الفكر، مكتبة الخانجي.
٥١. تأويل مشكل القرآن، شرح ونشره: السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٥٢. تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، ط٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان.
٥٣. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥٤. التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي أبو العباس شهاب الدين ابن الهائم، (ت: ٨١٥هـ)، المحقق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٥٥. التحريف والتناقض في الأناجيل، سارة العبادي، ط١، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٥٦. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، للقس الذي أسلم إنسلم تورميديا، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دار العاصمة.
٥٧. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي، (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

٥٨. رسالة الطالب عزات أحمد السويركي، تفسير القرآن العظيم من خلال القراءات العشر المتواترة، تطبيقاً على سورتي النساء والمائدة، إشراف د. مروان محمد أبو راس .
٥٩. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأثري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٦٠. التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة، بدون طبعة، ولا تاريخ نشر.
٦١. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٦٢. تفسير الجلالين، تحقيق ومراجعة فضيلة الشيخ مصطفى الحديدي الطير، مكتبة مصر.
٦٣. التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٦٤. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦٥. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، بدون رقم طبعة، مطبعة أخبار اليوم، راجع أصله وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، بدون تاريخ نشر.
٦٦. تفسير القرآن الحكيم، المشتهر بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنارة، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
٦٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي ببيزون.
٦٨. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٦٩. تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، ٩٨٤/٦، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٧٠. تفسير القرآن الكريم، الإمام الأكبر محمود شلتوت، دار الشروق، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٧١. التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم يونس الخطيب، المتوفى بعد ١٣٩٠هـ، دار الفكر العربي، القاهرة.

٧٢. التفسير الكامل، آي القرآن الكريم، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني الدمشقي، المعروف بابن تيمية، المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق محمد بن عزيمة العمري، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الفكر، لبنان، بيروت.
٧٣. التفسير الكبير مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٧٤. تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر عبد الله السعدي، المتوفى ١٣٧٦هـ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٧٥. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مطبعة البابي الحلبي والأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
٧٦. التفسير المظهري، محمد ثناء الله، المحقق: غلام بني التونسي، مكتبة الرشيدية، الباكستان، ط ١٤١٢هـ.
٧٧. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ط٢، دار المنار، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
٧٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ط٢، دار الفكر للطباعة المعاصرة، دمشق، ١٤١٨هـ.
٧٩. التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة ن علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم،
٨٠. التفسير الميسر، نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٨١. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار النشر، دار الجيل الجديد.
٨٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٨٣. التفسير الوسيط، لمجمع البحوث الإسلامية، الحزب الحادي عشر.
٨٤. التفسير الوسيط، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨٥. تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٨٦. تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري الشافعي، مكة المكرمة، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٨٧. تفسير غرائب القرآن، وרגائب الفرقان، للنيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - ط ١ / ١٤١٦ هـ.
٨٨. تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكورمي، الناشر: دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٨ م.
٨٩. تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن، طبعة حسن حلمي الكتبي ومحمد حسن جمال الحلبي، ١٤١٧ هـ.
٩٠. تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر أن دوزي، (ت: ١٣٠٠ هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، وجمال الخياط.
٩١. تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الحجاج جمال الدين المزني، (ت: ٧٤٢)، تحقيق بشار عواد معروف، للناشر مؤسسة الرسالة، بيروت.
٩٣. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى تحقيق: محمد علي النجار، بدون رقم طبعة، الدار المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م،
٩٤. توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية، لغة وتفسيراً وإعراباً، د. عبد العزيز علي الحربي، دار ابن حزم، الرياض، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٥. التوقيف على مهمات التعارف، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الحدادي ثم المناوي، (ت: ١٠٢١ هـ)، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠.
٩٦. التيسير في القراءات السبع، أبو عمر الداني، (ت: ٤٤٤ هـ)، دار الكتاب العربي بيروت ط ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٩٧. جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري، مكتبة دار البيان، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
٩٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن يزيد بن كثير الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٢١٠ هـ)، المحقق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٩٩. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٠٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر وآخرون، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، دار العاصمة.
١٠١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، شمس الدين، أبي عبد الله محمد بن الشيخ المعروف بابن القيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
١٠٢. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الغماري، مكتبة القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م.
١٠٣. حاشية محي الدين شيخ زاده محمد بن مصلح القوجوي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٠٤. حجة القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حققه وعلق عليه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٠٥. الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٠٦. الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي.
١٠٧. حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، ص١٣٢، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، مكتبة الرشيد، الرياض، وتبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، ط٥، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان.
١٠٨. خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، د. إبراهيم زيد الكيلاني، من منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١، ٢٠٠٤م.
١٠٩. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١١١. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١١٢. دراسات في اليهود والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١١٣. دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة،

١١٤. دراسة في فقه المقاصد بين المقاصد الكلية والنصوص الجزئية، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة.
١١٥. دقائق التفسير، ابن تيمية، جمع وتقديم وتحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١١٦. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع.
١١٧. الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية، عبد الشكور محمد أمان عبد الكريم، رسالة ماجستير، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
١١٨. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (ت: ١٤٢٧هـ)، ص ٢٢٤، دار الهلال، بيروت، ط١.
١١٩. رسالة أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سورة المائدة، باسل عمر المجايدة، إشراف أ.د. عبد السلام حمدان اللوح، الإسلام وثقافة الإنسان، سميح عاطف الزين، ط٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١٢٠. الرسالة التبوكية، محمد بن أبي بكر ابن القيم، الأردن، مكتبة المنار، ط٣.
١٢١. رسالة التوحيد، للأستاذ الشيخ محمد عبدو، الجزء الأول.
١٢٢. الرسل والرسالات، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، بدون رقم طبعة.
١٢٣. روائع البيان، تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني،
١٢٤. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، المتوفى ١١٢٧هـ، الناشر: دار الفكر، بيروت.
١٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٢٦. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢٧. زاد المعاد في هدى خير العباد، الإمام الحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزي، (ت: ٧٥١هـ)، دار الفكر، ط٣، ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.
١٢٨. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، (ت: ١٢٩٤هـ)، دار النشر، دار الفكر العربي.

١٢٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للشيخ الإمام محمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: إبراهيم عصر، ط٨، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت.
١٣٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٣١. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض- ط١.
١٣٢. سنن أبي داود، للإمام الحافظ سليمان بن عبد الأشعب السجستاني، (٢٠٢هـ-٢٧٥هـ)، الناشر: دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١٣٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، السلمي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣٤. السنن الكبرى للنسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط.
١٣٥. السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، (ت: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.
١٣٦. السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعارف، (ت: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.
١٣٧. الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، د. صلاح الخالدي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار القلم، دمشق.
١٣٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الجبار بن أحمد ابن العماد الحنبلي، (ت: ١٠٨٩)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط.
١٣٩. شرح أصول العقيدة الإسلامية، د. نسيم شحدة ياسين، مكتبة التقوى، غزة، الشاطيء، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٤٠. شرح الهداية، أبو العباس أحمد بن عمار المهدي، تحقيق ودراسة: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤١٥هـ.
١٤١. شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، (ت: ٤٤٩)، تحقيق: أبوتميم ياسر ابن إبراهيم، مكتب الرشيد السعودية، الرياض.

١٤٢. شعب الإيمان، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أبي مهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤٣. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ نشر.
١٤٤. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار العروبة.
١٤٥. الصحاح، تاج اللغة، وصاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
١٤٦. صحيح ابن حبان، ترتيب ابن بليان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم البستي، (ت: ٢٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٢م.
١٤٧. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٧٣هـ)، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي.
١٤٨. صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
١٤٩. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأذنه وي، (ت: ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح، مكتبة العلوم والحكم-السعودية.
١٥٠. طبقات المفسرين، محمد بن علي شمس الدين الداوودي، (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥١. العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر، ورقة ٥.
١٥٢. العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.
١٥٣. العقائد المسيحية بين العقل والنقل، هاشم جودة، مطبعة الأمانة، بدون رقم طبعة.
١٥٤. عقائد أهل الكتاب، أحمد مختار رمزي، ط١، دار الفتح للدراسات والنشر، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
١٥٥. عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ط٢، مكتبة الإيمان.
١٥٦. علم المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، قسم أصول الفقه، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٥٧. علماء نجد خلال ثمانية قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام، طبعة دار العاصمة.

١٥٨. علوم القرآن، أمير عبد العزيز، ٦٠/٦١، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١٥٩. العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، بدون رقم طبعة ولا تاريخ نشر.
١٦٠. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.
١٦١. غريب الحديث، لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: سعيد اللحام.
١٦٢. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، محمد بن عبد العزيز السجستاني، دار قتيبة، سوريا، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٦٣. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزدي، قدم له وراجعته: أ.د. فتحي حجازي قرظة، أ.د. محمد الشريف، أ.د. كمال العناني، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٦٤. الفائق في غريب الحديث والأثر، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: علي البجادي ومحمد إبراهيم، دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٦٥. الفتاوى الكبرى، للإمام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، بدون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
١٦٧. فتح البيان في مقاصد القرآن، الإمام العلامة الملك المؤيد من الله الباري، أبي الطيب صديق ابن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، ١٣٠٧هـ-١٩٤٨م، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
١٦٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الإمام محمد بن علي محمد الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٦٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حازم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٧٠. فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا.

١٧١. الفواتح الإلهية والمفاتيح العينية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله ابن محمود النخجواني، يعرف بالشيخ علوان، (ت: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، الفورية، مصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٧٢. في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث.
١٧٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
١٧٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١/٢٥٦هـ.
١٧٥. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، (ت: ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر،-بيروت-لبنان.
١٧٦. قبس من نور القرآن، محمد علي الصابوني، ص٧١، مكتبة المدينة، دار الفكر، ١٩٩٧م.
١٧٧. القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة في هامش القرآن الكريم، فكرة علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه، إعداد محمد كريم راجح، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار المهاجر، المدينة المنورة.
١٧٨. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الجيل- بيروت.
١٧٩. القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، إبراهيم بن محمد البريكان، الرياض، دار الهجرة، ط٢، ١٩٩٤م.
١٨٠. قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي عرضاً ودراسة وتحليلاً، د. عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، الأردن، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.
١٨١. كتاب فضل قيام الليل والتهجد، أبو بكر محمد بن الحسن الأجرى، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الجيلاني الأسفي.
١٨٢. كتاب مشكل إعراب القرآن، مكي ابن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٨٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٢٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١٨٤. كشف القرآن لانحرافات أهل الكتاب وإبطالها، رسالة دكتوراه، موسى محمود سعيد، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨٥. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، أبو الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي، حققه وعلق عليه ووضع فهرسه: د. محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م،
١٨٦. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
١٨٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق الإمام محمد عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٨٨. كفايات الأدباء وإرشادات البلقاء، أحمد بن محمد الجرجاني، طبع السعادة بمصر، سنة ١٣٢٦هـ.
١٨٩. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن المعروف بالخازن، (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، والتفسير
١٩٠. لباب النقول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
١٩١. اللباب في علوم الكتاب، أبو جعفر عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٩٢. لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور، (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٩٣. اللقاء بين الإسلام والنصرانية، بين الدكتور أحمد حجازي السقا والأنبا غريغوريوس، بدون رقم طبعة، دار البشير، القاهرة، بدون تاريخ نشر.
١٩٤. لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، محمد بن لطفي الصباغ، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٩٥. الله جلّ واهد أو ثلاثة، منقذ محمود السقار، بدون رقم طبعة ولا تاريخ نشر.
١٩٦. الله طرق إعلانه عن نفسه، عوض سمعان، بدون رقم طبعة ولا تاريخ نشر،
١٩٧. الله واحد أم ثلاث، محمد مجدي مرجان، الذي كان مسيحياً، ط٢، مكتبة الناظفة، ٢٠٠٤م
١٩٨. مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار العلم، دمشق.
١٩٩. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص٥٧، ط١٢، مكتبة وهبة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٠٠. مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، (ت: ٢٠٩هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق: فؤاد سرين، ط ١٢٨١هـ.
٢٠١. مجلة لواء الإسلام، السنة ١٨، العدد ٩، تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد أبو زهرة.
٢٠٢. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٠٣. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، ط ٣، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٠٤. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بناصر السليمان، دار الوطن - ١٤١٣هـ.
٢٠٥. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ت: ١٢٢٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٠٦. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ط ٤، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.
٢٠٧. محبة الرسول بين الإتياع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ.
٢٠٨. المحرر الوجيز، ابن عطية، تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٠٩. محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي، مطبعة التقدم، بدون طبعة.
٢١٠. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتب العصرية الدار النموذجية، بيروت، صيدا.
٢١١. مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، د. حسن عز الدين الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥.
٢١٢. مرقاة المفاتيح لعلي بن سلطان القاري، شرح مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله التريزي، تحقيق جمال الدين عيتاني، ط ١/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢١٣. المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢١٤. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢١٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١٦. المسيحية، أحمد شلبي، ط١٠، ١٩٩٨، مكتبة النهضة المصرية،
٢١٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض بن موسى المالكي، بدون رقم طبعة، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
٢١٨. مشاهير نجد وغيرهم - عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ - إشراف دار اليمامة، ط٢، ١٣٩٤هـ.
٢١٩. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، القيسي، (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٢٠. مصادر النصرانية، عبد الرزاق الألو، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢٢١. مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٢٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المعروف بتفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين ابن مسعودي البغوي، (ت: ٥١٠هـ)، حقق وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٢٣. معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، الدكتور إبراهيم المقادمة، مؤسسة اليم، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٢٤. معالم منهج تركية النفوس في سورة المائدة، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير، وعلوم القرآن، للباحث: وليد خالد الربيع، إشراف أ.د. حاتم محمد مزروعة، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، العام الجامعي: ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٢٢٥. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبدو شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٢٦. معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، عالم الكتب.
٢٢٧. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء، (ت: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.
٢٢٨. معاني النحو، د. فاضل السامرائي، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٢٢٩. معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي البغدادي، بدون رقم طبعة، دار صادر، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٢٣٠. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المتوفى ٣٦٠هـ، تحقيق: محمد شكور محمد الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط/١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٣١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، المتوفى ١٤٢٤هـ، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٣٢. المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٣٣. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي، (ت: ١٤٠٨هـ)، مكتبة المتنبى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية المعاصرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.
٢٣٥. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مطبعة الحلبي، مصر، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٣٦. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٣٧. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد الخطيب الشريني، على متن منهاج الطالبين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار المعرفة للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٣٨. المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة.

٢٣٩. المفاهيم مفاتيح الفهم ومرآيا الحضارة، د. سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، مقال منشور على موقع إسلام أون لاين.
٢٤٠. المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.
٢٤١. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، دار النفائس للنشر والتوزيع.
٢٤٢. مقاصد الشريعة، مجموعة من المؤلفين، حوار مع د. طه جابر العلواني، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٤٣. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، ط٢، ١٩٩٤م.
٢٤٤. مكاييد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٢، دار القلم، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٢٤٥. من أحكام سورة المائدة، د. سعيد بن علي بن وهب القحطاني، مطبعة سفير الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
٢٤٦. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فؤاد أحمد زمزلي، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٢٤٧. منهاج الطالبين وعمدة المتقين، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٢٤٨. موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية.
٢٤٩. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٢٥٠. موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٢٥١. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، مطابع دار الصفوة، مصر، ط١.
٢٥٢. موطأ مالك، مالك بن أنس بن عامر الأصبجي، (ت: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، أبو ظبي، الإمارات.

٢٥٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٢٥٤. الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار القلم، دمشق.
٢٥٥. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، (ت: ١٣٧٧هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع.
٢٥٦. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، ص٦٩، دار الشروق، ط٤، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٥٧. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير، ابن الجزري، (ت: ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع، المطبع التجارية الكبرى.
٢٥٨. النصرانية من الوحدانية إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٢٥٩. نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
٢٦٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت: ٨٨٥هـ)، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٦١. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، بدون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
٢٦٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، فخر الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الجزري، ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الراوي، محمود محمد الطناحي.
٢٦٣. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم تحقيق: محمد الحاج، ط١، دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٢٦٤. هل الكتاب المقدس كلام الله، أحمد ديدات، بدون طبعة،
٢٦٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٢٦٦. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، دار النشر: مؤسسة العز الدين، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٢٦٧. الوسيط في فقه المواريث، د. محمود عبد الله بخيت، د. محمد عقلة العلي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٢٦٨. وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: احسان عباس، دار صاد-بيروت.
٢٦٩. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، ط١، مكتبة الأزهر، بدون تاريخ نشر.
٢٧٠. يا مسلمون اليهود قادمون، محمد عبد العزيز منصور، بدون رقم طبعة، دار الاعتصام، بدون تاريخ نشر، وكشف القرآن لانحرافات أهل الكتاب، موسى محمود.
٢٧١. اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنطقة الشرقية، لجنة شباب فلسطين.
٢٧٢. اليهود فتنة التاريخ، ماهر أحمد آغا، دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٣م.
٢٧٣. اليهود في القرآن والسنة، محمد أديب الصالح، ط١، دار الهدى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، و
٢٧٤. اليهود في القرآن، سيد سابق، ط٤، دار الفتح، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٢٧٥. http://www.islamweb.net/ver2/library/ummah_ShowChapter.php?lan g=A&Babid= 4&Chapterid=4&book
- الشبكة الإسلامية.

خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
د	المقدمة
١	التمهيد تعريف عام بسورة النساء ومناسباتها وبيان مقاصدها
٢	المبحث الأول: التعريف العام بسورة النساء
٣	المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية
٥	المطلب الثاني: ترتيب السورة، وعدد آياتها، مكيتها أو مدنيته
٧	المطلب الثالث: فضائل السورة، وجو نزولها
٩	المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة
٩	المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة
١١	المبحث الثاني: المناسبة في سورة النساء
١٢	المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً
١٣	المطلب الثاني: المناسبة الداخلية في السورة
١٤	المطلب الثالث: المناسبة الخارجية في السورة
١٨	المبحث الثالث: تعريف مقاصد وأهداف السور القرآنية
١٩	المطلب الأول: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً
٢٠	المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً
٢٢	المطلب الثالث: الفرق بين الأهداف والمقاصد
٢٤	المطلب الرابع: أهداف ومقاصد السورة القرآنية

٢٦	المبحث الرابع: المقصود بالدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد السور القرآنية
٢٧	المطلب الأول: الدراسة التحليلية لغة واصطلاحاً
٢٩	الفصل الأول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة النساء من آية (١٤٨-١٦٢)
٣٠	المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة النساء من الآية (١٦٢-١٤٨)
٣١	المقطع الأول: الجهر بالسوء، والعفو عنه وإبداء الخير وإخفاؤه
٣٩	المقطع الثاني: الكفر والإيمان وجزاء كل من الفريقين
٤٧	المقطع الثالث: مواقف اليهود المتعنتة، وتنوع العذاب لهم
٦٣	المقطع الرابع: ادعاء اليهود قتل عيسى بن مريم وصلبه
٧٤	المقطع الخامس: بيان عاقبة ظلم اليهود، وأخذهم الربا، وثواب المؤمنين منهم
٨٥	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة النساء من آية (١٦١-١٧٦)
٨٦	المقطع الأول: وحدة الرسالات السماوية، ومهمة الأنبياء والمرسلين
١٠٠	المقطع الثاني: ضلال الكافرين وصددهم عن سبيل الله تعالى
١٠٦	المقطع الثالث: دعوة الرسول ﷺ للناس كافة
١١٠	المقطع الرابع: الغلو في الدين، والقول بألوهية عيسى عليه السلام
١٢٣	المقطع الخامس: عقوبة المستكبرين في الأرض
١٣٠	المقطع السادس: دعوة الناس إلى الإيمان بالنور المبين
١٣٦	المقطع السابع: حكم الكلاله، وبعض أحكام المواريث
١٤٧	الفصل الثاني الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة المائدة من الآية (٢٦-١)
١٤٨	المبحث الأول: تعريف عام بسورة المائدة
١٤٩	المطلب الأول: أسماء السورة، ووجه التسمية
١٥١	المطلب الثاني: ترتيب السورة، عدد آياتها، مكية أو مدنية

١٥٢	المطلب الثالث: مكان وزمان نزول السورة
١٥٤	المطلب الرابع: فضائل السورة، وجو نزولها
١٥٧	المطلب الخامس: المحور الأساسي للسورة
١٦٢	المطلب السادس: مناسبة سورة المائدة لما قبلها وبعدها
١٥٩	المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١-٥)
١٦٢	المقطع الأول: الوفاء بالعقود، ومنع الاعتداء والتعاون على الخير، وتعظيم شعائر الله تعالى
١٦٤	المقطع الثاني: أنواع المحرمات من الأطعمة، وبيان إكمال الدين
١٦٦	المقطع الثالث: أنواع الحلال من الأطعمة، وأحكام الصيد والنكاح
١٦٧	المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (٦-١١)
١٦٨	المقطع الأول: أحكام الصلاة، وتطهير العباد، وإتمام النعمة عليهم
٢٦٠	المقطع الثاني: القوامة على البشرية بالعدل، والتذكير بنعم الله تعالى
٢٦٩	المبحث الرابع: مقاصد وأهداف سورة المائدة من آية (١٢-٢٦)
٢٧٠	المقطع الأول: عهد الله وميثاقه مع أهل الكتاب
٢٩١	المقطع الثاني: معتقدات اليهود والنصارى، والرد عليهم
٣٠٤	المقطع الثالث: تذكير موسى <small>عليه السلام</small> قومه بنعمة الله، ومطالبتهم بدخول الأرض المقدسة
٣٢٠	الخاتمة
٣٢٠	أولاً: أهم النتائج
٣٢١	ثانياً: التوصيات
٣٢٢	الفهارس
٣٢٣	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
٣٥٨	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
٣٦٠	ثالثاً: فهرس الأعلام

٣٦٠	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
٣٨٠	خامساً: فهرس الموضوعات
٣٨٤	ملخص الرسالة باللغة العربية
٣٨٤	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

ملخص الرسالة

تم بحمد الله تعالى ختم هذه الرسالة على بركة الله تعالى، والتي كانت بعنوان:
(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الحادي عشر من القرآن الكريم -
سورة النساء من الآية ١٤٨ إلى سورة المائدة من الآية ١-٢٦)
وكان السبب في اختيار سورة النساء والمائدة؛ لاحتوائهما على قضايا كبيرة ومهمة
واحتوائهما على قضايا عقديّة وأحكام تشريعية.
وقد تحدثت الباحثة عن التعريف العام بسورة النساء، والمناسبة بين آيات السورة، من حيث
عدد آياتها، وأيضاً أوضحت مقاصد وأهداف السورة الكريمة إجمالاً.
وأما الدراسة التحليلية فقد ذكرت الباحثة الأهداف بالتفصيل من الآية (١٤٨-١٧٦)،
وكذلك تحدثت الباحثة عن التعريف العام للسورة من حيث عدد آياتها، والمناسبة بين آيات السورة.
أما الدراسة التحليلية فقد أبرزت الباحثة الأهداف والمقاصد من سورة المائدة الآية
(٦-٢٦)، وأخيراً توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات.

ABSTRACT

Was all praise to Allah seal this message of Allah blessing, which was
entitled:

**(Analytical study of the purposes and objectives of the party atheist ten of
the Koran – Nisa verse 148 of Surah to verse of Almaidah 1-26)**

The reason for choosing Nisa and Almaidah; they include a large and
important issues and they include issues of faith and legislative
provisions.

The researcher talked about the general definition of Surat Nisa, and
between the verses of Sura appropriate, in terms of the number of verses,
and also explained the purposes and goals of the Sura in total.
The analytical study researcher has reported in detail the objectives of the
verse (148-176), as well as a researcher I talked about the general
definition of Surat in terms of the number of verses, and the appropriate
verses of Sura.

The analytical study researcher has highlighted the goals and objectives
of the verse of Almaidah (6-26), and finally reached the researcher to a
set of findings and recommendations.